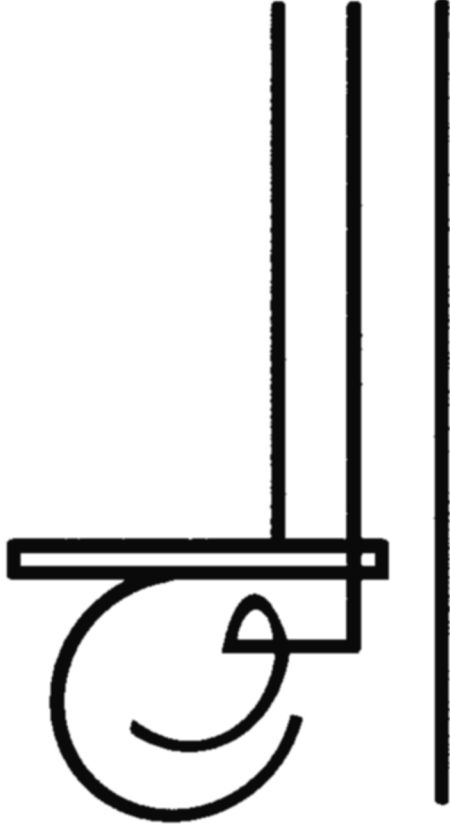




بيت الفقراء
نشر الثقافة الروحية
الجزء الرابع
ألواح ما بين قبر ومنبر

السيد الروح المرشد (سلفر برش)

الجمعية الإسلامية الروحية

القاهرة - الحلية الجديدة

طريق علي مبارك الرقم ٢٨

رافع محمد رافع

ألواح ما بين قبر ومنبر - الجزء الرابع

فهرس الأحاديث

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
١	الاتصال الروحي واقع الحياة ورسالتها في عالمي الإنسان يقوم به الدين وتثمر به المعرفة وتشرق به العقائد ويفيض به التطور ويستقيم به العلم وتزدان به المدنية ويتحقق به السلام		بدون تاريخ	١
٢	الكون لطيف متجسد الكائن البشري قيام متجدد	حديث لمجلة	٢١ مارس ١٩٦٢ م	٣٣
٣	أحوال ومقامات معرفة وخيالات	حديث الجمعة	١٤ يوليو ١٩٦١ م	٣٩
٤	دين القيمة كلمة من كلمات في جوامع الكلم	حديث الجمعة	٢١ يوليو ١٩٦١ م	٤٥
٥	محمد الله وآدم الله للناس قدوة وأسوة وللعالمين حياة ورحمة	حديث الجمعة	١٨ أغسطس ١٩٦١ م	٥١
٦	العبد لله الحق المحمد والنبأ العظيم للناس رب راحم، وملك خادم وحق حاضر	حديث الجمعة	٢٥ أغسطس ١٩٦١ م	٥٩
٧	الصلاة الصلة على النبي كتاب الرائد والولي وقيام الكلمة من الإنسان القدسي لمن لم يلد ولم يولد الأزلي	حديث الجمعة	٢٢ سبتمبر ١٩٦١ م	٦٧
٨	الحياة والطريق في الوحدة والعدم والهاوية في الفرقة	حديث الجمعة	٢٩ سبتمبر ١٩٦١ م	٧٥

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
٩	الحياة هي الدين والجنة والنجاة	حديث الجمعة	٨ أكتوبر ١٩٦١ م	٨٣
١٠	إلى متى؟! لا نشهد واقع الله في واقع قيامنا بالحياة	حديث الجمعة	٢٧ أكتوبر ١٩٦١ م	٩١
١١	قلوب وقوالب	حديث الجمعة	٣ نوفمبر ١٩٦١ م	٩٧
١٢	معبودك وموجودك	حديث الجمعة	١٠ نوفمبر ١٩٦١ م	١٠٥
١٣	أين لنستقبلهم؟ ومن لنستقيمهم؟ رجال قبلة وعيون	حديث الجمعة	٢٥ نوفمبر ١٩٦٠ م	١١١
١٤	آدم معنى النهاية لما قبله ومعنى البداية لما بعده من الإنسان	حديث الجمعة	٧ نوفمبر ١٩٦١ م	١٢١
١٥	آدم المعنى والهيكل والقدس للفرد والبيت والمدينة والأمة والجنس	حديث الجمعة	١٤ نوفمبر ١٩٦١ م	١٢٩
١٦	الإنسان لاهوت الروحية وكتاب الحقيقة من الأزلية بأبويه إلى الأبدية بولديه روح خالد لا نهائي	حديث الجمعة	١ ديسمبر ١٩٦١ م	١٣٧
١٧	الإنسان الخالق في ثياب الإنسان المخلوق في اللانهائي بحقه وخلقه	حديث الجمعة	٨ ديسمبر ١٩٦١ م	١٤٩
١٨	محمد بن عبد الله مسيح الله وإنسانه، وظاهر الحق وعنوانه مثالية للرضوان للناس وكافة للأجناس	حديث الجمعة	١٥ ديسمبر ١٩٦١ م	١٥٧
١٩	كلمة القيام النور المدثر بالظلام أزلي رحمته الإنسان الأول والآخر في النشأة والقيام	حديث الجمعة	٢٢ ديسمبر ١٩٦١ م	١٦٧

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
٢٠	في السلام يولد وفي السلام يموت وبالسلام يبعث	حديث الجمعة	٢٩ ديسمبر ١٩٦١ م	١٨١
٢١	ليل لا عوج له ويوم لا ريب فيه رجال هم أيام الله ولياليه عصور وأزمان يقومها إنسان	حديث الجمعة	١٢ يناير ١٩٦٢ م	١٨٩
٢٢	عيسى والنبيون كلمات الله محمد وعباد الرحمن رسل الله من آلوا محمدا سفن النجاة وبيوت الله إن لله عبادا إذا ذكروا ذكر الله	حديث الجمعة	٢٦ يناير ١٩٦٢ م	٢٠٠

(١)

الاتصال الروحي

واقع الحياة ورسالتها

في عالمي الإنسان

يقوم به الدين وتثمر به المعرفة وتشرق به العقائد

ويفيض به التطور ويستقيم به العلم وتزدان به المدنية ويتحقق
به السلام

تتساءل البشرية بينها في سائر عوالمها، كلما استيقظ منها مستيقظ إلى أبعد مما هو فيه، كيف تواجد
جنسها ومتى بدأ وأين؟ كما تتساءل البشرية على الأرض حيث الخلافة على هياكل الذوات وأرض
القلوب لعوالم مفرداتها، من القائم على كل نفس، ترى هل بدأت تواجدها بوجودها في عالمها هذا،
وعلى هذه الصورة فيه، أم على أرض أخرى! وعلى صورة أخرى! وسواء كان هذا أو ذاك، هل لها إلى
أرضها أو عالمها هذا مرجع! وعلى أي صورة! وكيف! وسواء كان هذا أو ذاك، فهل يكون هذا مرة،
أم في الأمر نظام ودورة!

هذه الحياة! ما هي ماهية هذه الحياة! هل هذه هي الحياة! وغيرها من صور التواجد، ألا يتصف،
وألا يحمل اسم الحياة! هل هذه الساعة من التواجد في دوام الوجود هي كل الحياة لأحيائها أم هي
فترة وصورة من حياة متواصلة في أطوار متصلة! وإن كانت جزء الحياة فن أية مرحلة للحياة تكون
هذه الحياة! ومتى بدأت والإم تنتهي! ومن أين جاءت! وأين هي الآن من وضعها في الوجود! وإلى
أين هي غدا! وكيف! كيف جاءت؟ وكيف قامت؟ وكيف تصير!

لقد حاول مؤسسو الأديان ومتابعوهم أن يشبعوا الرغبة الغريزية عند الإنسان للمعرفة بالإجابة عن
هذا التساؤل فيما كشفوا عن حقائق الحياة في مدارسهم الدينية لأبنائهم في الروح ومتابعيهم إليها،
ضاربين المثل بذواتهم وأرواحهم في بيوتهم وجمعهم، وهي المحاولة التي قامت على أساسها مدرسة

الحكمة بالحكماء من قبل النبوة ومن بعدها، إعمالاً لقانون الفطرة بين جانبي الحياة لا انفصال لهما للجنس البشري الفطري الوجود والتواجد، المنتهي دائماً وأبداً إلى الإنسانية القدسية الأزلية، وهذه هي نفس المحاولة التي يجددها العلم الآن في هذا العصر، حاملاً أمانة المعرفة ونشرها، مستقلاً عن الحكمة القائمة بعد إهمالها، وعن الأديان العاملة بعد تحريفها، وذلك إعمالاً لقانون الفطرة وشرائع الطبيعة في تطور الكائنات في القيام الفطري والإدراك عنه، بالترنم مع القدرة الفاعلة في تنسيق الذبذبة للجزيئات بتجميعها على الذبذبة الكلية لكليات التواجد في هذا الوجود اللانهائي.

وما كانت الحكمة إلا الأصل الأول للأديان قرين تواجد أهلها على الأرض، في تطور انتهى لكمال نفوسهم بالتصاعد منها والبعد عنها، وقد نشأت النبوة بعودتهم إليها بمجالات من ذوات لهم على مثال من ذوات بدئهم بوصف الأنبياء، كان نوح بدأهم ومحمد لهم ختام. به كان للحكمة عودة بالحكماء يبعثون من خلال معناه بالأبوة بعثاً لمجالاتهم بالنبوة في معاني العباد المتابعين له للتصاعد عن ذواتهم ونفوسهم وعقولهم معانيهم لمستويات أعلى للرشاد، مواصلة لأطوار الحياة، وتجديداً للنفوس والعقول الكلية في شقي التواجد للوجود المتحد الحر المطلق.

وما كانت الأديان في الواقع إلا أصلاً للعلم، وما اختلفوا في أمرهم عليها إلا بعد الذي جاءهم من العلم عنهم، ولن يتفقوا عليها شأناً لهم وخيرهم، وليست سلطانا عليهم لكبتهم إلا بعد تطور العلم عنهم. فما كان العلم إلا ما وراء الحكمة والأديان، وما العلم اليوم إلا في طفولته، وما هو في هذه الطفولة إلا ثمرة للأديان في الحقيقة والواقع. فالعلم بقديمه لجديده حقه. والعلم بجديده لقديمه خلقه. وما كان محل العلم قديماً أو حديثاً إلا الإنسان، فهو كتابه وقرآنه وتوراته وإنجيله وفيداه. وما كان الإنسان في قديمه إلا مظهراً للأقدم منه. وما كان الإنسان في حديثه إلا أصلاً للأحدث منه. فإذا تقادم الحديث وتجدد القديم، التقى الإنسان في نفسه من حاضره بالأقدم والأحدث، التقى بمعانيه في ذاته فرعاً للقديم وأصلاً للحديث وقياما للروح الحاضرة. فإن الأب فرع عن الجد وأصل للابن، يدرك قانون الأبوة بأبيه، ويدرك قانون النبوة بابنه، وإلى ذلك انتهى علم الأديان الهدي إلى عيسى عن الإنسان. ووراءه لم يجاوز لعلام الغيوب الذي لقي فضلاً عن السير إلى الغيوب أو التلقي عنها، وهي المحاولة التي طلبها العلم وبدأها وطرقها محمد بالدين فجعل من العلم دين كما جعل من الدين علم، طلباً لمعاني الرفيق الأعلى بعد معرفته عن النفس والالتقاء بأصولها من السبق، وفروعها من الخلق التي حمل لواء التعريف عنها بالعلم والدين من بعد سابقيه من الأوادم ومن أبناء الأوادم من الأنبياء والحكماء بحثاً عن الحقيقة وسر الحياة وتعريفاً عنهما، وهو ما قام بمواصلته من بعده القوم مجحودين، وهو عين ما يجيء به اليوم أهل العلم من عوالم الروح من الآباء ليجددوه بيننا مرشدين بعد غفلتنا عنه ليسدوا

هذه الثغرة، وليشبعوا هذه الفاقة، ويقوموا ما اعوجت إليه طريق الأديان ومسالك أهلها، وما جنحت عنه علوم البشرية ومعارفها جنوحا عن موارد الحياة حتى تترد سفينة الحياة إلى شاطئ السلام وقد مالت إلى الهاوية بجهل ربانيتها وغفلة راكبيها.

إن محاولة محترفي الدين لإقامة ونشر المعرفة بعيدا عن العلم، أضعفت إمكانياتهم لتحقيق الإجابة على ما يتساءل عنه الإنسان، كلما تجددت أجياله واستقامت أحواله في طلب المعرفة عن نفسه، ومصدره ونهائيته أو لا نهائيته حتى تكون له من هذه الحياة غاية يعمل لها، فيسعد بشقائه وهو يسعى في طلب سعادته وفي سبيلها، بها يترفع عن جلباب حيواني ماديته، ويعلو ويزهو بمعنوي أنانيته، ويمتطي نفسه بقيادة عقله مستعينا بقدرات روحه في بحار روح الحياة العظيم، والأعظم، والالانهائي لأناه الروحي، فيمتلك ذاته ويطورها إلى جديد لها من فعله، ويبدلها رخيصة عند الضرورة في سبيل كسب معنوياته، فيجعل من قلبه أرضا طيبة جديدة نامية لأهله من فيض حبه وضع يده وقائم تكاثره، كما يجعل من رأسه شمساً مشرقة، علما ودليلا عليه إنسان ربه، ومن أطرافه سيارات وأقمار لجديد كونه، بتقطيع أرضه يعمل بها في جديد تناثره، هيأها لعالمه من أهل محبته ومتابعته لمعانيهم به بمغناه في دورته بأكوانه، وفي وجوده الكبير مظهرا لموجوده وعلما على أحديته بأحديته.

فالناس ببعدهم عن العلم حمل إليهم في عبارات وكلمات وآيات النبوة والإنباء المتواصل انخرفت بهم الطريق إلى طريق نفوسهم المنحرفة إلى الهاوية، هم ومن تحمل سفن نفوسهم من المعطلين لعقولهم، والمجرمين في حق أنفسهم بوهم روادهم الغافلين حتى عن أنفسهم.

ومع الأسف الشديد فإن المنشغلين بالبحث عن المعرفة من المستأجرين عليها المسترزقين بالعلم، لم يخرج أمرهم عن المسترزقين بالدين، فقد انخرفت بهم مراكب نفوسهم وحملوا الإنسانية معهم إلى حافة الهاوية بابتعادهم بالعلم عن حقل الدين، وبالدين عن حقل العلم، نافرين من الدين حتى لأنفسهم. وما اجتمع الدين على العلم إلا في استقامة ذوات العلماء في العقائد، أو في إيمان رجال الدين بالعلم رائدا لهم في نشر واجب المعاملة مع الله وتقبل فيوضات المناسك للنفس.

إن الإنسان في الحقيقة هو المعلم والمتعلم الدائم كما هو في ذاته كتاب ولباب العلم. فإذا اعتقد الناس الكتاب لجمال غلافه دون أن يقرأوه، فقد عبدوا أنفسهم لمادي ذواتهم في ذات قدسوه وتابعوه، فما نارت عقولهم، وما أشعلت نفوسهم، وما تحررت أرواحهم، وما تطورت لهم ذواتهم. فإذا قرأوا الكتاب ولم يدركوه، تحركت نباتيتهم وحيوانيتهم، فتجمعوا عن أشجارهم متساقطين كأوراق الخريف تتساقط تحت الأقدام، طعاما للأنعام، وتحدثوا بحيوانيتهم كنعيق الضفادع أو مواء الأغنام، فقدموا الآيات كما تقدمها لعباث البغاوات، وحتى إذا قرأوا الكتاب مجتهدين، فلا يجوز لهم أن يتجاوزوا

مقاعدهم إلى مقاعد المعلمين، وإلا فما علّوا إلا هراءً، وما انتظروا لعملهم إلا عفاءً، ولا لكتب ذواتهم إلا أن تذهب هباءً.. فماذا فعل الناس وإلّا وصل الناس؟!!

كشفوا عن أسرار الذرة فالقين، فتكشف لهم رب الفلق مسفراً لليقين فنشروا الفلق مفسدين، وما آمنوا برب الفلق للإيمان ناشرين. وهم الآن يبحثون وراء رتق الذرة ليكشفوه ويفعلوه مسخرين، وسوف يتكشف لهم ما داموا لهذا طالبين، وإلى تحقيقه ساعين، وفيه عاملين، بحكم قانون الفطرة في إجابته لأبنائها دائبين. فهل إلى فاطر السموات والأرض اجتماعاً عليه يقصدون، وإلى الرتق بين شقي الإنسان يسيرون، وإليه يسعون؟ أم أنهم إلى رتق الأرواح دون الأشباح يسعون، فلهذه الحياة بماديّاتها يدمرون، والأرواح عن أشباحها يفصلون في معركة لا على الحق ولا لنشر اليقين؟ وما شرعت لهم الحرب يوماً حتى دفاعاً عن دين، بل هم ثمار الشجرة، قبل أوان نضجها يسقطون، وبالفساد يتفخرون وبالفجور يتعالون.

هل أفادهم هذا الذي كشفوا بخارجهم من الطبيعة في كشف ما بداخلهم منها، وفي داخلهم المفعّل الذرى والإلكتروني ومصانع الفلق والرتق من أعضاء الجسد في وظائفها تهيأً للتطور، كما أن بهم مراكز الاستقبال والإصدار والرد من الجهاز العصبي، وكذلك مراكز الغدد الصماء للتوجيه اللاسلكي في عوالم ذواتهم، كما أن فيهم الجهاز العصبي للرباط الاتصالي الدائم الإرادي مع مركزه من الرأس، وما إلى ذلك من عمل دائب إرادي ولا إرادي، هو قوام حياة أجسادهم في حركتها الظاهرية، وحركاتها غير المرئية، ونشاطها الذي لا يتوقف؟

هل آمن العلماء بباطن الحياة للذات لا سلطان للإنسان عليها بظاهره وقد تواجدت الذات ظهوراً له، فأمنوا بالحياة في ديموميتها تقرأ في كتاب التعريف المؤقت عنها بالجسد المتجدد المستبدل، فعرفوا أن هذا الكتاب ما وضع إلا لمراحل التعليم الأولى؟ وأن كتباً أرقى في الانتظار لمن يواصل طلب المعرفة والقراءة لكتابه؟ كيف يمكن للعلم دراسة النفس وهو لا يعرفها إلا جسداً موقوتاً، فلا يبحث وراء قديم لها، ولا يحاول تكرار الحاضر منها، أو إنشاء القابل بأجساد تملك لها هي ألواح في كتابها الأزلي الأبدي السرمدي، الصادر من طبيعتها وهي طبيعة الحق لها ذاتاً، وروحاً، واتحاداً، ووجوداً؟ كيف يمكن فهم الحقيقة إذا لم يفرق العلم أو الدين بين الدائم والموقوت في شخصية الكائن البشري إذا لم يفرق بين الموجود الجمادي والنباتي والحيواني له، والموجود الإنساني والإلهي به؟

إن العالم في هذا العصر يتمتع بمدينة مادية لم يسبق له - في حدود تاريخه المعلوم له - أن شاهدها. وهي على ظاهر جمالها لم تحقق له ما تصبو إليه نفسه من حياة السلام. وإذا أردنا أن نحدد لهذه المدينة مصدراً عنه أخذت، فما كان مصدرها إلا ما في الإنسان على صورته المادية في عالمه هذا من الأرض

بما عرف له عن أسرار نفسه. وما كانت هي بأسرار في الحقيقة لأنها واقع فيه، تكشف له في ارتداداه بالتأمل لنفسه وفي ذاته بعد أن أعياه البحث عن الحقيقة خارجها بتوجيه المنحرفين الضالين المضلين من أديعاء الدين. وهو إذ يرجع إلى نفسه متأملاً ما قام إلا فيما أمر به الدين كتاباً وهدى إليه فطرة. وما عرف فيما عرف إلا قشورا عن نفسه.

ولكن للأسف أخذ الإنسان من مظهر النفس وعمل على محاكاة أبعاضها من الجوارح الظاهرة له بوظائفها به، فاخترع الآلات والأجهزة التي قلبت حال هذه الدار ومظاهر الحياة فيها، دون أن ينتفع بالثمرة الصالحة للارتداد إليها والتأمل فيها، والربط بين ذاتها ومحيطها، بأن يواصل هذا الارتداد إليها عبر الزمن وعبر حدود مظهرها من المادة.

ما كان هذا مستحيلاً على العلم، وما كان بعيداً عن متناول العلماء ولن يكون. وما صدرت الحكمة، وما قامت النبوة، وما تواجد الصادقون من علماء الدين إلا به، وما صدروا إلا عنه. وما قامت علوم الطب والطبيعة والكيمياء والجبر والرياضة والفلك والسياسة في أحوال صلاحيتها واستقامتها قديماً وحديثاً، إلا من فيض النفس الصالحة له، من معلم لها فيها من شق الحياة الغيبية لها، القائم على مظهرها من الذات، عنه أخذت وبه عملت وله في قيامها أظهرت.

وحق علماء النفس الذين شغلهم استكناه أمر الذات البشرية وما تحوي لا يلتفتون للأسف لما يتكشف لهم من تعدد معاني الحياة في الذات الواحدة، وصراع الصفات الحية فيها لكشف قيام النفس من حيواتها بجديد الجلباب من الذات، أو ما قد يخلق الفعل فيها من ألوان الحياة وما سبق أن خلق، وكذلك علماء الطب بما يتكشف لهم عن تطور العلة والمضغة والخلية الأولى للجنين، والصور المتعاقبة في تطوره، لا يفلسفون ولا يدركون تسجيل أطوار المادة في كتابها من الذات البشرية، وما يمكن أن يواصلوا هذا التطور فيحاولون الكشف عنه. وهؤلاء وغيرهم من علماء الجيولوجيا والطبيعة والرياضة لا يلفت نظرهم البديهة الأولى للعلم عن الطبيعة من ثبات قوانينها، ودوام فعلها، وإنتاجها للآثار الملازمة لأعمالها، إذ يقولون المادة لا تفنى ولا تستحدث، ثم يقولون ببداية للإنسان كتاب الطبيعة ومظهرها ووليدها، ولو عمقوا إلى ما وراءه منها لوجدوه مصدرها وأبوها وسيدها، وهذا ما حملته لهم الأديان بمعلومها. ولكنهم قد باعدوا بين معلوم الدين إليهم وما يعطي العلم عن ظاهر الحياة لهم منهم، باعدوا بينهم والناس معهم عن الانتفاع بقوانين الحياة يأتي بها الدين لتعمل بها الدنيا، فيرتفع الناس من تحت الطبيعة إلى أحسن تقويم مما هو فوق الطبيعة من الجنس، اجتيازاً لعوالم الطبيعة مهياً ومسخرة لهم وعين معانهم لهم في مراحل منهم لمرتقاهم.. إن الحياة على ما هي عليه كانت على ما هي عليه، وستبقى على ما هي عليه لا بدء ولا انتهاء لها، ولكنها في وحدتها

الثابتة أمر يتجاوز لما نسميه الأرض والسماوات. وما أمرها إلا مظهرًا لمثاله من الأمور لا عد ولا حصر ولا بدء ولا انتهاء لها.

إن أثنى الكشوف العلمية التي تتمتع بها البشرية في هذا العصر ما تواجد إلا ثمرة لما سماه مكتشفهم بالصدفة، وليس في الوجود ما هو صدفة. فما كان مثله فيه إلا كطفل عابث أو مجتهد أخطأ الطريق فتلاقى مع الصواب بتوجيه غير مدرك، أو اجتهد فتأمل فكشف فتابع فاكتشف ما قدمه للبشرية من أنباء عن عوالم غير منظورة، أو قوانين قائمة في الطبيعة غير مدركة، كانت سببا في تغيير معالم الحياة التي ما زالت في تطورها يوما بعد يوم في خطاها الأولى، وإنها لو اصلة يوما إلى أعماق النفس البشرية ومستخرجة منها كنوز سعادتها الذاتية والاجتماعية، يوم يعلم الإنسان أن السعادة والشقاء لا يتواجدان إلا في داخل الإنسان، وأن سعادة المجتمع لن تتحقق إلا بحرصه في أهدافه على سعادته الداخلية وحرية الفردية وعدم تحديد الخدمة وقصرها على أمانه المادي بالحرص على الحياة المادية، وهو الحرص الذي هو عين التفريط لأنه لا يؤدي إلى الغرض منه، وعدم جعل مجتمع الأجهزة البشرية أساسا ومصدرا للسياسة والسيادة الاجتماعية، وإن كان هو الحقل الحقيقي لمجال الخدمة الإنسانية من الأرواح الحية بين مفرداته. فإن هذا هو ما يوصف بالفساد ولا يصح اتصافه بالإصلاح في نظر الحقيقة الإنسانية، ولن يتحقق به ما يواصل الناس الحديث عنه عن السلام أو الأمن والأمان.

يجب أن يتعلم الفرد طريقه إلى السعادة الداخلية بالإيثار وتحمل المشاق في سبيل خدمة الآخرين بإدراك الأخوة الإنسانية للبشرية معاملة مع الأبوة المقدسة المرضية لأزل الجنس في أحديتها، ووحدانيتها، وإحاطتها بحياة أنبائها من مفرداته، لا فرق في هذا بين أنبيائهم، وحكائهم، وعلماهم، وجهاهم، وغافليهم، أو حكامهم ومحكومهم.

وهذا لا يتحقق للفرد عن طريق قصر البنوة عليه أو على أحد أخوته. ولا يصلح به المنتفع به ممن هو في حاجة إليه من أخوته إلا عن طريق تلقيه من فيض محبة أخيه. إن القانون البغيض عند من شرع له لن ينتج عملا حبيبا في مجتمع تطبيقه.

يجب أن يتعلم الفرد تفاهة وجوده المادي أمام وجوده المعنوي، وتفاهة عمله المادي الصادر عن جوارحه بالمقارنة لعمله المعنوي الصادر عن قلبه وعقله، وتفاهة حاضر الوجود أمام مرجو التواجد. يجب أن يعرف كيف ينتفع بحاضر وجوده لقادم تواجده. يجب أن نفرق بين الإنسان الزارع الحاصد والإنسان المزروع المحصود. يجب أن نفرق بين الإنسان الطعام والإنسان الطاعم.. بين الإنسان الخالق والإنسان المخلوق.. بين صورة الإنسان والإنسان.. بين الإنسان المعبر والإنسان

المعبر به.. بين الحق والخلق.. بين الواضع والموضوع.. بين الفاعل والمفعول... بين الوجود والخيال.. بين الحي والتمثال.

إن الإنسان في الطبيعة هو ثمرة الطبيعة التي تنتجه وتستهلكه، ولكن في الثمار نواة قل أن تؤكل هي سر الأشجار. فهل هو وإن كان للطبيعة الثمرة، هل فيه نواة الشجرة؟ وإن كان! فكيف يصبح النتاج مصدرا للإنتاج؟ إن الإنسان يعرف كيف يفعل بالبدور، وكيف يدفنها في الأرض فتغوص بالجذور، ثم تتصاعد على الأرض بالجدوع، وفي السماء بالغصون وبالفروع. فأين أرضه فيدفن؟ وأين زارعه فيخشع؟ إن الثمرة أنتجت الشجرة، والذي أخرج الشجرة هو الذي أكل الثمرة. إنه التراب والماء، وإنه الأرض والسماء. إن الإنسان للإنسان هو الشجرة والثمرة، وهو التراب والماء، وهو الأرض والسماء. ليس للطبيعة في مظاهرها ما هو أقوى في تعبيره عنها من الإنسان في مثاليته لها بظاهره منها، إنه الطبيعة وما فوق الطبيعة من طبيعة، وما دون الطبيعة من طبيعة. فلم لا يرتفع الإنسان من الثمرة للإثمار ومن الشجرة للأشجار؟ وما دون الطبيعة إلى الطبيعة وما فوق الطبيعة؟ إن الإنسان هو الطبيعة في مفرداته وجماعاته، وإن الإنسان هو ما دون الطبيعة في طبيعته بمفرداته وجماعاته. فلم لا يرتفع من طبيعته مما دونها إلى طبيعته مما فوقها بجماعاته خلف مفرداته، وبمفرداته خلف جماعاته؟

إن الثمرة أحيائها فناؤها في مصدرها. منه بعثت بنحبرها. ولو تجاوزت فناء ما عرفت من مصدر، لبعثت بالأكبر لها من مخبر. إن الإنسان لو دفن في أبنائه أرضا له، لبعث منهم بآبائه شجرة لهم. ولو جاوز بعمله إلى أحفاده لتواجد من أحفاده بأجداده، ولو جاوز في تجاهل نفسه فناء إلى ما لا يعلم لبقى مبعوثا متجددا إلى ما لا يدرك، ولا يعلم.

إن الذات البشرية هي أرض العقل المصلحة له، وإن القلب منها أرضه الجديدة الصالحة لتطوير قديمه نفسا له، فإن عملت جوارح الأرض المصلحة لحرث وإثمار الأرض الصالحة، لتواجد العقل بقديمه مرة أخرى على أرض عالمه الجديد بما كسب في كشف قدسية معناه بقراءة مشاهداته لعالمه القائم.

إن للعقل بلطائفه من الروح والنفس شأن مستقل عن الذات والقلب، وهو وإن كان سر الحياة لهما إلا أن حياته لا تتوقف عليهما ولا ترتبط بهما، ولكن ظهوره وتطوره ورقيه لا يكون إلا بهما. إن الموت لا يلحق إلا الذات والقلب، ولكنه لا يلحق العقل ولطائفه. فهو موجود قائم بلطائفه قبل مولد الذات والقلب من الأب وتغلفه بأرض الذات من الأم. وهو يلزم جهازه إنشائه الواحد بعد الآخر من الأبوين حتى يتوالد منهما، فيلازم جهازه الخاص متخليا عنهما. فينمو هذا الجهاز في حدود صوره من أصل نفسه التي تملكه من فيض الروح في رعاية العقل.

إن العقل ينمو في تكرار التجربة بتواجده بذواته في عوالم النفس وعوالم الروح. أما هو بطبيعته فمتصل بعالمه الكبير حيثما وجد. ينمو في وعيه عن تجاربه في رعاية العقول الكلية للوجود.

إن العقل لا يضاف إلى جهازه البشرية. ولكن جهازه من البشرية هو الذي يضاف إليه بوصف العبد له، الحق به قائم. إن البشرية جميعها إنما هي جهاز من أجهزة بمعناها لعقل كلي واحد يدبر أمرها من السماء إلى الأرض، ويجني ثمارها من الأرض إلى السماء.

إن مفردات الجهاز البشري لا يحتفظون بشرف الوصف بالبشرية في الانتساب إلى العقل الكلي لهم إلا عن جدارة، بما يصدر عنهم برباطهم به لخير مجتمعهم من فيضه وتوجيهه.

إن المستوي على عرش السموات والأرض إنما هو العقل الكلي لمفردات الجنس البشري المتواجد في ظهوره من كنزية معناه على هذه الأرض نفساً له وصفت بالحياة مضافة إليه يوم استوى إلى الأرض فكانها فظهرته فأخرج منها ماءها ومرعاها، يوم انفعلت بالحياة في استوائه فاهتزت بالحياة ربا لأحيائها فربت مضافة إلى ربها ومستويها وعين الحياة عليها وعين الحياة فيها. إن روح الحياة في مادتها هو بعينه روح الحياة في نباتها وحيوانها وبشرها. إن تجمعات الحياة بصورها من الجماد والنبات والحيوان والبشر المنطلقة طاقات حية طليقة من دحية الأرض في معمل التفريخ الكوني الدائم تحت الشمس الممسكة بدحاها المحيطة بها، تتجمع سحبا لسدم في أطوار نشأتها تتلاحق وتتكاثف في طبقات متصلة تحمل صور ومعاني الحياة التي تواجدها ثم انفصلت بها عن كثيف كونها إلى لطيفه المتقبل لمواصلة الانفعال، لإرادة روح الحياة، والمتكيف على صور مرادها من العقل الكلي، المجدد لنفسه منها على دوام، والمتجدد بمعناه على تعاقب، والمستوي بجديده كلها تصاعد عنها قديمه، على تعادل في الصعود والاستواء، كاملاً في حاضره من ظاهره، وكاملاً في غيبه من باطنه، له المثل الأعلى في السموات والأرض مصطفىاً من بين أبعاض كلياته لكلياته، على ما اصطفى آدم لنفسه من كليات كله بشراً فكان باصطفائه إنساناً، وكان بإنسانه حقاً لحقيقته وعنواناً.. بيت قبلته وطريق وصلته، به عرف محمد أن صفة العبودية للأنا من الإنسان، أرقى صور الرباط بالهول للرحمن، من حقيقة معناه، وأن اللانهائي المعبود للإنسان يقوم به العبد العابد في قيام لانهايته في خلقه، بدوام التعبد للانهائي معبوده، وأن الخالق والمخلوق وجهان للأزل والأبد في الإنسان. بهما عرف أن الزمان صفة الإنسان، في حال توقيته في الظهور، وأن الدهر ليس بعيداً عن وصفه في تشريفه بسرمدى الحضور.

إن كل ذات بشرية لها وجودها وكيانها المستقل عن مثيلاتها. وقد تواجدت على مثال لا تختلف فيه قيد أئمة عن تواجد مثيلاتها من حيث الجلباب. ولكنها تختلف بخلقها مظهرها لما فيه، وإن كان

جوهرها يتصل بخارجها من الذات على صورة متشابهة، في التعامل وفي الروابط فهي في معناها تحمل معاني لكلياتها إلى الكل لها، وهي في مبناها، سر الوجود حكما، وهي كون في محيط الأكوان فعلا.

تتجمع الذوات وتبادل الخدمات للجسد أو تتنافر عليها لإقامة الروابط الداخلية المسعدة أو تبقى في حال من الظلام بالغفلة عنها، فتعيش مواصلة الحياة على الأرض على حساب إنهاء ظاهرها الحياة عن غيرها، من الإنسان والحيوان والنبات والجماد، متجاهلة أنهم أخوتها من الأحياء من أبناء الأرض، فتستهلكهم عنهم بقولها البقاء للأصلح.

إن الكائنات الحية على الأرض تقوم في جهاز له حركة وحيوية تعرف له بداية وتوقن له بنهاية. فالبشرية في عماء عن معناها تقدره أنانيتها وتلتصق به، ولا تحاول التجرد عنه أو التحرر منه قبل انهياره، ولا تقبل دعوة التحرير لأنانيتها، ولا تصدق أنه جلاباب أو دار مُعار لها من الأرض، ولا أنها تستطيع عمل وامتلاك الكثير من نوعه، أو أنها إن تحررت تستطيع إعادة صنعه من عملها على صورة أصلح للخدمة وأصلح للبقاء، بل هي في الواقع تستطيع صنع مصدره من الأرض ومصدره من السماء، ولا تقبل أنها إن تحررت تحمل نواة لأرض لجديد تواجدتها بما تسميه قلبا لها يمكن أن تجدد به عالم هيكلها، بينما لا تشاركها المملكة الجمادية والنباتية والحيوانية التي لا تملك ما تملك البشرية، هذا النظر بل وترى سعادتها في تقديم ذاتها على مذبح التضحية للقيام في الإنسان الأزلي من عوالم الحياة - كما تحرص على مواصلة خدمتها له بالتكاثر في جديدها المتفاني للخدمة من قديمها الراحل معه.

إن أولى الوحدات الكلية الأصلية التي تجمع مختلف الحيات لعوالم الأرض ومن البشر عليها هي الأرض نفسها. فهي الأمومة الحية الواهبة للحياة والمهيئة لها على صورة مباشرة بتكوينها منها لذوات الأحياء عليها. فهي الكائن الذاتي الحي الواحد الذي انشقت عنه هذه الذوات الحية والذي يستعيد منها إلى مصدرها فيه ما بقي لها من طبيعته. فإذا لم تكن هي حية في ذاتها ما صلحت لاستقبال فيض الحياة من السماوات ومن الإطلاق ومن الغيب ومن الشمس والكواكب ومنها لها. وما صلحت لإفاضة الحياة منها على ما انشق عنها من الكائنات. ولما استهلكت وهضمت فضلات مظاهر الحياة الجزئية في حياتها الكلية عند انتهاء عملها وارتفاع ما تطور بها إلى طاقة حرة منطلقة.

إن أمومة الكواكب لأقمارها، وإن أمومة الشمس بدورها للأرض وشقيقاتها من الأجرام السماوية من الكواكب السيارة، وأمومة الجامع الفلكي للشموس من السديم الواحد، وكذلك الجامع الفلكي للسدم والجامع له على تتابع لا يدرك مداه في الوجود المادي الواسع المتسع، أصبح أمرا مدركا للوعي البشري بصورة يقينية، وإن أدركه الإنسان على صورة تقديرية مختلفة الدرجات في مختلف عصوره. وقد أصبح باتجاه النظر إلى الأصغر فالأصغر من الموجودات ممكنا للعقل الإنساني أن يرى المجهول في

الكبير والأكبر ماثلاً بصورته في الصغير والأصغر في ظل قانون طبيعي قائم فاعل، أدركه الإنسان على وجه اليقين عنده. وبذلك أمكن إدراك مجهول السعة بالاتجاه إلى الضآلة، فتكشفت للإنسان وحدة الأسرة الشمسية كمثال أكبر لوحدة الأرض والقمر أو الكواكب وأقمارها، كما عرف قديم انقسام وحدتها إلى مفرداتها، وانقسام أصغر أجرامها الدائرة في أفلاك مراكزها حتى إلى إدراك الذرة المركبة والمبسطة وأطوارها بدءاً من ذرة بمركزها وتابعه وانقسامات مركزها إلى مركز وتوابع، أو توحيد بينها منتهي لمركز وتوابعه إلى ما يقدر ولا يدرك أو يحصر.

وفي هذا تتلاقى معارف الأديان العقائدية عن شرح الواقع الثابت المتجدد بعباراتها المحكمة والمتشابهة مع معارف العلم اليقينية عن الطبيعة. وهذا فيه ما يشبه قيام وحركة مفردات البشرية من وإلى كلياتها، كذرة مركبة، أو مجموعة شمسية، أو مجاميع متداخلة في سديم واحد أو جماعات من السدم في أصل لها. فالفرد في المجتمع البشري أصل لأمة حكما، ويعمل بالزمن ليكونها فعلا. والأمة الصادرة عنه في البشرية أصل للإنسان يتجمع ليتواجد في المجتمع الإنساني، في عوالمه الروحية حكما، يعمل ليكون أحدية إنسان واقعا وفعلا، مع الصبر وعبر الزمان والمكان. وعلى هذا قامت معارف وتوجيهات الأديان يجمعها دين العلم في هذا الزمان، وهو يحاول الكشف عن هذه الحقيقة بأساليبه، وأنه ليوشك أن يقدمها مقبولة سائغة بما أصبح بين يديه من مقدمات لها.

هذا عن تجمعات الإنسان بمعنوياته. أما عن تطور ذاته بمعامله بين عوالمه فهو جديد لقديم لبيت سكينته وهو إلى عالم فوجود لمعناه عند مفرداته، من قيامه بمعناه في قيامهم ومعانيهم، بين فرق وجمع من فرد في بدئه وإلى فرد في غايته.

إن مفردات الجنس البشري من حيث ذواتها بما يقوم بها من طاقات الحياة المتداخلة إلى الطاقات المطلقة، إنما هي في حقيقة أمرها نهايات لانقسامات عن الأرض تجاوزت عهد الانقسام إلى طور التجمع بأوادما، فهي بدايات في الوقت نفسه لعوالم أكبر على مثال من عالم نشأتها وأمومتها.

فإذا ما تجمعت مفرداتها، وتداخلت طاقاتها، وتوحدت غاياتها، كونت بداية لعالم كبير على مثال من منظور عالمها. تخلق السموات والأرض هو التطور الأكبر لخلق الإنسان من عالمي الناس من البشرية.

فإنه إذا ما التأمّت وانتظمت هذه المفردات من الإنس وقديمها من الكواكب أو من الإنس وقرنائهم من الجن بمعنوياتها المتنافرة في الأصل الخالق، عن طريق الاختيار والمحبة، على مثال من انتظامها الحتمي بضروراتها في تناسق ذواتها في مجتمعاتها في ركب الحياة القهري، لتكشف لها أمر وحدتها

وهي في عالم نشأتها هذا من عالم إنشائها السابق عليه. ولتكشف لها بتوحد معانيها في الحاضر مع السبق واللاحق في عوالم مفرداتها ما يمكن لمفرداتها من بناء عالم أكبر لمستقبلها في اتجاهين من تجديد المكان، وامتداد الزمان، وتطوير الطبيعة، ورقى المعنى لا نهاية لهما. وهذه هي الحياة بفلقها ورتقها. فالبشرية الأرضية تكوين وسط في الإنسان بين قديمه وقابله، وبين عاليه وسافله.

إن الكائن البشري الواحد منفصل متصل بالبشرية والكون. كما أن الكون في وحدته والبشرية في وحدتها لهما كيان منفصل متصل مع كلياته بعيدا عن مفرداتها.. متصل بكليته مع مفرداته من كلياته بأحدثه معها، منفصل بقوانينه عن مفرداتها بمباشر صلاته في أحدية مع مفرداته. إنهما يقومان ويحييان على نظام من الاستهلاك الجزئي والإنشاء الجزئي على ثبات لهما في كليهما، وذلك على نظام مقابل لاستهلاك الذات البشرية لخلاياها وإنشائها. فما ظهر الوجود في صمدانيته ولا مفرداته من العالم بتعبير عنه من مفرداته بقدر ما عبرت عن ذلك الذات البشرية في وجودها الصمداني النوع الموقوت الفردية. وهذا ما عناه الحكماء يوم قالوا (وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر)^١. فالكائن البشري عالم كبير حكما، ولو ترنم مع القانون الحتمي الذي لا يخطئ لروح الحياة اللانهائي لأصبح ما هو في قيام حكمي متواجد في قيام فعلي. وهذا ما يقيمه الإنسان لما هو دونه من موجودات الحياة وهو يساعد بفعله النواة لتصبح شجرة. فالنواة شجرة حكما وأعطيت من روح الحياة القدرة على خلق نفسها بنفسها. {ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى}^٢ وأعطاها بالإنسان هديها المهيئ لها سبيل الانتفاع بما فيها من قدرة التخلق. وكذلك الكائن البشري قد أودع فيه قدرة التواجد الخلقى المتتابع وأعطى هديه لذلك برسالات الروح الأب، والأم من أزلي الجنس لينتفع بما فيه محولا إليه مع كلمات الله بالأخوة ممن صح لهم وصف الأبناء للإنسان من الحكماء والنبیین والشهداء والصادقين، كتبهم بأيمانهم عنهم، وأناجيلهم بصدورهم عن أزيلهم. وهذا ما عناه الحديث عن حقيقة محمد يوم قال للناس واضعا كلامه في فيه ناطقا بلسانه (ما ظهرت في شيء مثل ظهوري في الإنسان)^٣. ويوم قال الإنسان الأزلي عن المحدث منه (...إذا أحببته كنته)^٤.

إن غريزة الحرص على الحياة، وشهوة الظهور بها عند الفرد والجماعة على تقابل لها من الجنس والكون هي سر الوجود الأزلي والبقاء الأبدى الذي يحمله الجنس والفرد في طياته، ويحمله الكون بدوام تجديد مفرداته لحساب الجنس، ويجعل من الاستهلاك للظاهر والتجديد له استهلاكاً جزئياً وتجديداً جزئياً، يجعل منه مجالات التجديد الغلبة على مجالات الاستهلاك فيه كما في الفرد النامي. وبذلك كان الوجود ناميا في مظهره وعوالم ظهوره، ثمرة للإرادة الصادرة عنه بالظهور والبقاء. وبذلك كان الوجود

قدسي في ذاته، حي قيوم بالحياة على مفرداته. إذا ولد بحقيقته لا يفنى وليده. وإذا ولد بماديته استهلك وأفنى قديمه جديده، أو أفنى جديده قديمه، في صراع سرمدى على البقاء.

إذا أدركنا سلامة ذلك، أدركنا في الوقت نفسه مصدر تدريكه، من مقابلة مفردات الجنس للمفردات الكلية له بما لكائنات الكون في الوجود المطلق من حركة. وعلمنا أن في انتظام تجمع وحدات الجنس وجماعاته على ما نرى وفي صراعها ما يقابل بين كليات الكون من عوالمه، فاهتدينا بذلك إلى أن التجمع الاختياري، والصراع الاختياري، منتهي إلى تجمعات في وحدات فطرية غريزية اضطرارية، لها هي في أحدياتها الحرية والقدرة على صورة الإحاطة، في معراج إلى الكمال النوعي والقدرة به، اتجاها إلى الترنم مع القانون الأزلي الذي لا يخطئ ولا يهزم للإطلاق المنشود، والمتحقق الارتباط به أزلا وأبدا من التواجد بين يدي رحمته. وكان في انتظام هذا التجمع، وفي انتظام الصراع على الكمال فيه سر مواصلة الحياة والنمو بها في الوجود وملء فراغه بالعوالم الجديدة للحياة الممتدة من قديمها الأزلي في تواجد أبدي.

فالإنسان البشري تقتزن معاني الحياة فيه مع حريته. ويقتزن العدم له مع فقدانها. أما الكون المملوك له فتقتزن معاني الحياة فيه مع فقدان الحرية، ويقتزن العدم له مع قيامها، بفقدان المتحكم فيه لسلطانه عليه. فقياس الحياة للإنسان في مجتمعاته هو قسطه من الحرية، ومقياس العدم له هو فقدانه للقسط الضروري لقيام الحياة بها.

والفرد من الإنسان هو معنويات الجهاز الفيزيقي المملوك له وليس هو الجهاز نفسه، والكون بالنسبة له هو هذا الجهاز الفيزيقي نفسه المملوك لإنسان الوعي الكامل له، وليس هو الوعي العارض المسيطر عليه وإن ظهر به.

فإذا تجمعت معنويات الأجهزة من مفردات الناس على مراد واحد، فتوحدت هذه المعنويات في أمر معنوي واحد، ظهر هذا الكائن المعنوي الواحد على جميع مفرداته من الأجهزة بمعنوياته وإمكانياتها جهازا واحدا له. وبذلك تكونت الجماعة الواحدة، أو الأمة الواحدة، أو القومية الواحدة إلى مرجو ومأمول البشرية الواحدة في الإنسانية اللانهاية.

بذلك كانت حياة الكائن المعنوي الجامع إنما هي في فقدان المفردات لمعنوياتها إلى معنويته، وحياتها إلى قيام حريته، وقدراتها إلى عزيز قدرته، وكانت حياة المفردات في قيامها بمعنوية الكليات جارحة لها. وكانت حرياتها في تمثيلها لإرادتها ارادة لها، وحياتها في فقدان ذاتها قياما بها ذاتا لها. وبذلك كان العدم الفردي هو عين الحياة الكلية للمفردات، وكانت صحة الحياة الكلية في إدراك مفرداتها لقيامهم

بمرادها ومعنوياتها حول فرد مسحها الذي كان معنى الفرد فيه بعدمه عنه هو أمته بجماعها. وكانت الأمة السليمة هي فردها الجامع لها.

وبذلك يدخل الفرد في دائرة الإحاطة ويبقى بها ويمثلها عند نفسه من جماعتها. وبذلك تشهد قدسية الوجود في شهود قدسيته، بوصف جمعه، ووحدانية الوجود، في قيام وحدانيته أمة واحدة. وفي إدراك هذا والقيام به قيامة الحق بقيامته. وهذا ما جاءت لتقدمه معارف الأديان النقية مع مؤسسيها فتفرق الناس بها عنها وعن مصايحها لهم.

إذا كانت هناك كليات آدمية في مجال لا نهائية الوجود الإنساني، تجدد نفسها بدءاً من وحدة جزئية لها ما زالت في عالم النشأة والبدء من بشرية هذه الأرض، وتواصل نمو حيويتها بإنهاء الحياة عن أعضائها العاطلة فيها لتجديد أعضائها أصلح تجديداً جزئياً لمفردات ذاتها في وحدتها بخلق الجزئيات الناشئة الفتية المرجوة لها عن طريق التخلص من مفرداتها الهرمة المثقلة بها بالرد إلى أرض النشأة، وعرفنا أن هذه الأرض هي عالم البدء والإنشاء لهذه العوالم الكلية دائماً، كانت مفردات الناس من البشرية عليها في ظل هذا القانون، في طريقهم إلى استهلاك لقديمهم بجديدهم من نشأة، وفي هذا خيرهم ما تعجلوه ولم يتوقفوا مع قديم رث بال منهار. فإن حرصوا على قديمهم كان مدخلهم على هذا الظاهر من حياة الجنس في ظل هذا القانون إنما هو جيئة ببحوية تسير إلى ما هو دونها، لا ببحوية تسير إلى ما فوقها استكمالاً لقوة مدركة مرجوة.

وليس معنى هذا أن هذا المدخل حاكم للاتجاه في هذه الحياة حكماً جبرياً وهي التي بنيت على كامل الحرية الفردية والاختيار الفردي. فقد يتقهقر القوي المدخل إليها بقصد استكمال نفسه إلى الضعف بمؤثرات سوء اختياره لقدمته، كما قد يفارق الضعيف ضعفه بمؤثرات إحاطته في حسن اختياره لمن يكون عليه التجمع، وفيه الاقتداء، وبه الأسوة. فسلامة الدين في الاقتداء والتأسي بالمثل العليا.

إذا عدنا إلى ما بدأنا به من تساؤل البشرية عن زمان ومكان وصور نشأتها، نجد أننا بهذه المقدمة قد دخلنا إلى الموضوع من الباب الخلفي له. والواقع أن هذا هو المدخل العقائدي لا بل هو المدخل الممكن الإجابة به إجابة مباشرة على التساؤل البشري في عوالمه. كان هذا هو المدخل الذي دخلت منه جميع الديانات على موضوع النشأة الإنسانية. إذ أجلس الإنسان في كماله وبكرسي سلطانه على عرش الحياة الأزلية كأحدية حية من أحييات الوجود المطلق، وعالم من عوالمه لا بدء ولا عد ولا حد لها ولا توقف لها عن تواجد، وعرفت عنه بمعنى الحق الأول، ووعدته للاجتماع عليه الحق الآخر، وجعلت الارتباط بمعناه والقيام بمعناه في تصوير يستوعبه العقل أساس ما قدمت من علم وعقائد، ليراه المؤمن في مرآة نفسه من قلبه في عالم ذاته، فتفتتح لنفسه أبواب المعرفة، وتندفق على

عقله ميازيب الرجاء، فيحيا منه قلب القلب، أو يحيا منه فيه القلب الغير متخلق، في هيكل القلب المتخلق بغيبه من الحياة المطلقة، ويتكشف للعقل القلبي ما وراء حجاب الهيكل المظلم بعيون وآذان وأنفاس القلب الحي المضفي بالحياة يستمدّها من العقل على هيكل الوجود للذات كقلب متخلق ونواة لكون وعالم جديد، فيتحرر لطيف العقل من الرباط الطاغى عليه بمادة بيته، طائرا حرا في ملكوت الوجود الكبير، في الدورة الدموية البيضاء أو الحمراء للوجود، بما لا يلبث أن يأوي إلى عرشه من هيكله طلبا لمعروفه، طائفا ببيت قدسه للملكوت الأكبر بين جوانحه حول سراج القلب في مشكاة الصدر.

أما الرسالة الفطرية الجامعة للمعرفة مع محمدّها من العقل الكلي، المتواجد على الأرض بوجوهه المتكاثرة، في دثار من صور الناس في البشرية، فقد دخلت على المعرفة من الباب الأمامي، وقد شرفت العقل، وعذرت النفس، وقربت الروح، وأقامت الهيكل، وجددت اللباس، وأحضرت الغيب، وغابت الشهادة، وعادلت الظاهر بالباطن، وعرفت الباطن بالظاهر، وقدمت الكل في كنه الجزء، وكبرت الجزء إلى رحابة الكل، وفتحت أبواب الحياة للفقراء للحياة.

كيف يدرك الكائن الغير موجود بالحياة معاني الوجود الحي؟ بل كيف يدرك الكائن الموقوت الكائن الأزلي؟ كيف يدرك الكائن المحدود الكائن المطلق؟ كيف يدرك الجهل كله العلم كله؟ كيف يدرك الظلام النور وهما لا يجتمعان؟ كيف يدرك الجسد الروح وهما لا يتوحدان؟

إن عدم قدرة الجسد على إدراك الروح لا يحط من قدر الجسد، ولا يرفع من قدرة الروح. وأكثر من هذا فإن هشم الجسد أو تعطيل وظيفته كجسد لا ترتضيه الروح وإن هيا لها أسباب الانطلاق. فالجسد كينونة لها طريقها في التطور والرقى المنتظر على مثال من قديم لها وهي التي انتهى بها وجودها إلى هذه الصورة الجسدية بدءا من شبه العدم الذاتي في نشأتها هذه من قديمها الحالي من أصلها البشري، فهي الآن بدورها مرة أخرى في شبه العدم الذي كان لها في نشأتها من حاضرها تجديدا لتقديم لها بعلقة وبويضة ظهورا من مجهول عالم إرادتها. فالروح تستريح لسلامة الجسد فعملها وظهورها به في هذا العالم من مجتمع العوالم القائم لرب العالمين من الناس.

ظاهر أننا نعني بهذا الكشف عن فعل القانون الصادر من الإرادة اللانهاية {كما بدأنا أول خلق نعيده}، وهو ما يقوم في الطور الواحد نفاذا لقانونه الدائب {خلقكم أطوارا}، وليس لنا في هذا ما نضيفه إلى أنفسنا. إنما هو توجيه قانون هديه {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}، ومذكرة بيانه {فلينظر الإنسان مما خلق}، لقد بدأ الإنسان الحياة على ظهر هذا الكوكب في عالم غيبها عليه من عالم إرادتها به علة تخلقت في صلب أبيه، خلقتها إرادته الفاعلة الجبارة في جهاز عالم ذاته، خلقتها من

طعامه المستهلك في نار حضرته من عوالم الحياة النباتية والحيوانية، مما ولدت هذه الحياة الأرضية بنظمها الخالدة وقوانينها السرمدية في وجودها الأبدي، وليدة والدها الأزلي المرئي بالوجود المعروف بالإطلاق. إن هذه العلة تحمل في ذاتها سر تكوين مصنع إنشائها نواة لجديد منه، كما تحمل في معنوياتها سر تجديد معنوياته بها جديدا له. فإذا هبطت من عالمها العلوي الغيبي عليها إلى عالم الأم غير المدرك لها، ولقيت فيه أرضها في ظلام رحمه فدخلتها فأخصبتها وأحيتها أرضا طاهرة حية قام عالم الأم على تطويرها لتكون أرضا جديدة هي القلب، وعالما جديدا هو الذات، حتى إذا ما تواجد وليد الوالدين أو الحقين منفصلا عنهما بعد انشقاقه المتتابع عنهما ومواصلته الانقسام والاجتماع في ذاته، بدأ العالم الثالث للعالمين قيامه في رعايتهما، أو الحقيقة الثالثة في رعاية حقيها، وفي ارتباط هذا الثالث من العوالم في وحدة مترنمة لقانون الحياة، متجددة الظهور بجديد لها أبدا، مواصلة التكنز والتقدم في أزل متخلق لمعانيها سرمداء. تعارف جديدها لقديمها ربا له، وتجدد قديمها من جديده عبدا له، فتعادل القديم مع الجديد في أوصافه، وتعادل الجديد مع القديم في اتصافه. تعارف الإنسان إلى الإنسان، وآمن الإنسان بالإنسان عبدا وربا، ومخلوقا وخالقا، وحادثا وقديما، ومدركا ومجهولا، وقائما وغييا، فقام الحق وزهق الباطل. وهذا أمر لا يدرك إلا للعقول القارئة لكتاب الوجود في نفسها، العاملة بقانون الحياة السرمدية الذي لا يتعطل، والمدركة للهدى الأزلي، (ابدا بنفسك ثم بمن تعول...) ^٩ و{ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير...} ^{١٠}، فتقوم البشرية الموعودة للكافة من الإرادة الأزلية {فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد...} ^{١١} أو يقوم الإنذار الأزلي {اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسييا...} ^{١٢} وتقوم الحياة نفاذا للقانون على هذا الوعي {علمت نفس ما قدمت وأخرت} ^{١٣}، {إما العذاب وإما الساعة} ^{١٤}. (إنما هي أعمالكم ترد إليكم) ^{١٥}.

فإذا كانت العلة من الأب قد دفنت نفسها في أرض البويضة من الأم فمت البويضة إلى أرض صورة قلب، وانطلقت العلة فنسجت حول هذه الأرض عالما كاملا من الذات، واستوت على عرشه من الرأس، فإن هذه الذات بالنسبة لمستقبل لها لا تعادل إلا ما كانت العلة بالنسبة لما تواجد بها.

فإذا قال وعي الجسد بضرورة الرب المعبود فهو روحه. وإذا قال بالإله المعروف فهو معنى الحياة فيه. وإذا آمن بالرسول فهو كبير نفسه وهو العقل الكلي لعقول مفردات الأعضاء فيه. وإذا خال الشيطان فهو حرصه على مادته وجسمه. وإذا وسوس له وسواس فهو غريزة شهواته لحساب مادته. وإذا عرف ربه فقد دخل قبلته في قلبه فخر عقل، وحكم نفسه، وطور هيكله.

إن النعمة في تحرر العقل من سجن النفس. وفي تحرر النفس من سجن الذات. كما أن النعمة في احتباس العقل في دائرة النفس، واحتباس النفس في دائرة الحس الميكلي.

فالإنسانية السوداء من إنتاج الجلباب الترابي، والإنسانية الحمراء من إنتاج النفس الحرارية، والإنسانية البيضاء من إنتاج الوعي البشري المنير.

أما الجلباب الترابي فهو تطور الحياة المعدنية والنباتية، وكذلك النفس الحيوانية هي تطور الطاقة الحرارية المكتسبة من الشمس المرتدة من الأرض في جلباب من التراب. وهي سير الطاقة والحركة الكامنة في الحياة الأرضية على اختلاف مستوياتها، وهي تطور الحياة الأرضية في زمنها من العمر الترابي الذي يأخذ شكل الجلباب الترابي الذي تطورت فيه، أو الجلايب المتعاقبة التي تطورت فيها. والإنسانية الحمراء يقف تطورها عند هذه الطبيعة البشرية، تجدد جلايبها الترابية فيها على تواصل، وتجمعها فيها على تفاضل، وتطور في ذاتها إلى رقي لا نهائي يتسع ويرتقي باتساع سيادتها المرضية عندها على مفردات من الجنس الترابي الممكن منها بكلماته، فهي قيام إنساني حقي على أساس من الطاقة والأعلى منها يدرك التفاضل وينتظم على أساس من الإيمان به.

أما إنسانية الوعي البشري فهي تطور من البشرية إلى المقام المحمود لها شوقا إلى مصدرها من روح الحياة للوجود، بتناسي الذات والغاية الدنيا إلى ما وراء وحدانية الكل أي إلى المحبة الخلاقة.

ومن وحدة الإنسانية بألوانها تتواجد إنسانية الحقيقة في حضرات هي الملاء الأعلى وهو عالم الحقيقة المدرك لوحده، كل واحد من مفرداته علم الوجود في ذاته وملاء صفاته. وهؤلاء أعلام لا تطيق الأرض وطأتهم، ولا يتواجد على الأرض أو على الكواكب أو عوالم الروح إلا مجال لهم في دورة منتظمة من أوادم بدايات للجنس في مختلف مستوياته، بالتطور في ثياب ألوانهم من طبائعهم. ولكل وقت ولكل جمع آدمه بمجال له منهم في دوام منتظم مترنم مع القانون السرمدي.

إن أوادم الجنس هم الأبواب الأمامية للدخول على حقيقة الإنسان أو حقائقه المتعاقبة في معراجها. ولا يخلو زمان أو بشرية من تواجدهم ولكن دورة الظهور لأحدهم هي ظاهرة كونية للأكوان، وظاهرة روحية للأرواح في آن معا، قل أن يجود الزمان بظهورها لا شحا منه، ولكن مزيدا من الرحمة بالجنس وعوالمه، وتوسعة في العطاء لمفرداته من روح الحياة اللانهائي.. إذ بظهور هذه الأوادم أعلاما على المعلوم المطلق تتحدد معاني الكفر والإيمان لمفردات الناس، ويصبغوا بطابع أنفسهم من حاضر فعلهم واختيارهم، ويتركوا لهذا السير حتى يغيروا ما بأنفسهم مع مظهر ينتظر في قابل حيواتهم المتكررة في جلايب الأرض، وفي هذا خسران لهم وحيوات سبقت في هذا الانتظار. ومن

يدري ما يكون من أمر حيوات تلحق في هذا الانتظار دون جدوى ما دام الأمر مرده كامل الاختيار!

إن في ظهور أعلام المعلوم من الأوامر إنما هو ساعات فاصلة في حياة الناس، وبقدر ما يكون هذا الظهور بقدر ما يكون الابتلاء، والمسئولية تنتج عن المخالفة والمباعدة. وبقدر ما يكون الخفاء منهم تكون النعمة وسعة العطاء للمؤمن والمستجيب مع الموجود العامل بينهم في القيام، كما يتخفف عبء المسئولية عن المباعد والمخالف بدرجة الخفاء ومستواه.

إن تواجد وظهور أعلام المعلوم من الأوامر الخاصة بالحببة هو ما أسمته العصور القديمة للأديان بالقيامة. وظهورهم بالسلطان هو ما أسمته بالساعة. والارتباط بهم هو ما أسمته بالطريق. والدخول في معانيهم هو ما أسمته بالتحقيق. وفوات الحياة بهم والمباعدة لهم هو ما أسمته بالهلاك والنار.

لقد بنيت جميع تعاليم الأديان في العصور القديمة على تجمع مفردات الناس على المثل العليا بينهم، على مثال مما هو في الحيوات الجنسية الراقية لأهل الكواكب المتقدمة في الحضارة الذاتية والنوعية للجنس البشري عليها من الملأ من أهل السموات، محاكاة منهم للمثل الأعلى لحضرات الحقائق المجردة من عوالم المعاني.

وقد جاءت تعاليم الرسالة المحمدية مجددة للإسلام الفطري ميسرة لأمر الارتباط بالباب الأمامي للدخل على الحقيقة، بافتراضه معروفا عند الطارق في وجه كل إنسان حتى يكشفه له القائم على كل نفس من الموجود المطلق وجهها له، في حال صدق الطلب بتيسير من تدبير المطلق لأمر لقائه، وإن كان الرسول لم يترك أمته مجهلا عنه من نفسه وإن جهل عنه في الناس من ربه.

إن كل فرد من مفردات هذه البشرية قد دخلها ويسراه كتاب يشمل جميع خطواته في هذه الحياة الظاهرية وما قبلها عن ارتداده من أحسن تقويم، هو لهذا الكتاب يمين. فإذا انتقل هذا الكتاب بجديد مرضي من عمله من معنى يساره لمعنى يمينه، فكان الكتاب يمينه قرأه وأدرك ما فيه، واتبع الحسنة السيئة فمحتها، وعاد للحياة الروحية نفورا بما قطع من أشواط التواجد، وبما ربح من معارج المعرفة بهذه الدورة من الحياة. أما إذا بقي يساره كما دخل به وخرج منها وهو في وضعه فقد سقطت هذه الدورة من الحياة من حياته أو حيواته. وقد دخلها ميسرا لما خلق له وخرج بنواياه وما خلقت له.

فمحمد ذاك الذي نقل كتابه ليمينه فقال هاؤم اقرأوا كتابيه بعثا بالحق وقيامه به في حياة مقبلة في عالم الروح أو عالم الذات. وما بعث به محمد الرسول من الحق يبعث به كل مبعوث بالحق ممن طلبه وعمل

لقيام الحق به بتعبيد نفسه له وتسليم ذاته ليد قدرته مبسوطه في عباد له، على نتابع في تواجد في قادم أو قائم من حيواته.

ومحمد الرسول في بعثه ورسالته في قائم حياته بكتاب يمينه من قديمه مبعوثا به في جديده، ما بعث إلا لیتتم مكارم الأخلاق في الفرد للجماعة، ويبدأ بمعناه قيامة الجنس بالحق. فلم يبعث بنشاذ من الحق أو بمعدوم أو مفقود من رسالة فقد جدد بكتابه لأمته ما في الصحف الأولى أو الأمم الأولى لكل رسالة عنونت بدء العبودية لأمة من عباد في طريقهم للتواجد الذاتي من عوالم الروح، كما جدد ببعثه بالحق بدء العباد في طريقهم للتواجد على الأرض عوالم من عالم الروح هو لهم قائد ورب، ولأهمهم حق وبدء، ولعوالمهم إمام وركب. فعنون ببعثه وحقه ربا لعالمين علما على المعلوم المطلق من الله في أنفسهم، دورة لآدم أوادم له، وبدءا لبدايات تقادم له، مخلصا وبشيرا، ومحققا ونذيرا، على سنن من سبق محمد، وعلى سنن من لحاق وعد فكذب. وما كان شرفه في ربوبيته خلفها في قومه، ولكن كان شرفه في عبوديته حفظها واحتفظ بها لمعراج ذاته وأنانيته قدوة بها لسائر العوالم.

فالإسلام لله ورسوله - على ما جدد محمد بتعاليمه وهديه - يأخذ مسلكين يتميز أحدهما عن الآخر تمييزا تاما على ما كان من الأمر في الأمم والرسالات السابقة تماما. أن يتعارف المسلم للرسول إسلاما لله من المؤمنين بكتابه إلى إمام له يتابعه من بعده على ما تابعه عليه في جزء حياتهما الأرضية المشترك، أو إماما أخرجه سابق عليه اللهم إلا إذا كان المؤمن قد أوصله الرسول أو الإمام إلى ما وصل إليه، وأخرجه للناس مشيرا إليه إماما لهم، وبذلك وجب على من عرفوه متابعة رسول الرسول في أمور دينهم.

فإن لم يكن المسلم للرسول قد شهد، ولم يعرف له في عصره من يتابعه ممن أخرج الرسول للناس، أو ممن أخرج من أخرج الرسول، واختفت من أمام ناظريه سنة التتابع للمثل الأعلى المرضي، ووجوه المتابعة بحكم المتابعة على هدي الكتاب وسنة صاحبه، وجب اتباع المسلك الثاني من حسن الظن بالمعبود في الكافة، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر مع أي من الناس حسب الاجتهاد والتقدير الشخصي، (عض ولو على جذع شجرة)^{١٦}، مع التهيؤ لاستقبال الإمام المعتقد وجوده والمنتظر للقلب ظهوره في حال لقائه، إذا ما تهيأت الأسباب عنده لذلك، مع اعتقاد دوام قيامه في الناس ويقين تجدده بينهم بتجددهم بالموت والمولد بغير انقطاع.

أما المنتظر من أمر الله بمعنى الساعة فهذا له شأن آخر ولا يمت للهدي البشري بصلة. فهو الساعة في وصفها بالمرارة والقهر لجاهديها والمنكرين عليها من دوام قيامها بعباد رحمته، ومصابيح نوره، ووجوه الحق من قدسه. إنها ظهور عبد استقامة على الأمر منه وقيام في موازين العدل به لأهل المكابرة

وأهل الغفلة من خلقه، وقد جحدوا سلطان رحمته معهم لخلاصهم من قوانين عدله القاضية في استقامة تطبيقها بهلاكهم على دوام من قيام، وتواجد وظهور وعمل، وقد عطلها سلطان رحمته بقيام عباد حضرة الرحمن بينهم، {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم} ^{١٧}، {واعلموا أن فيكم رسول الله} ^{١٨}، فظهور عبد العدل بسلطانه لا يكون إلا بعد تخلي القلب عن القلب في عباد الرحمن فيقومون على الناس بنفوس قوالهم ولا يتعاملون معهم بحج قلوبهم، وهو ما يشفق منه عباد الرحمن أن يكون لما يعلمون من شدة وطأة الحق على الباطل إذا عولج من خارج النفس البشرية التي حاولوا خلاصها بهديهم ومثاليتهم لها وإفاضتهم بأنوارهم عليها رغم ارتداد هذه الأنوار إليهم لتغلف النفس في جلباب ظلامها ووجودها بقدس ربها فيها وقبلته أمام ناظرها، فيصدر إلى قلوبهم الأمر بالتخلي وعدم الحيلولة بين الناس من خلقه وبين مظاهر عباده وهو ما يطلبه الناس من ربهم بجهلهم، ويشفق منه أهل العلم لخيرهم ورحمتهم.

وها هو الملائ الأعلى الذي جاءت منه رسالات الرحمة التي ختمها محمد لبقايا من قبله من أمم الرسل، وبدأها بعبوديته لسائر من بعده من العباد لأمة البشرية واحدة، يتلافى هذا الانحدار إلى الهاوية في انتظار هذا المطلب الخاطئ الذي جعله محترفو الأديان ستارا يحجبون به أهل الحق بين الناس عن الناس لحساب أنفسهم بمعناهم، فكانوا به جنود الباطل وأبالسة القيام مما كاد أن يذهب بسلام البشرية ويقضي على حياتها المادية بعد أن قضوا به محترفين شهوة الاسترزاق بالدين على حياة الجنس الروحية والمعنوية.

ها هي الروحية تجدد من واقع الاتصال الروحي العلني المدرك لظاهر الإنسانية من عوالم غيها رسالتها الأزلية، على رجاء دوام بها لدوام تجديد نصيب الحق بعباده بين ظهرانها، قبلة صلاة لجماعاتها وبيوت طواف لبيوت الاعتماد بها.

ها هو ركب الأرواح المرشدة يزحف منتصرا يتقدمه الروح المرشد العظيم رسول الروح الأعظم وقبس النور لروح الحياة اللانهائي السيد (سلفريش) الرفيق الأعلى لذوات الرسل من البشرية الذي عمل معهم جميعا، وهو مثال الإنسان الكامل للبشرية من جمعها المتواجد في الملائ الأعلى من الآباء من أوادها من رفاقه، ظهورا لآدم أوادم على أرض آدم على ما سبق أن بلغ الرسول (لا تقوم الساعة إلا ويظهر على الأرض آدم) ^{١٩} عودا من السماء ذات الرجوع وإنذار قيام لذي قرنيتها من الأرض ذات الصدع.

ننتهي بذلك كله إلى أن الحق والمعرفة يتحد في جميع الأديان عند مؤسسيها ومجديها من قبل محمد ومن بعده، وأن الدين وحدة من حلقات متصلة بكتبه وأزمانه، وأنه لا يستقيم عند أمة من أممه على

أساس من كتاب لها إلا في ربط ما في الأمم الأخرى، وما في الكتب الأخرى لتكشف ما وراء الألفاظ في كل تبليغ. وقد اختصت كل رسالة بتفصيل عن زاوية من زوايا الحقيقة مع إجمال عن الأخرى أو مجرد إشارة إليها.

أما الطريق أو السلوك إلى قيام الحقائق في النفس وإدراكها بالذات، وهو ما عرف عند أهل الأديان من أهل المعرفة والصدق والإيمان باليقين، فقد رسمت له في جميع الأديان طريقان فطريان.. المجاهدة الفردية المنفردة استقامة مع نبع الذات وراء مدرك العقل دون مرشد خاص، أو القيام في ذلك مع مرشد خاص تقوم العلاقة معه على أساس الإعجاب به والرضا عنه والحب له، والمطالبة للنفس باحتذائه في العمل والخلق، والرضا بمواصلة الحياة معه في دنيا التواجد وأخراه، طلبا للمعرفة عن الله في النفس.

أما سالكو الطريق ابتداءً أو انتهاءً بالارتباط بقدوة مرتضاة فسلمون تلاميذ انتفعوا بالرسول والكتاب وقد بدأوا الحياة ويواصلونها في الحياة الروحية مع إمامهم مظاهرين له ومظاهرين منه لاستكمال ما فاتهم. فالطريق هي التسامي بالمعرفة وكشف الغطاء من النفس المظلمة عما يكمن فيها من نار الحياة ونورها في جلايب الظلام والتراب لها. والطارق إلى هذه الغاية هو العقل الممتطي إلى مراده للنفس الحيوانية، والمطروق هو الذات الكونية بتطويرها إلى الوجود الأكبر لها بالحياة المتكيفة عن تطوير النفس المستجيبة لمراد العقل، المجددة لمادة الذات خلف من سلك هذه المسالك وعرج هذه المعارج، من رائد صالح بالمؤاخاة والمحبة والتفاني إلى الغاية بمصاحبة روحية معنوية دائمة له في كل الأوقات والأعمال بأوصافها من الطاعة والغفلة.

أما سالكو الطريق خبط عشواء ممن يجاهدون أنفسهم فرادى بتوجيه عقولهم فسلمون فطريون، في حاجة في حياتهم الروحية لإمام ونبع حياة قد يصادفهم في الحياة الروحية إن أحسنوا الاختيار له، وصدقوا في حياتهم الأرضية الطلب للرباط به والشوق إليه من مؤسسي الأديان أو مجددتها، فيبدأون الحياة معه فيها مظاهرها لهم ومظاهرين له، وهو ينتهي في دورة لهم إلى إلحاقهم بإمام لهم من الأرض، وهو ما فاتهم زمن التواجد عليها.

وسالكو الطريق الأول قد لا يحتاجون إلى موالد لذواتهم كثيرة في الحياة الأرضية في حال صدقهم، وقد يكفيهم أن يعودوا أرواحا مهيمنة بعد إفاقتهم من سكرة الموت حتى يتيأ لهم أن يعودوا إليها بموالد هداة مبعوثين أو مع هداة صديقين لهم باختيارهم وبعد إعدادهم باجتياز لمجالات للإرشاد والهدي. أما سالكو الطريق الثاني فالعودة بالمولد في هذه الأرض أجدى عليهم، ولهم إليها حاجة، ومنهم إليها حنين حتى يتخذوا لهم قبلة إمامية يشهدونها في حياتهم الأبدية المتواصلة بعينها فيهم قوام

قيامهم معها يتوحدون، إلا إذا وصلوا لهذا الوعي مع من ألحقوا به في حياتهم الروحية من إمام في البشرية.

ما دعا داع صادق إلى الحق إلا دعا الناس إلى الحق في أنفسهم على ما عرفه في نفسه، مؤمنا بالحق قائما فيمن دعاهم إليه في أنفسهم. وما كان داع لمن دعا إلا مثلاً مضروباً يحتذيه موعوداً لنفسه منه بما شهد ويشهد فيه. فهو أبوته أو معلمه أو ربوبية اختياره وجهاً لوجه في ربوبية وألوهية اضطرارية للموجود الأكبر الجامع لهما في القيام وفي روح الحياة اللانهائي المطلق، وذلك في ظل قيام وعمل قوانين الفطرة للحق الأزلي المنفرد من روح الحياة الأعظم اللانهائي.

إن علاقة الإطلاق بالموجودات ليس للموجودات فيها اختيار، ولا توصف الموجودات معه بالعباد، ولا يوصف هو معها بالسيادة، بل بالقانون الخالق والمتجلي بالخلق، فلا توصف العلاقة له مع الموجودات بالربوبية في الحقيقة. فالعبودية والربوبية لفظان للتعبير تعنيان معاني السيادة والمسودة أو القياد والانقياد، وكلاهما وصف في عباد الله مجتمع لكل عبد لله في نفسه، يقوم عليه به قائم منه، ويقوم هو به على من يقام عليه منه.

فكلما اتصل العبد بعباد الله توحد معهم، وتجدد الاتصاف لأحدهما مع الآخر تبعاً للاتجاه الداخلي أو الخارجي للناظر والمنظور في وحدتهما من المركز الموجه أو المحيط المتجه الموجه، أو من المحيط الشامل الموجه، أو تبعاً للاتجاه الزمني من القبل والبعد عندهما في اتصاف الأب والابن، أو الخالق والمخلوق، أو في الوجهة إلى الإطلاق استقبالا منه في وحدتهما، أو انطلاقاً إليه بشتاتهما. والإطلاق يحويهما ولا يتأثر بهما وإن تأثرا به في أمرهما وتطورهما.

فالبحث عن الحقيقة في الواقع يقتضي البحث عن المعلم، كما أن يقين الحقيقة في الوجود يقتضي يقين المعلم في القيام، وصدق الباحث في الغاية، وصفائه في الطلب يحدد نوع ومستوى المعلم المحتمل الاجتماع عليه وزمان الاجتماع به.

ليس للإطلاق بوصف الحقيقة صفة زمنية أو مكانية أو نوعية، ولكنه يتحدد بصفاته عند المعبد لنفسه، المنطلق حسب اتجاهه من القبل والبعد، أو إلى الخارج المحيط أو الداخل المحرك، أو الكيان المحكوم والكيان الحاكم بين نقطة المركز من القلب ودائرة الذات، أو نقطة الذات ودائرة الهوية.

إن العقل المفيق والقلب الحي في الذات المتوحدة بهما بمفردات الجوارح البشرية لهما يكونُ أصدق تصوير لمثال الحقيقتين المتوحدتين وملحقاتهما في دائرة ثلاثة لحق لهما، تمثل المطلق المحيط عندهما، فأحدهما

عقل للآخر أو قلب له وبالعكس حسب الأحوال وبلا تمايز، وقد يتكون الثالث من الهيكل الواحد إذا شارك وحيا الجلد مع الضفيرة الشمسية للعقل والقلب.

وتظهر آثار هذه الوحدة في صورة من صورها في ارتباط شخصين من البشرية عن طريق الرباط النفسي في روابط التنويم المغناطيسي، وكيف يتغير بها حال النائم إلى ما في جوهر المنوم من إمكانيات الروح المتحد، باعتبار جسد النائم جارية لمعاني الوحدة في الروح المتحد للمنوم، يوجهها العقل الظاهر من ذات جهاز المنوم، وهذا طبعا مع فارق إمكان تبادل الوصف والمقعد في المخاللة الروحية الكاملة في حال التعادل في دائرة الوتر بالثالث لهما، المسوى بينهما والجامع لثالوثه فيه بهم بسلطان غيبه.

فإذا قلنا إن البشرية وحدة، وأنها واقعة تحت سلطان روح جامع لها بتأثير أرواح جامعة فيها في هَرَمٍ منتظم، وأن هذه الروح وما فيها بدورها مع مثالها يقعون تحت تأثير روح أكبر في تهرم أكبر، وأن هذه أيضا مع مثالها يقعون تحت تأثير روح أكبر لهم أكبر، وهكذا، استقام وعينا في روح الحياة الانهائي، وأمكنا أن نقدر أن الروح الجامع للبشرية يمكن أن يكون من بين أبناء هذه الأرض، سواء في سابق أو لاحق أو قائم، وأن صاحب المعنى أو قائمه كان له سوابق ويكون له لواحق ظهور عليها، وبذلك يستقيم فهمنا عن آدمنا. فإذا قلنا إن الأكبر والأكبر منه كذلك كان لهم ظهور أقدم فأقدم، ويكون لهم دوام ظهور أبعد وأبعد، أدركنا أن هذه الكلمات من الأرواح هي بدايات الحياة المبعوثة على هذه الأرض بمن أسميناهم أودام أو كلمات لله أو أرواح قدس الله أو عباد اصطفاء الله، وذهبنا في هذا إلى مجهول الزمن من الماضي والمستقبل، أي مجهول الخلق من الخالق، لأزلية الخلق بأزلية الخالق. فأدركنا تعبير الرسول في هديه (قبل آدم مائة ألف آدم) ٢٠، وأدركنا ما أراده الرسول بقوله (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا) ٢١ ومراد الكتاب إذ يصف الناس وهو يتوفاهم في منامهم، وأنه يتوفاهم إلى حال الوعي بالموت عنهم، فيبعثون بالحياة أحواضا لها بين موتى الناس، فأدركنا مقالة عيسى عليه السلام، وهو يقول لأحد حواريه (دع الموتى يدفنون موتاهم وابق مع الحياة) ٢٢، كما أدركنا قوله عليه السلام إذ يتوجه به إلى الأب الذي آب إلى غيوب لا تدرك له، مدركة عند أبيه وربّه {تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب} ٢٣.

فإذا حقق منا لنفسه محقق هدي رسول الله من (موتوا قبل أن تموتوا) ٢٤، وهدي الكتاب وقد ضرب ابن مريم لأهله مثلا فإذا قوم محمد به لا يؤمنون وعنه يصدون، عرفنا أن تواجد كلمات متتابعة لله في الجنس البشري الذي هو دوام آدم أمر ميسر ومبشر بل وضروري، وأن آدم وهو وحدة الجنس البشري بلا بدء يدرك لنوعه في أراضى الوجود وعوالمه يتلقى دواما هذه الكلمات حيث يوجد

بأراضيه وعوالمه، وأن تواجد كلمة تامة بين مفردات الجنس إنما هو ظهور الروح الأب الجامع للبشرية في بيئة مفرداته في جلباب الجسد للمعنى المستكمل للحياة ودوامها كهيكل لظهور كلي الحضور من الروح والذات علما على الأقدس من الرفيق الأعلى من الإنسان عبدا ورسولا له، وأن هذا أمر فطري وقانون دائم ما دام الجنس في وصف آدم المخلوق من آدم الإنسان الخالق.. ينتقل حاضره في وعيه العام، وعقائده من الوعي الخاص لخواصه، إلى مرحلته التالية في سلم معراجة البشري، باعتقاد قدس الإنسان في روحه ونفسه وذاته، بتعميم وصف وصفات الكلمة على مفرداته، والعمل للبعث بها مشهودة بالمتابعة لها، موجودة في نشأتهم الفطرية الأرضية المتطورة، على اختلاف المستويات لها، وهو ما سوف يكون بعد مرحلة وسطى من العمل واليقظة في ظل انتشار حقائق الدين على وجهها الصحيح باستقامة الجميع على أمره، في السياسة والاجتماع والعلم والمنهج، باستجابة نداء السماء والرسالة الروحية الحديثة.

إن عالم الروح من البشرية الأرضية تقوم مثله العليا في كلمات الله من أبناء الجنس، وهي معاني الحضرات الربانية فيه، والبيوت التي يذكر فيها اسمه منه، ولكن لا يظهر أمرها على الأرض سافرا في تواجدها لعدم استكمالها لصفات الإنسان، للجلباب الأرضي لها، إلى معاني ذي القرنين الذي يتواجد منها يقوم على البشرية باسم الله الرحمن الرحيم، وهو ما تم دون سفور به لكلمة الله التامة في جلبابها محمد، ليحكم بما أنزل إليه، وتعرض عليه الأعمال في قيام دائم، أما قيام من قام باسم الرحمن الرحيم على عالم الجن كسليمان وأمه من صوره فقد كان فيه مثالية لمن قام بها في عالم الروح من الإنس كعيسى حيث ملكوته من النفوس النورانية، أما تجمع هذه الكلمات ينتظمها حضرة ربانية لعبد الله وحدتها الروح العظيم المعروف بروح القدس، ليقوم بها في وحدة كإنسان واحد أو حق واحد، فهذا لا يتواجد إلا في وحدته من الملأ الأعلى، وروح القدس مجتمعه من كلمات الله فيه جوارح له، فينتظمه عالم إنساني من الحقائق السابحة في روح الحياة المطلق اللانهائي، وهؤلاء يجتمع لهم فيهم معاني الأحدية والواحدية، ومنهم تنبع صفة السيادة، وبهم تقوم صفة المسودة يفيضون الربوبية والرحمة والمعرفة على عباد لذوات معانيهم بالأبوة، فيظهرون باصطفائهم من الناس بين البشرية كمجالات لهم، كما يظهرون أيضا بمجالات لهم في عوالم الروح يعنونون لأنفسهم كمال الإنسان وحقائق الرحمة وحضرة الإحسان، وهي الحضرة المطلوبة والمنشودة لمطالعة صفات الجمال والجلال للمعروف المنزه والموجود المطلق المذكور في معارف الأديان باسم الله وكلمة الله ولفظ الله، ويعينون طالب المسودة بالعبودية على تحقيق طلبه.

في عالم البداية من هذه الأرض لأهلها تبدأ الحياة فيضاً من أزلية الحياة ولانهايتها المرة بعد المرة، بدءاً بعد بدء، وبعثاً لكل بدء خلال الجديد من كل بدء. وبدوام بدايات الحياة بمفردات الإنسان عليها تعرف أبدية الحياة لأهلها، وبعث مجالات القديم من خلال الجديد تعرف أزلية الحياة لها.

وعلى هذه الأرض يظهر رجال الملاء الأعلى بحقائق العبودية بين ظهرانها مشهودين لعوالم الروح بمعاني الربوبية في مثالياتها، سماءاً لسمواتهم، فيستقبل عالم الروح من أهل السماوات، ممن لم يستكملوا معانيم لقيام الإنسان الكامل، البيت الأعلى الموضوع علماً على الغيبي عليهم، المرفوع عن مستوياتهم، قبلة صلاة لهم، في حرم الوجود، لدائرة مركزها الأرض، اتجاهاً إلى مظهر الأكبر من الحقائق في منسك العبادة لله، والتطلع إلى وجهه الكريم، في طلعة له توحدت مع الأقدس.. وقامت في تقييدها به، علماً على مطلقه من القيود، وغيبه في اللانهائي المعروف بالوجود، والمعبود الموصوف بالتنزيه.

ومن هذا يمكن لنا فهم قوله تعالى في كتاب الإحاطة {وفي السماء رزقكم وما توعدون} ٢٥ وارتباطه بقوله {إني جاعل في الأرض خليفة} ٢٦ فهما مستقيما، كما يمكن فهم وربط هدي الرسول (يخلق الله له صورة يتجلى بها على الخلق يوم القيامة) ٢٧، بقوله (أول من تنشق عنه الأرض أنا) ٢٨ وتعليمه (أقربكم مني منازل في القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطؤون أكثافاً الذين يألفون ويؤلفون) ٢٩، وسفوره بالحق (من رأيي فقد رأي حقاً) ٣٠، وهدي الكتاب إليه {والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم} ٣١ وتبشير الرسول بمكنة الصلة بالحق للكافة في تبشيره (خلفت الله عليكم) ٣٢ بيانا لتبليغ ربه {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان} ٣٣.

ونخرج من هذا ومن غيره مما لم نشر إليه ومما يمكن إدراكه للمتبصر أن محمداً عرّف عن العبودية والربوبية والألوهية والتنزيه والإطلاق تعريفاً كاملاً مستقيماً. كما عرف عن الخلق والحق تعريفاً شاملاً مبيناً.

وما عرّف محمد إلا لما عرف من أمر قام به، وقام عليه، وأقامه منه، عن إدراك وحس ووعي كامل شامل. أدرك العبودية لنفسه كما أدركها لغيره قبله من أهلها قام معه خليلاً حبيباً. وأقامها من نفسه محاللاً محباً. وأدرك الربوبية له عبثاً عليه القيام به، كما أدركها فضلاً عليه، على ربه يتوكل وإليه ينيب، فأقامها منه لمن عليه توكل وإليه أناب ممن دعاهم إليه وجهاً لربه فأجاب. وأدرك الألوهية له بمعراج العبودية فيه، كما أدركها عليه بوعي اللانهائي المنشود مطلوباً منه ليكون له مجاله فيه لا يحاط به مدركه فيه مجال له. وأدركها مفاضة منه على من يتابعه بحرصه على بقاء العبودية وصفاً وفعلاً له في مواصلة طلبه للانهائي التواجد في لانهائي الوجود.

محمد بين الناس.. ومحمد في الناس.. ومحمد فوق الناس.. ومحمد تحت الناس موضوع الدين، وموضوع السلوك وموضوع اليقين، وموضوع العلم. إن موضوع محمد هو موضوع الناس، وإن موضوع الناس هو موضوع محمد. وإن موضوع الله في الناس أو بين الناس أو على الناس أو قبل الناس أو بعد الناس إنما هو موضوع محمد الناس.. ومحمد الله.. ومحمد الخلق.. ومحمد الحق. إن قضية محمد هي قضية كل إنسان كيفما كان وأيضا كان.

لقد عرّف عبد الله ورسوله محمد عن ربه ودعا إليه. والرسالة الروحية التي يتطور إليها الاتصال الروحي في هذا العصر، بعثا لحلقات الاتصال النبوي واستكمالا لها، إنما هي رسالة واقع بقانون الفطرة، به يقوم التعريف لما أنكره الناس على الله في أمر أول العابدين ورسوله إليهم، وما أنكروه على الله في أنفسهم ولأنفسهم تبعا لذلك. يقوم بها عباد ملائكيون أرضيو النشأة تمت لهم كلمة الله كما يظهر فيها قيام لإنسان العبودية في محمد الحق فناءً في الرفيق الأعلى له، معرّفا عن روح الحياة الانهائي والروح العظيم في رسوله، كما عرف هو عنه ربا له، جامعا الناس عليه، باجتماعهم على وجه قيامه رسولا من أنفسهم، مجددا به لهم قدوة عامة وأسوة مرضاة جحدوها في أقوامها، وحرفوها في أعلامها، وبيوت قبله ظاهرها ما جددوها، وحقائق أنكروها كلها ظهرت، وما تابعوها حتى خبت، ورحمة فارقوها ما وردوها، ومعرفة أغفلوها ما اقتنصوها إلا من رحم، فضلا عن طريق مستقيم أخفوا معالمه، وسلام مقيم قوضوا قوائمه وفاءً بسابق وعده، ونفاذا لقديم عهده، فاجتمع لأمة محمد الهدى، وهدمه بعد أن نفذ {جمعه وقرآنه} ^{٣٤} ليظهره بأتمته على الدين كله، بعد أن أظهر الرسول على الدين كله، وحفظه في خاصة العلماء من قومه، فإذا الإسلام يعود غريبا كما بدأ. وإذا الجاهلية الثانية أكتف ظلاما وأثقل عبئا من الجاهلية الأولى بما يصاحبها من جهل باسم المعرفة.. وظلم باسم العدالة.. وحرب باسم السلام.. وظلام باسم النور.

محمد عبد الله الذي لم تعمه رؤية الله في نفسه عن رؤية الله في الناس إذ به رآه، حيثما ولى فوجهه، ولم تعقه رؤية الناس فيه محيطا بهم عن رؤيته لنفسه في الناس محيطين به، ولم تعطله رحمة الله لذاته عن استرحام الله لوحدانيتها مع الناس، ولم تكفه معرفته بربه في ذاته عن ضرورة معرفته له في صفاته مع الناس في ذواتهم ارتباطا وامتدادا لصفاته إليه ومنه، عمل لنفسه ولغيره، ولم ينتظر أو ينظر للجزاء أو الشكر. اتهم نفسه دائما ولم يتهم ربه أبدا. وابتلي فرضي ولم يجزع للبلاء. فقبل وأعطى فلم يقنع بالقبول ولم يغن بالعطاء. طلبهما من ربه للمؤمنين على ما حققهما له، طلبا لنفسه من ربه شفيعا متوسلا، فجعله الله أسوة لمن يقبل، ومثالا لمن يعمل، وأظهره للناس ومكنه من الظهور في الناس

خلافة له فيه مرتضاه، ورسولا بالحق وبمعناه، وعبدا أكرمه وتولاه، وخالده في هيكلك قدسه وبيت ذكره بمعناه تنزيها لغيب الله وكلاما لأحدية العبودية في عبوديته للرفيق الأعلى لعين معناه.

الرسالة الفطرية في دوام تعدد. واتصال السماء بالأرض في دائم قائم يتجدد. وها هي الأرض تشهد منذ نيف وقرن من الزمان بداية لاتصال جديد واسع بين السماء والأرض، بين الغيب والشهادة للجنس، بعودة الأرواح الأمينة المرشدة على مسرح الحياة الأرضية، تمهيدا لبناء آدمية وإنسانية رشيدة من أبناء الأرض، نزاعة للسلام بعثا وقياما لعالم جديد عليها، على أنقاض عالمها المتداعي بمدنيته المادية الخرقاء، وقيامه البشري المحتل في صرح ذاته المنهار انقضاء لزمان وأهله وقيام لزمان وأهله.

لقد دار الزمان ببشرية هذه الأرض دورة بدأت بظهور الحياة عليها فيما قبل التاريخ، وتمت باختباء آدم منها نفسا توفيت بموتها عنها إلى محيها وهاديا في التاريخ العقائدي، المعبر بالتصوير الإشاري المعنوي يوم تجددت بنوح وسفينته ذاتا جديدة ومظهرها لقديم لها من أرض نشأتها وعالم صفوتها وجنة اختبارها ونار اضطبارها، على سنن من سبق مجهول عليه، معلوم له به، في سلسلة من بدء لا يدرك مداه ولا يحصر تعدده.

بدأت بشرية هذه الأرض تواجدها بآدمها الثاني وأهل سفينته من نفسه الكبيرة، واستكملت كلماتها إلى إبراهيم به تمت لنوح الكلمات واستوفت الآيات. وقامت في إبراهيم كلمات اختباره حتى أصبح أمة، جعل في ذريته الكتاب والنبوة فكشف في معناه معنى السفينة بآدم سبقه. وعلى مثاله من نفسه وبيته وقومه وقع الاصطفاء على آل عمران الذين جعل عيسى عليه السلام لهم ختاماً لآدمية اسحق روح القدس للكلمات المتلاحقة منه، كان في عيسى وأمه تماماً آيتين للجنس من بني إسرائيل كشعب متطور قام فيه عمل الكتاب والنبوة، ثم وقع الاصطفاء على محمد عليه الصلوات ليكون بيتا موضوعا لآدم وذريته، ونوح وأهل سفينته، وإبراهيم وكلماته، وعمران وأسرته، فجعل من محمد آدم جماع وسفين اجتماع، ومدين بيوت، وكتاب كتب على سنن من اصطفاء أبيه للبشرية رأسا لبيت النبوة، فيه انتهت صفة النبوة للكلمات، واتسعت بالعبودية الحقية تنشد من الكافة كمالا للجنس في ظاهره وباطنه، وبعثا للأنبياء بوصف العلماء لكمال عبوديتهم على مثال من أبوتهم.

فآدم الأنبياء المعروف باسم آدم إنما هو أصل بيت النبوة وليس هو من كان بدءا للخليقة كما هو معروف بالأثر، فهو كلمة وفرد اصطفت من بيت آدم الخليفة الذي أبرز على صورة سبق من أوادم الحقيقة بلا بدء له يدرك في أزل الجنس من روح الحياة اللانهائي المطلق. فالآدمية لها قيامها وعملها في كل أرض دحتها وهيأتها بلا انتهاء لفعليها على مثال مما بدأت بلا بدء يدرك أو يفترض.

فالمحمدية هي أولى الآدميات الفطرية، المعلومة لنا في معلوم الجنس في معارفه التاريخية عن التبليغ السماوي. وهي الرسالة الحقية والفطرية الأولى في التاريخ البشري المحفوظ بلا مطعن عليه.

ولما كانت المحمدية قد قامت مظهرها لبعث الآدمية الأولى للنبوة تعبيراً عن آدمية الخلق، كما بنيت تعاليمها على أساس وحدة البشرية، وكان الإيمان بالرسول مبعوثاً بالحق أساسها، وأساس المعرفة في وحدانية الباعث له والخالق للجميع والباعث لهم والقائم عليهم، كان الحق الظاهر به غير قابل للعدم وإن تدرج بجلباب قابل له، وهو ما اقتضى تغيير الجلباب كلما انتهت رسالته، فقام بين الناس في دوام بمتجدد ومتعدد من دثار، كما جدد تعاليمه في ثياب القرون من البشرية، فأصبح أمة على جانبي الحياة، وهو ما يقتضيه استقامة رسالة كتب لها الدوام لبشرية كتب لها دوام التجدد.

ها هو محمد كأمة من ذاته الآدمية يأتي بركبه الروحي مع أمة إنسان ربوبيته من إنسانية سبقه من الرفيق الأعلى عبادة لروح الحياة اللانهائي، مجدداً في البشرية الأرضية أقدام أحديته مظاهراً بالرفيق الأعلى جماع الناس وروح الأجناس ليجدد تعاليمه بالسلام بين الناس بالإسلام لرب الناس طوعاً وكرهاً، وليحكم بما أنزل الله لا يطيع آثماً ولا كفوراً مأموراً بأن يعدل بينهم.

فإذا كانت الرسالة الذاتية له قد حملت للناس البلاغ من البشرى والإنذار فها هي الرسالة الروحية الحقية رسالة ثانية له، تجديداً لرسالته الفطرية الأولى وتوابعها، وبياناً لها وبدءاً لرسالته الحقية تنتظر ساعتها وقيامتها نفاذاً لما في الرسالتين وقياماً للأمرين.

لن يتحقق السلام بين الناس في الأرض إلا بالإسلام لروح الحياة، ولا يتحقق السلام للنفس إلا بالعلم عن الحياة وكشف مغاليق الحكمة في قيام الوجود وموضع الإنسان بين الموجودات، وعلاقته بها في حاضره وماضيه ومستقبله. {علمت نفس ما قدمت وأخرت} ٣٥.

إن الإنسان حائر بين التوقيت والدوام وبين الاختيار والجبر، وهي عين حيرته بين الجسد والروح أو بين الجلباب ومستعيره، ولو أنه عرف أنه غير الجسد وانعكس إلى داخله ليراه لتكشفت له أموره، ولانتهت حيرته، ولقام اختياره وانقضى جبره، ولجدد جلباب توقيته لدائم أنانيته. وهو ما تقوم بمساعدته عليه الرسالة الروحية الحديثة، بتعميم الاتصال بين عالمي الروح للبشرية.

يبدأ ظهور الاتصال بين العالمين من روح مرشد باختيار وسيط من عالم البشرية ووسيط من عالم الروح يجمعهما ثالث لهما من ملأ أعلى، يجمعهما ويفرقهما في انتظام، ويؤدي بهما في عالمي البشرية رسالة حكمة، أو رسالة علاج، أو رسالة علم، أو رسالة ظواهر روحية، أو رسالة تعريف للأمر

في العالمين أو في أحدهما يظهره بمعناه في غيبة عنهم وسطاؤه في العالمين، ويظهره بيقظة به أبنائه في العالمين.

ومن أهل الملاء الأعلى الذين يعملون في هذا الاتصال ويحملون رسائل توجيه للبشرية بعض الأنبياء والحكماء والقديسين المعروفين، ومنهم بعض شخصيات من العهود القديمة من المصلحين ممن لا يخفون شخصياتهم، ومنهم من يخفون شخصياتهم من قدامى الجنس أو من ذوي المكانة الروحية العالية من المغمورين في حياة الأمم ذات التاريخ، ومنهم من هو معروف للبشرية في تاريخها ولكنه لا يكشف عن شخصيته لحكمة تقتضيها رسالته.

ومن بين الشخصيات العاملة ممن يعترف بفضلته وحكمته ورحابة إمكانياته في الغرب والشرق بعض صحابة الرسول من المغمورين في تاريخ أمتهم، يتابعهم بعض المعروفين في تاريخها ممن يظهرون بأسمائهم، ومنهم من اختاروا إخفاء أسمائهم لحكمة اقتضتها رسالتهم، ولرفع الإغراب عن الملبين لندائهم إذ هم يأتون بقديم شخصياتهم قبل الظهور معه مبعوثين في أمتهم لقديم الصلة بينهم وبينه قديما للجنس، وهم ممن جمعهم معنى جبريل إليه منه وقياما معه في صحبه وأمتهم، فما كان جبريل إلا عالم ما بين قديمه ومحدثه من عوالم الروح، به تعارف قديمه إلى قادمه خلال قائمه. وهم يختارون لأنفسهم من دنيا الحياة الروحية وسطاء لهم يحملون أسماء رمزية يظهرون بهم صورا تعرف بها هذه الأسماء، تعريفا عن معانيهم من قديم الجنس. ومن بين شخصيات العصر المحمدي من يظهرون بأسمائهم من آل البيت أو من الصحابة والتابعين وبعض المتصوفة في الغرب وفي الشرق في جماعة المتصلين أو على استقلال كأرواح عاملة.

وقد اشتهر من بينهم من عقد له لواء جمعهم روحا أمينا موجها، ونورا متدفقا مخاللا، كلمة ولدت صحابيا مغمورا متابعا، ودانيتها روحا أمينا مخاللا وصفه الرسول بأخيه وبالرفيق، وأشار إليه مغمورا بين الناس بمن يصطفي الله لنفسه والطريق. فراه في عهده من يقوم على رسالته من بعده، فيدعو إليه ويجمع عليه، ويظهره بمعناه، ويقومه بمبناه آدم ومعناه، تصديقا لفعل مولاه، وما به تولاه ومنه والاه.. قلبان تآلفان لا فرق بينهما ولا تعدد لهما اتحدا روحان، وتآلفا قلبان، واجتمعا شبحان، وقاما واحدا للحق معنى وعنوانا.

إن الكائن البشري إذا ارتقى إلى معناه الإنساني سما فوق الصور إلى المصور، وفوق الأسماء إلى المعروف المسمى في روح الحياة الانهائي فيفارق الافتقار والعجز والمسودة ويرتفع فوق معاني القيادة والسيادة. ولا يتمتع من الأرواح المرشدة بهذه المعاني في وصلتها بالأعلى ممن يتصفون بها إلا القليل النادر. ولا يرتبط من الذوات الرائدة ذات الأرواح الصافية بهذا الركب إلا القليل النادر أيضا.

ويسعد البشرية ويشرف الجمعية الإسلامية الروحية أن تتعرض لهدي وفيض الروح المرشد المتعارف لعالمي الجنس بصورة متسمية بلفظ (برش). فهو من النادر الكامل الوصلة بالكمال، والممكن من الاتصال والقيام به. إنه المعلم والمتعلم والعلم. إنه الإنسان الأب، والإنسان الابن، والإنسان الروح من اللانهائي، من دخل في عهده كان آمناً، ومن استقبل من فيضه كان عالماً، ومن قامه ابناً ومعنى كان حقاً قائماً، فكان قبلة صلاة، وبيت طواف، وساحة حجيج. يظهره بمعناه في غيبة عنهم وسطاؤه. ويظهره بيقظة به أبنائه.. عبد الله، وابن عبد الله، وأبو عبد الله روح من روح الله، وحوض للروح فياض، وقبس من نور الله يقوم ويمتد ويزداد.

هو ما تحت العبد عبداً له به صار العبد رباً، وهو ما فوق الرب رباً له به صار الرب عبداً - وهو عين من يتعارف إليه. به يعرف عارفه وحدانيته معه، فيعرف الكائن المتعارف معه كيف تكون المعرفة، والمتوحد معه كيف تكون الوجدانية مع الأدنى ومع الأعلى في المنفرد اللانهائي في قربيه وبعده. به عرف العبد لنفسه وصف الإله والرب في وصف الشهادة والغيب.

عمل مع كل نبي على إبراز مكانته له في وضع مكانته إليه. وعمل مع الرسول معتمراً به في نفسه، وطائفاً حوله في بيته، فاعتمر به الرسول، وطاف حوله الرسول فظهر للرسول في كل مكانة له في مكانته معه. فأخذ الرسول مواضعه في كل مكانة له في مكانته معه. فكان الأدنى وكان الأعلى. وكان المحيط وكان المركز. فكان الرسول معه ما كان هو مع الرسول. أخذ موضعه حيث ظهر له فرآه في موضعه من ظهر له، فعرف معاني الوصف والاتصاف لنفسه. وعرف معاني التعدد لمعناه في أصله وفرعه في وحدانية معناه في قبله وبعده.

توحد مع الرسول وتعدد معه، في كل موضع ظهره أو أظهره، أو ظهر له أو ظهر به، وفي كل موضع مكنه منه ليظهره أو يظهر به. وأخذ في تعديده معه أنانية من مواضعه منه، فكان معه رفيقاً ومرافقاً ومرتفقاً. رفيق قائمه، ورفيق قادمة، ورفيق قديمه.

كان إليه وحياً وكان منه وحياً. وكان عين الوحي في ذات ذاته. كان إليه كتاباً وكان منه كتاباً. وكان عين الكتاب في عين كتابه. كان له عنه حجاباً، وكان عنه له حجاباً، وكان عين الحجاب في عين معناه، من الحجاب عنه.

به تعدد عندهما العباد، وبهما انفرد عندهما المعبود، فكانا لعوالم الحق ولعوالم الخلق الأساس والنبراس للدين والدنيا والآخرة، بقيام البداية لمن يطلبها عبداً للانهاية لمن يطلبها له رباً.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ بيت شعر للإمام علي كرم الله وجهه.
- ٢ سورة طه - ٥٠
- ٣ مقولة صوفية تتناغم مع خلق الله للإنسان تكليفة لله.
- ٤ عبارة يستخدمها السيد رافع في معظم الأحيان مصاحبة للحديث القدسي: "مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا اقْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْتَطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ." صحيح: البخاري.
- ٥ سورة الأنبياء - ١٠٤
- ٦ سورة نوح - ١٤
- ٧ سورة الذاريات - ٢١
- ٨ سورة الطارق - ٥
- ٩ حديث شريف ذات صلة: "خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى. وابدأ بمن تعول." صحيح البخاري وصحيح النسائي. أيضا: "ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فأهلك، فإن فضل من أهلك شيء، فلذي قرابتك فإن فضل من ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا، وأخرج مسلم والنسائي.
- ١٠ سورة الملك - ٤
- ١١ سورة ق - ٢٢
- ١٢ سورة الإسراء - ١٤
- ١٣ سورة الانفطار - ٥
- ١٤ سورة مريم - ٧٥
- ١٥ من حديث قدسي: "يا عبادي! إنما هي أعمالكم تُردُّ عليكم، فمن وجد خيراً فليحمدني ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه." الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح.
- ١٦ من حديث شريف ذات صلة: "تكونُ دعاةٌ على أبوابِ جهنمَ، مَنْ أجاَبَهُمْ إليها قَذَفُوهُ فيها، هم قومٌ من جُلَدَتِنَا، يَتَكَلَّمُونَ بِالسُّنَنِ، فالزَّمَ جماعةُ المسلمين وإمامهم، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ جماعةٌ وَلَا إمامٌ فاعتزلْ تلكَ الفرقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَصَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ كَذَلِكَ." المحدث: الألباني. المصدر: صحيح الجامع. أخرجه البخاري بصياغة متقاربة، وكذلك مسلم وابن ماجه.
- ١٧ سورة الأنفال - ٣٣
- ١٨ سورة الحجرات - ٧
- ١٩ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

- ٢٠ إشارة إلى حديث شريف ذات صلة ذكره ابن العربي الحاتمي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: "إن الله خلق مائة ألف آدم". وجاء في بحار الأنوار، من المكتبة الشيعية، عن السيد محمد الباقر: "بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم".
- ٢١ "النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهَوْا". قول للإمام عليّ كرم الله وجهه. المحدث: السيوطي. المصدر: الدرر المنتثرة.
- ٢٢ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «دَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ، وَأَمَّا أَنْتَ فَاذْهَبْ وَنَادِ بِمَلَكُوتِ اللَّهِ». (لو ٩: ٦٠).
- ٢٣ سورة المائدة - ١١٦
- ٢٤ حديث شريف. المحدث: الزرقاني، ولكن لم يثبت سنده، ويوافق الحديث الشريف: "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتَى". أخرجه البخاري.
- ٢٥ سورة الذاريات - ٢٢
- ٢٦ سورة البقرة - ٣٠
- ٢٧ إشارة إلى حديث شريف طويل: "إِنَّ اللَّهَ يَجْلِي لَهْمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْتِيهِمْ فِي صُورَةٍ غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا إِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ. ثُمَّ يَأْتِيهِمْ فِي الصُّورَةِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا". صحيح البخاري.
- ٢٨ من الحديث الشريف: "أنا سيد ولد آدم ولا نخر وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا نخر وأنا أول شافعٍ وأول مشفعٍ ولا نخر ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا نخر". صحيح ابن ماجه.
- ٢٩ حديث شريف: "إن أحبكم إليّ أحاسنكم أخلاقاً الموطؤون أكفأ الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إليّ المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة". أخرجه أحمد والطبراني وابن حبان.
- ٣٠ إشارة إلى الحديث الشريف: مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكَوَّنُنِي. صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَشَبَّهُ بِي". صحيح ابن حبان.
- ٣١ سورة محمد - ٢
- ٣٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٣٣ سورة البقرة - ١٨٦
- ٣٤ سورة القيامة - ١٧
- ٣٥ سورة الانفطار - ٥

(٢)

الكون لطيف متجسد الكائن البشري قيام متجدد

حديث لمجلة

١٤ شوال ١٣٨١ هـ - ٢١ مارس ١٩٦٢ م

(حديث للسيد رئيس الجمعية الإسلامية الروحية مع مندوب لمجلة داخلية لجمعية اجتماعية)

س:

هل لنا أن نحصل من سيادتكم على ما يؤيد ما قيل عن تجسد الأرواح في صور مادية.. وما تعليل ذلك إن صح عندكم؟

ج:

لقد أرادت البشرية في الماضي أن تتجاوز المشهود باسم طلبها للمعرفة، وأبعدت الحقيقة عن شهودها بإنكارها عليها في مشهودها فطلبت الخالق بعيدا عن خلقه، وطلبت المعبود بعيدا عن عبادته. ويوم اعتقدت في مخلوق قيما للخالق لاستقامة صفاته تخلقا بصفات خالقه أضفت عليه وصف الخالق، ولم تدرك مثاليته للمخلوقات لتكونه بتوحيد الخالق قولا وعملا باعتقاد وحدانيته نظرا وعقيدة لإدراكه على صورته في أحداث تجليه، فإذا كان هذا الوجود في وحدته هو الحق ظاهرا لأبعاضه بالحق...

فالمنطلق من الطاقة باسم الأرواح أو العقول أو النفوس أو الأشباح إلى باطنه من ظاهره ما زال متعلقا به، إيمانا بمعرفة أو قبلة لعقل حائر أو جنة لنفس تطلب المتعة أو لشبح يخشى النار والعذاب. وبذلك حامت الأرواح والنفوس والأشباح الغير متحررة من معاني المادة وصورها حول الأرض. فمن تهيأت له الفرصة للعودة لمواصلة الحياة من الأرواح والنفوس، ولد في المواليد على عين نظام نشأته السابقة. ومن تهيأت له الفرصة من العقول للعودة لمواصلة رسالة العقل لم يحجم عن العودة في مولد على الأرض...

أما الأشباح التي لم ترتق للحياة بوصف الروح أو النفس، ولم يولد في شبحتها العقل المميز بعد، والتي حكمها الوعي الغريزي لصفاتها النباتية والحيوانية من المادة فهي ما زالت في تواجدها الأثيري على ما كانت عليه في جهلها الفيزيقي سارية فوق الأرض وفي مجال حياتها المفقودة.

فإذا قلنا بتجسد الأرواح بلغة العلم الروحي فإنما نعني بهذا عودة اللطيف من الطاقة للذات البشرية الذي آلت إليه باجتياز بوابة الموت إلى طريق التواجد بالحياة الأصلية صاحبة البيئة الحرة الطليقة. وهذا ما يليق بمعنى تجسد الروح في الدوائر الروحية، والتجارب والظواهر الروحية...

أما إذا كنت تعني بسؤالك شهود الانطلاقات الضالة أو الأشباح البشرية الغير ناضجة بعبارة أصح أو ما تأتيه من العتب أو الحركات المدركة للحس عند مشاهد لها من هذه البشرية، فهذا أمر آخر وهذا أمر مرده الواقع، والأمور التي ترد لواقع لا يبدى فيها الرأي من حيث التصديق أو التكذيب. والثابت من الواقع أن هذا أمر متكرر الحدوث من قديم ومن قديم جدا، ولا غضاضة من القول بأنه كان متواجدا مع تاريخ تواجد الجنس البشري على الأرض كأمر طبيعي للفطرة البشرية وما تواجد منها في مستوياتها الدنيا، وتعلقه بحاضر أصله من المستويات التي فارقها، ومحاولته التدخل في الحياة المفارقة دون علم منه بهذه المفارقة لها...

أما التواجد الموجد للصلة بين مستويات أعلى من حاضر الجنس وسابقه، فهذا أمر آخر مرده إلى ما يتواجد في كثيف الحاضر كجزء صغير جدا مما يدعى بالأكتبلازم من عين الطبيعة اللطيفة للراحل من الجنس. فعن طريق قدرته على الانطلاق والعودة لداره من ذاته، وقدرته على الارتباط باللطيف من نوعه أو استقبله، سميت هذه الحالة من ارتباط نفس أرضية بنفوس لطيفة علوية أو ما ينتج الصلة بالظواهر الروحية والوساطة الروحية، وأمكن للنفوس اللطيفة الأرضية أصلا التجسد مع مصاحبها من أهل الحياة الفيزيكية، وأمكن للنفوس الفيزيكية الظهور بصورها الفيزيكية بجزئها اللطيف المنطلق في العوالم اللطيفة. وبذلك يمكننا أن ندرك أن هذا الأمر من إمكان التجسد الروحي ليس قاصرا على المتنقلين من الحياة الفيزيكية، وهو ليس أمرا حادثا في البشرية كذلك.

وقد سميت المستويات البدائية لهذا الاتصال في العصور القديمة بالكهانة، وسميت المستويات المنحطة بالسحر، والمستويات المستقيمة المشجعة على استقامة الحياة بالصلاح والكرامة، والمستويات العالية فيه بالحكمة والحكماء. فلما بلغ الاتصال التكليف بالخروج للناس وتجديد الفضيلة فيهم، وتذكيرهم بالقانون الذي لا يخطئ وقيام العون على الأداء سميت هذه الاتصالات بالنبوة والرسالة. فلما أسفر الاتصال عن علاقة معللة بين الموصول والمتصل باسم الأبوة تواجد حاضر

الجنس في قديمه. فلما وصف الحاضر القديم بالرب، ونفسه بالعبد، تواجد قديم الجنس في حاضره، وقد تجسد القديم مع الحاضر كما انطلق الحاضر إلى القديم في تجسيدات روحية وانطلاقات كونية... ولكن الجديد على الحياة البشرية في هذا العصر هو سفور شقيها أحدهما للآخر على أساس من معدلات الاستقامة والانحراف في تجمعات المفردات الفيزيكية باتحاد الذبذبة والترنيم على وحدتها من الجانب الغيبي لهما من عالم الروح بوصف المرشد بدائرة الاتصال الروحي، أو في حال الظواهر الخطرة بالتجمع العاثر أو الاتصال المنحرف عن السلامة.

إن البشرية في هذا العصر تجتاز أشق وأسعد مراحل حياتها في تاريخها من نشأتها. إنها تملك اليوم في وحدتها من شقيها زمام أمرها. إنها إن شاءت أقامت الجنة على أرضها وفي سمائها، وإن شاءت فتحت أبواب الجحيم لذاتها بفعالها في أرضها وسمائها، بما سمح لشقيها به روح الحياة اللانهائي من الاجتماع، وما ترك لهذه الوحدة المجتمعة من حرية في الاتجاه، ومكنه على التصرف بمعدل الاتحاد واستقامته.

إن هذه البشرية في حقيقة أمرها ما هي إلا أرواح متجسدة. وما عالم الروح لهذه البشرية إلا الفيزيكية التي نضجت من جلود البشرية فانطلقت في أثيرتها أو دخانيتها في ظل لسدم تتجمع لعوالم تنشأ لها منها بها.

إن الحقيقة يجب أن تدرك فتشهد في شقي البشرية بعالمها المتحد. إن نظر الظاهر للباطن بالأفضلية أو نظر الباطن للظاهر بالأفضلية إنما هو نظر جزئي وليس نظرا كلياً عند الناظر أو المنظور، فالكون بماديته ما هو الا لطيف متجسد فضلاً عن البشرية المتجمعة بلطيفها بمستوياتها اللانهائية فيه تعبيراً عنه في عالمها الكبير. وهذا هو نظرنا عن تجسيد الأرواح في أشكال مادية. فنحن نعيش على هذه الأرض في سفينة أو غواصة سابحة في بحر الأثير، وهي ومن عليها روح وأرواح متجسدة سابحة فيه.

س:

ما هي النصيحة التي يمكن أن توجهها للشباب؟

ج:

إني أنصح للشباب بالحرص على تجديد الشباب في العلم عن بدء الذات بما يعلون عن نشأتهم وانتهائها إلى ما علموا عن نشأتهم، بنشأة جديدة لها في داخل تواجدهم، لا ينتهي تواجدها لها، ولا يتوقف ظهورها بتعددتها منها.

إن المدنية الداخلية للإنسان لا تبدأ إلا بمولد له فيه. والكائن البشري السليم مثله كدحية تحوى مقومات الحياة للحى الكامن فيها والصالح للتواجد منها. وهو الأمر الذى ما جاءت الأديان المتعاقبة إلا لكشفه للإنسان عن أمر نفسه، ومساعدته على تحقيقه. فالتواصى بالحق والتواصى بالصبر، وقيام المتابعة هو معنى الدنيا لهذه الخلية للحياة. فإذا انفعلت الخلية الهامدة، وانشق عنها حيوان تواجدها، فهذه هى الآخرة والقيامة. فإذا أثمر هذا القيام دحية منها فى هذا التواجد لتواصل معناها فيه، لتعرف له به، فقام بما قامت، وانتهى إلى ما إليه انتهت، فهذا هو البعث، وتمام الكلمة، باتصال أطراف دائرة الحياة، وهو هدف الكائن البشرى، ليكون كائناً إنساناً.

إذا عرف الشباب أن الدين هو الحياة فى استقامتها على ما خلق الكائن البشرى له، وأن الجنة فى الإحساس بالقانون الذى لا يخطئ وعمله، وأن العلم والمعرفة فى القيام بالقانون وكشفه والتعريف عنه، وأن النار فى العتب بهذا القانون الذى لا يفلت كائن أو كون من قبضته، طابت الحياة للشباب وسعدوا بمشقتها وعملوا لتحقيق الآمال فيها...

وهذا لن يكون لهم إلا إذا حكموا على الأجيال القديمة وعلى جيلهم الحاضر بالغباء والغفلة، ما بعدوا وباعدوا من مدنية الداخل الإنسانى، وانشغلوا وشغلوا بمادى التواجد لذواتهم وذات أرضهم وما يحيط بهم من عملهم، غافلين عن فعل القانون الذى به تواجدها وبه يتواجدون. وإن هزأوا به فى يومهم فسيهزأون بهم يوم تكشفه لهم فىهم بموهوم الموت يتوهمونه ولا يتجاوزونه.

إن عالمنا المادى اليوم يرقص على فوهة بركان، بجهل القائمين فيه بقوانين الحياة لهم، جهلواها فى آبائهم وفيما توارثوه عنهم، ونمت فى آبائهم قوانين العدم، وتوارثوها عنهم إلى ما يشهدون من التفاخر بالقدرة على محو معالم الحياة عن الأرض أو تشويهها، وأن قدرتهم على ذلك ما قامت إلا فى ظل قانون المنح الذى مكن الإنسان فى كسب كل ما يطلب لنفسه. وهم اليوم يكسبون ما سبق أن طلبوا فى صور آبائهم. وها هو يحقق للآباء مطلوبهم فى صورهم بالأبناء. إنه القانون القادر الفاعل.

إن الشباب اليوم يستطيع أن يهدم فعل الآباء المخرب، فيتحرر من ماضيه العفن، ومن عقائده الفاسدة، إلى وعى بناء وعقائد مستقيمة، ينتجها العلم الذى يجدد ما كان بين يدي الآباء والأجداد، من تراث دينى مستقيم، حفظه القانون بالأحياء، به يعودون إلى الأرض اليوم، وغفل عنه الغالب الأعم، فبقي فى سباته عندهم من عمله، حتى يوقظه الأبناء الذين استيقظوا وواصلوا اليقظة بيقظتهم، وتعقبهم لإيقاظ الغافلين من آبائهم. فإذا كان الصالحون من الآباء لنا قد رأوا الحق فى الآباء لهم فى سابق الجنس، فإن الأبناء اليوم يستطيعون أن يظهروا بالحق للغافلين عنه من آبائهم، فيوقظوهم بحكم القانون، لقيام القانون عليهم وصلاحياتهم للقيام به لأنفسهم ولآبائهم...

فهل يعمل الشباب لتحقيق ذلك لنفسه لخيرته ولخير آبائه؟ هذا ما سوف تكشف عنه الأيام.

س:

ما رأى سيادتكم في موضوع اختلاط الجنسين؟

ج:

إن إجابتي على هذا السؤال أن أسألك هل هناك جنسان؟

إن القول بوجود جنسين من تذكير وتأنيث أو مذكر ومؤنث قول قديم يوم أن كان الكائن البشري غير مدرك لحقيقته. أما بعد قيام المدنية الداخلية للإنسان يوم عرف قانون {هن لباس لكم وأنتم لباس لهن}، فقد انتهت التفرقة بين الكائنات البشرية بالتذكير والتأنيث، فلا شرف لأحد الجنسين على الآخر، ولا محل للتفرقة بينهما بالتفاوت. فالمرأة بكيانها الظاهر بوصفها تحوي بشقها الكامن كل صفات ومقومات رجل، وكذلك الرجل بشقه الظاهر بوصفه يحوي بشقه الكامن كل صفات ومقومات امرأة...

والكيان المنفرد الظاهر اليوم مشئت في القيام الروحي غدا للهيكل المتجمع الظاهر من رجل أو امرأة، ودحية صالحة فيهما، كأرض جديدة لهما تصلح للحياة، والقيام بروح الحياة اللانهائي، وهي في موضعها من المشكاة من هيكل الكون بالجسد، في موضع القلب تماما، وهي الأرض الجديدة للحقيقة، إن أحيائها الكائن البشري الإنساني لنفسه بعمله، وهي الأقنوم المتواجد بين أقنومي الوجود، في ثلوث الواحد الموجود الحي القيوم من الحق الأزلي باسم الإنسان في معنى كل إنسان.

فالذاكرون والذاكرات، والعابدون والعابدات، والسائحون والسائحات لهم في الوجود القدسي المطلق ما يشاؤون. فهل هناك محل للقول بالتفرقة بين الجنسين يا سيدي؟

مصادر التوثيق والتحقيق

(٣)

أحوال ومقامات معرفة وخيالات

حديث الجمعة

١ صفر ١٣٨١ هـ - ١٤ يوليو ١٩٦١ م

حالي وحالك.. أصلي وأصلك.. مقامي ومقامك.. علمي وعلمك.. رأيي ورأيك.. أناي وأناك..

هكذا يريد أن يتحدث الناس - وقد تحدثوا - وفي هذا تعارفوا - وهكذا يريد أن يتعامل الناس - وقد تعاملوا - فما طاب لهم بذلك حديث، ولا خلصت لهم معرفة، ولا استقامت لهم في الله طريق. وهكذا يريد أن يتعارف الناس ثم هم يزعمون أن هذا حديث في الله وما قدره حق قدره، وحديث في الناس ما أدركوا فيهم حكمته، وحديث في الدين ما استقامت لهم شرعته. يزعمون أنهم بهذا يتواصلون في الحق وهم يحددوه، وأنهم يتذاكرون في الله وأنه يظاهرهم وأنهم مظاهروه.

أي حال للغريق الذي لا يعرف خلاصا ولا سفينة! وأي مقام للمعدوم المتخاذل المنقطع عن كل شيء، الفاقد لكل شيء الذي يفتقر إلى أي شيء! الذي لم يدخل بابا ولم يحل بمدينة! إن صادق الحال في الله من لا حال له، وصادق المقام في الله من لا مقام له. حاله مواجهه، ومقامه عبده، ولا مواجهة له إلا بوجهه، ولا عبودية إلا بمسيحه. فأأي مقام لوجه الله؟ وأي حال لمسيح الله؟

إن الله يقلب القلوب والأبصار، وهو الواحد الصمد، الفرد الأحد.. فهو الواقع والقيام.. وهو الهدف والغاية.. وهو السبيل والطريق.. وهو الشأن لمن أراد أن يكون ذا شأن.

الظاهر والباطن هو الله، والقريب والبعيد هو الله، والصغير والكبير هو الله، واللطيف والكثيف هو الله، هو الواحد الأحد.. لا شريك له ولا موجود معه.. لا إله إلا الله.. فأأي مقام لمن وجده! وأي حال لمن اتحده! إنه الوجود لمن وجده وما وراء الوجود لمن عبده. له المثل الأعلى في المشهود وله المثل الأعلى في المقصود.

أي مقام لمن أرادته؟ وأي مقام لمن عبّد نفسه له؟ أي حال لمن أدرك عدمه عن أنه وقيامه عبدا لمعناه؟ ما هكذا بحال ومقام يتحدث الناس في الله متفاضلين وهم فيه أجمعين، إذا أرادوا أن يتواصوا فيه بالحق، وأن يسلكوا الطريق للتواصي بالصبر، وأن يتذكروا في الله ليدخلوا حصن لا إله إلا الله، فيقومون بأننا وبأنت وبهو فيمن لا شريك له متحدين، فمن الناس من تستهويهم لذائد الأحوال ووهم المقام، وينسون وحدانية الله، ومنهم آخرون يدورون حول أنفسهم في خيال وادعاء وكبرياء بوهم الحق لهم دون غيرهم.. فيدورون في دائرة أحوالهم من نفوسهم التي يقومون، وفي وصف مقامهم الذي يزعمون.. فلا يريدون أن يمزجوا بين ما يقومونه بوصف أناهم وبين ما يقدر أنه غيرهم من بيئة معناتهم ومن بيئة دنياههم.. يزعمون أنهم يتلقون من علٍ، وأنهم بهذا التلقي في غنى عما قدم غيرهم من أهل المعرفة، ممن يقومون بذكراهم أو بمبناهم في قيام بين الناس.

هؤلاء الناس الذين يتخيلون أنهم يتلقون من الله عليهم قائم، وأنهم بذلك عباد شهادته عينا لربوبية غيبه، وأن الله معلمهم بما يتلقون من أعلى أو ممن هو عليهم، لا بأس من اعتزازهم لأنفسهم. فالإنسان يحيا بوحى ضميره في مبناه من غلاف معناه، ومن لم يحيا ضميره فيحي في قلبه فلا حياة له، ولم يبدأ الحياة...

ولكن هل نعيش في بدء من أنفسنا دون مواصلة به إلى سابق بدء ونحن على دين من سبقنا لنا رسولنا على سنن من رسل، ولنا إمامنا على سبق من حق، وله أوليتنا على سرمدي من أولية، وله في الله أوليته على وعد بتكرار، وعلى أمر بتكاثر، وعلى هدي بأسوة وقدوة؟ أنبدأ بمناسكه ولا ننكر على كتابه، ثم نحن لا نقوم في مواصلته، ولا نرتبط بقديمه، ولا نقوم في حاضره، ولا نواصل جديده من قديمه، أو حاضره من سبقه، ثم نحن على عزلتنا نتلقى من علٍ.. نتلقى من أعلى.... نتلقى من علٍ في انفراد مقطوع عن إدراك دوام قيامه، ودوام معناه، ودوام إلهامه، ودوام وحيه، ودوام حقه، ودوام أحواضه، ودوام أعلامه، ودوام رجاله؟ وهو الخاتم البادئ. والثابت المتكرر. والحجاب القائم الدائم.

إن رسول الله قد علمنا وقد أعلمنا: أن الله قائم على كل نفس بما كسبت، وأن الله من وراء كل نفس محيط.. وأن كل نفس بما كسبت رهينة، وأنها على نفسها بصيرة، وأن الله محذرنا نفسه في معناها من أنفسنا.

إن رسول الله قد علمنا وقد أعلمنا أنه لنا وجه الله، وأن الناس له جميعا وجهه من الله.. رأى الله فيمن حوله بالله في ذاته محيطا بوجهه الجامع للناس. وعلم أن الله مشهده للناس وجهها له - ما رحهم به - . وأن الله له دائرة إحاطته ودائرة قيامه كما هو لكل كائن بشري، ولكل كائن آدمي،

ولكل كائن إنساني. وهو بذاته ومعناه لدائرة إحاطته ولدائرة قيامه نقطة مركز. والدائرة دائماً تنتسب لمركزها يعنونها وتعرف به وهو لها إحاطة بدوره. النظرة الأولى له أي لهذا المركز فيرى الناس جميعاً في دائرته وجوهاً لله منظورة منه. والنظرة الثانية عليه إذ يرون فيه جميعاً وجه الله منظوراً لهم. ولا يفارق هو النظر إليهم وجهاً لله، ولا يغيّرهم عنده النظر إليه وجهاً لله عما هم عنده وجهاً لله. الناس فيه وهو في الناس، وهو ليس غير الناس، والناس ليسوا غيره.. إنه من الناس والناس منه، والكل في الله، والكل من الله، والكل إلى الله.

من آمنوا بالله، من آمنوا بالحق، من آمنوا بالحقيقة، من آمنوا بوحداية الله، من آمنوا بأنه لا إله إلا الله، تهيأت لهم السبيل لشهادة أن محمداً رسول الله.. ومن أحبوه ومن صاروه ومن بقوه، ومن فنوا عن كل غير له.. من رأوه حياتهم وقيامهم، وحبهم وعشقهم، ودينهم وحقهم، وإمامهم ووجودهم، ونفسهم وعقلهم ومعناهم.. من رأوه كذلك دخلوا في حصن الله، وحصن وجه الله، وبه شهدوا أنه لا موجود بحق إلا الله، فأحسنوا شهادة أن لا إله إلا الله فدخلوها حصناً لهم، وشهادة أن الله أكبر فساروا فيها وجاء لهم من الارتداد لنفوسهم بكبرياتهم.

كيف يقوم قائم في دينه ويقوم فيما يقوم فيه الغير بدينه، ثم يرى في نفسه انفراداً عن الناس، فلا يؤمنهم ولا يحياهم، ولا يتلقى الحكمة في أحد منهم، ويرى الناس في انفراد عنه، ينكرهم ويخشاهم وهو إن تكشف له شرهم فبعين شره، وإن اطمأن لخيرهم فبعين خيره، فالناس هم الناس أبداً وسرمداً، ثم هو يقول بعد ذلك إنه في دين محمد وإنه في وحدانية الله؟ ووحداية الله تشمل الناس جميعاً، والمحمدية للناس في أهل الصفاء سرمداً، تربطهم ما ترابطوا ظاهراً وباطناً.

كيف يكون في دين محمد وفي وحدانية الله من يرى الحق بدءاً منه لغيره دون ارتباط بسبق له إليه يضاف إليه الأمر، وبه يكون الارتباط، فيفرض حقه ببدئه على غيره من الناس بحال له يزعمها، وبأحوال في الناس يحكمها، وبعلم في الله يبدؤه في خلق الله الذي كل خير فيه ينكره ويحجده؟ كيف يكون ذلك والخير في أمة محمد باق غير معدوم. والخير به مجدد غير مبدوء؟ ولكن هذا كان، وهو اليوم كائن، وكذلك في كل يوم يكون.

أعوذ برب الفلق من شر ما خلق.. أعوذ بالأحد.. الصمد لا جديد فيه.. لم يلد إذ لا فلق فيه ولم يولد إذ لا بدء له. لم يوجد موجد ولم يخلقه خالق. ولم يبدأه باديء ولم ينشئه منشيء. ولم يكن له مكافئاً أو مماثلاً إذ لم يتعادل فيه أمران، فالأمر كله له والوجود كله له، والوجه المشهود والوجه المشاهد كله له.. يلحق بلطيفه، فيشهد برحمته وحكمته وتصريفه.. هو اللطيف الخبير، وهو القائم المختبر.. ولم

يخرج من دائرة وجوده الكثيف المختبر والكثيف المتطور، واللطيف والكثيف، الموجود والمتواجد. تستحيل معاني الغير معه مدعوا وداعيا، محبا ومجافيا.

إن مقام صاحب المقام أن لا مقام له. وإن حال صاحب الحال أن لا حال له. وإن بقاء الموحد الصادق أن لا وجود له مع موجوده، يحل في الله فيفنى وتمسكه يد الله فيبقى.. وما جد عليه حلول وما جد عليه بقاء، {إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا}١. ولا يحل الله - بسعته - في العبد - في ضيقه - ولكن الخلق حال في العبد والعبد حال في الله، كشف له أم لم يكشف. فإذا كشف له الغطاء عنه وجده في الله حال، وبيد الله قائم، ووجده الحق للخلق من الله في الله فلا وجود له.

هذا مقام من يدرك أن لا مقام له، وأن المقام كله لله، وأن الوجود كله لله، وأن القيام كله لله، وأن السيادة والسعادة لمن يدخل في حصن لا إله إلا الله، وأن الحياة والبقاء والدوام لمن تمسكه يد الله، على ما أمسكت يد قدرته قدوته وأسوته عبد الله ورسول الله، يدخل في قائم عبده وقيوم أمره فيبقى بشهادة أن محمدا عبد الله، وأن محمدا رسول الله، وأن محمدا حق الله، وأن محمدا ذكر الله، وأن محمدا اسم الله، وأن محمدا وجه الله، وأن محمدا معنى الله.

هذا هو الحال عند من عامل الله فوجده. وهذا هو المقام عند من آمن بالله فكانه. وهذا هو المقال عند من استقام في الله فأقامه. وهذا هو اليقين عند من مسح عن نفسه إلى إنسانه. وهذه هي المعرفة عند كلمة الله وروحه ومظهر إرادته على ما يجب أن تكون عليه أمور كل إنسان. وهذا هو الإنسان على ما يجب أن يطلب كل إنسان. ولكن الناس عن الحق في أنفسهم يعمهون، وباسم الله يثرثرون، وفي طلب الله لا يصدقون، وباب الله أمامهم في دوام لا يستقبلون، وعنده لا يقفون، وله لا يطرُقون، وطريق الله منه لا يسلكون. وإذا غاب عن ناظرهم بالتوائهم عنه لا يبحثون، وعليه لا يأسفون، وإليه لا يستترشدون، فهم في غنى بما يدركون.

إن الإسلام دين القيمة ولأهله يسلم الناس، فهو دين القيمة على أنفسهم ومن يشهدون في الناس أنفسهم، فيسهرون على أنفسهم في سهرهم على الناس، ويخدمون أنفسهم في خدمتهم الناس، ويأخذون بيد أنفسهم عندما يأخذون بيد الله فيهم يد أنفسهم في الناس.. عند ما ينشرون أمر الله على الناس وفي الناس ومن الناس.. عبادا للرحمن يمشي بهم الحق من الله على الأرض يقول: ها هو أنا ذا هو أنا بينكم... يمشون على الأرض هونا (هو- أنا). يقول بهم للناس: ها أنا السلام لكم - وإن خاصتموني - خلقتكم وأنشأتكم وأبدعتكم وقدرتكم وأقرأتكم وأنطقتكم وكلكم خصيم مبین. أحسنت صوركم وهيأت باطنكم، وها كلكم مبلس غير أمين. وما كان الله بحقه عليكم لكم بضنين. ولكنكم تكرون مخدوعين من أنفسكم على ما وهمم أنه الحياة وأنه الخير، وأنتم في عارية من أمر الحياة.

إن الله في هذه الدار يبتلي أهلها وليس فيها بمعطيهم.. إنه بالخير مبتليهم وبالشّر مبتليهم ليعرف أيهم أحسن عملا في معرفة الخلق لحسن عملهم.. إن الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون.. إنهم في دار ما قبل الحياة، وحتى ما قبل البلاء أو الجزاء.. في دار الأمانة.. في دار الاختبار.. في دار بدء الأنا أو الهو أو الأنت.. في دار القضاء والقدر.. في دار الكتاب.. في دار ما قبل الحيوان. إنكم في داركم الآن أقلام قدرته وصحائف كتبه، تكتبون بأقلام قدرته بكم ألواح عوالمه منكم، تكتبون ما يكون لكم في دار الحياة من دور الحيوان، ثم أتم بما تحيون به في دور الحيوان تحنون إلى أرضكم أرض أُمومتكم فتردون بسماء أبوتكم لتواصلوا الحياة، إما بسماء أبوتكم لكم في رجعتكم أبناء لها، وكلمات منها، وكتب عنها رسالات في الناس.. وإما على ما كنتم، وعلى ما زعتم لأنفسكم بأوهامكم، لتذوقوا العذاب ثم يقضى بينكم، كلما نضجت جلودكم وذواتكم بدلتم جلودا غيرها لتذوقوا عذاب القطيعة، عذاب الغفلة، عذاب الجهل، عذاب العزلة، عذاب الأنانية. وعلم الله لكم يقول ما نحن بمسبوقين.. وما نحن في عذابكم براغبين.. ولكن حتما على ربكم رب الناس مقضيا من ربه ورب العالمين ليعيد النشأة فيما لا تعلمون، وليعيد خلقكم من صلصال من حمأ مسنون، بما لا يخرج عن قانون طبيعته وإرادة فطرته، من صلصال كالفخار يتطور لتكون في حرارة صهره زجاجة ذواتكم فيها مصابيح للصدور من قلوبكم. إن رب الناس من ربه مأمور كما أنتم منه مأمورون.

تظنون بالله الظنون، والله حق قدره لا تقدرون، وما حق قدره إلا العجز عن تقدير رحمته، فضلا عن تقدير قدرته. وقد أراد بكم الخير وما أراد بكم الضر كما أعلمكم، ولكنه أراد أن تنشئوا أنفسكم بعملكم على ما أعلمكم لتعلموا عنه، ولتتواجدوا فيه منه من إرادتكم مظهر إرادته بكم، لتعرفوه عبادا له.. عبادا هم بوحداية الله في أحدية عين ربهم، أدركوا إرادة ربهم وعملها في إرادتهم وأثرها، عرفوا ربهم ربا محيطا، مثقال حبة من خردل في السموات أو في الأرض لا يعزب عن علمه، ولا يخرج من مظهر ذات وجوده، وذلك في معرفتهم عنهم أنهم من يعمل منهم مثقال ذرة من خير أو من شر يره، ويحيط به ويعلمه فيقومه، فيعلم عن ربه في علمه عن نفسه، ويعلم عن رب ربه في علمه، بإحاطته بعبد ربه له من إنشائه المتخلق معه باقتدائه بخلق.

وهكذا.. يسلك إلى الله معراجا في نفسه بتطور ذاته ومعناه، وبإحياء قلبه وبقيام مبناه. في إحاطة لطيف قلبه بكثيف مبناه وإحاطة لطيف مبناه بقاءم كونه، يحيط بمبناه قالبا وذاتا، قلبا لكونه مادة وذاتا، فيدرك قلبه روحا حيا منبعثا منتشرا بذاته على سعتها، إذ يرى قلبه منبعثا منفعا روحا محيطة بذاته، مبعوثا من سويدائه بفعل إطلاقه ومطلقه ومحرره، وهكذا ليتقلب بين قلبه وقلبه، محيطا أو محوطا، ربا وععبدا، حقا محتجبا أو مسفرا.. طورا يطويه وطورا ينطويه.

فالمرء بين قلبه وقالبه في كثيفه، وبين عقله ونفسه في لطيفه، وبين معناه وروحه في قائم حقيقته، يتواجد وجودا مزدوجا يظهر بأحده ويبطن بالآخر.

هكذا يقلب الله القلوب والأبصار وهو من وراء الكل محيط، وعلى كل نفس قائم، وبكل ذات آخذ بالنواصي إلى الخير بأيدي عامله لا شرقية ولا غربية، ولكن حكمته ولا قهر منه، ولكن قربه ورحمته. ما ظهر في شيء مثل ظهوره في الإنسان، وما عطف على شيء برحمته عطفه على الإنسان. خصه باصطفائه، وأهله لابتنائه، وخلق نفسه، وعبد له معناه. ما خلقت الجن والإنس.. ما خلقت الملك والروح.. ما خلقت عوالم الوجود إلا لأعرف لنفسي لا ظهور لي، ولا غيب لي، ولا قدرة غير قدرتي، ولا شهود غير شهودي، ولا غيب إلا غيبي. لا إله إلا أنا. الكل عبيدي والكل وجهي والكل رسولي والكل قياي. لا إله إلا الله محمد رسول الله.

أضواء على الطريق

(إن الإنسان على هذه الأرض ما زال في أول درجات السلم للحياة والتطور. وهو يرتقي هذا السلم ببطء شديد. وهو بين ما يسفله من هاوية العدم، وبين ما يعلوه من كائنات التواجد، مترامخ لا يساهم بجهد. وبذلك كانت سلبيته مرجحة لكفة، لعدم تمسك به على يد التواجد تجذبه إليها. إنه لا يريد أن ينبثق من حجب الظلام بإرادته الموهوبة، وعاريتة الخالقة. إنه لا يريد أن ينخي نواة إرادته المقدسة. لا يريد أن يشعل مصباح قلبه. ولا يريد أن يصلصل زجاج مصباحه. لا يريد أن يكون قلبا لما حوله. إنه فرح بشعوره بالوجود من العدم. وجزع لخاطر العودة إلى العدم من الوجود.)

(من هدي المرشد)

مصادر التوثيق والتحقيق

(٤)

دين القيمة كلمة من كلمات في جوامع الكلم

حديث الجمعة

٨ صفر ١٣٨١ هـ - ٢١ يوليو ١٩٦١ م

انشقت عنه الأرض أرضاً كما انشقت عن لداته^١ ولداتها، أنبتته الأرض كما أنبت كل أحيائها وموجوداتها، وغذته السماء بنورها ومائها، وأمدته الشمس بأضوائها والسموات بطاقتها وقدراتها، كما تفعل في دوام بخالد صفاتها.. فتأمل في نفسه، وتأمل فيما حوله.. عرف وجهل فيما حوله، وعرف وجهل مما في نفسه، ونمت معرفته عن نفسه، ونما جهله في نفسه وفيما حوله، ونمت قدرته بنماء ضعفه، ونما ضعفه في نمو قدرته.. فأغمض عينيه عما حوله وانعكس ببصره إلى ما فيه، فتفتحت له الآفاق، وتفتح له الوجود، وتفتحت له نفسه، فنظر بما فيه كتاباً له إلى ما حوله كتاباً عليه، فأدرك ما جهل، واستقل ما علم، وطلب المعرفة فيما حوله بالمعرفة بما فيه، والمعرفة بما فيه من المعرفة عما حوله، فازدادت معرفته، وأشرقت الحياة له بين جوانحه، فقرأ إنجيله في صدره، وانشرح له صدره، عرف أنه وجه لما وراءه من الوجود ووحدته، وأنه وراء كل من كان هو له في الحق وجهه.. عرف الحياة لأنه حيا فكانها، وعرف النجاة لأنه نجا فكان عنوانها، وعرف الوجود لأنه مسح عن ضيق موجوده إلى واسع وجوده، فكان وجهها لله، وكان عبداً لله، وكان كلمة من الله، وكان روحاً مرسله من روح الله، فقال للناس ها أنذا عبد الله يبعث بينكم، أعطيت كتابي يميني هاؤم اقرأوا كتابيه.

أنبتته الأرض وتحلت به السماء، وأرسلته الروح للذات من أبناء الأرض والسماء، وأذن له الحق أن يكونه بين أبناء الأرض ابناً من أبناء الإنسان، ورسولاً من روح الأرض إلى أبنائها في السماء، أرسل إلى من صلح من الناس، إلى من استيقظ قلبه من الناس، إلى من تزكت نفسه من الناس، إلى من سمت روحه من الناس، إلى من أشرق عقله من الناس في الأرض والسماء. كان رسولا

للخاصة من الناس وليس رسولا للعامة من الناس.. ذلك من نسميه كلمة الله وروحا منه، قدوة العمل، وأسوة الأمل، ومحط الرجاء، وموضوع الاختبار والبلاء.

نحييه اليوم في شهره وعنوانه، إنه مسيح المحرم، إنه نقطة الأهمية وصفر دائرة النهاية الإنسانية. إنه الصفر الذي يمثل معنى العدم في أحدية وجود المحرم على المثال، المحرم الذي يمثل معنى واجب الوجود من الحق الموجود بالشهود، وهو الإنسان الأزلي بالانتساب لمن كان له مظهرها ووجهها.

ضرب ابن مريم مثلاً للناس، ضرب مثلاً للمسلم، ضرب مثلاً للمؤمنين، ضرب مثلاً لأهل الكتاب في رسالة محمد الذي جاء برسالاته للأسود والأبيض والأحمر، جاء للعام والخاص، جاء للناس كافة، فإذا قوم محمد ومن آمنوا بالحق معه وأسلموا لمحمد رسولا له، عن هذا المثل المضروب لهم به يصدون. وما جاءهم محمد إلا ليتابعوه فيرتضيهم الله، ويتواجدوه فيوجدهم الله، ويتابعوه في سنته، وفي خلقه، وفي فعله، وفي أمره، فيتخلقون بأخلاق الله، ويتواجدون بمتابعة محمد إلى الله.. مطلوباً منشوداً من طالبه، موجوداً معروفاً لمؤمنيه، منزهاً عن الغيب أن لا يوجد، ومنزهاً عن الشهادة أن يحاط به.. يتواجدونه منه وجوهاً له وكلمات لربه، يقوم على الناس بحبهم، يبيت رحمته، وجنان نعمته، وسفن خلاصه، في دين القيمة.

إن عيسى عليه السلام ما كان إلا صورة من صور أبناء الإنسان، ضربت مثلاً لأبناء آدم، إنسان وجودهم، وأرض قيامهم، وذات ذواتهم، وروح أرواحهم، وعقل عقولهم، ونفس نفوسهم، ونور أنوارهم، وحق شهودهم الكل فيه، والكل له، والكل هو، فلهم اصطفاؤه الله لنفسه علماً عليه، وكرم أبناءه حقاً عليهم وجعلهم موضعاً لاصطفائه بدورهم اصطفاً منه، ما صلحوا لهذا الاصطفاء وما تأهلوا له. يجتبي منهم من يشاء ويضيف إليه منهم من أناب، فيكون له على ما كان لأبيه بتكاثر الحق فيه.

هذا هو الدين على ما أراده كل رسول، وعلى ما تحدث فيه كل حكيم، وعلى ما عمل به كل إمام، وعلى ما حققه لنفسه وحققه لصحبه كل ولي، وعلى ما جمعه محمد للناس، وعلى ما فرقه محمد في الناس، وعلى ما نشره محمد بالناس، وعلى ما قدمه محمد إلى الناس. يقوم على أمرين.. الإنكار على الذات والإيمان بواجب الوجود، من إنسان الله الموجود، من حيث العقيدة. كما يقوم على عقيدة السلم والمسالمة، والإيثار على النفس في المعاملة من حيث إقامة المجتمع عليها.

فإذا قلنا ما قال الرسول (الصلاة عادة، والصوم جلادة، والدين المعاملة)^٢، فإنما نقصد بالمعاملة إلى تبادل الوعي بين الناس يتواصلون بالحق ويتواصلون بالصبر ومما رزقهم الله من نوره وماله ينفقون.. في

الله يتوادون مؤثرين على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة. وفي الله يسالمون ويتحابون حتى ولو رأوا من عيون معاملهم العداوة والبغضاء. يقهرون خصومهم بجارف محبتهم.

تأملوا عيسى عليه السلام وهو يقول (أحبوا أعداءكم) ٣. امنحوا حارمكم. آثروا على أنفسكم. الله في المحبة. الله هو المحبة. الله هو المودة. ما تواد إنسان مع إنسان إلا طابت لهما هذه المودة، وأدركا فيها الصلة بالله، والرضاء عن الله، والرضاء من الله {فمن عفا وأصلح فأجره على الله} ٤.

إن المدنية التي تقوم على الخصام والتناذب والتدافع والتطاحن حتى تصل لشرعة القتل وسفك الدماء، والتي تقوم على الاستئثار بالمادة وإشباع الشهوات ليست مدنية الإنسان، ولكنها مدنية المادة، مدنية الشيطان، مدنية الشيطانية وليست مدنية المشيئة. أما مدنية الإنسان فإنها تقوم على إرادة السلام وحب المسالمة، تقوم على المحبة والمواددة. إنها تقوم على العدل الشامل. إنها تقوم على الحق الكامل. أما اقتسام الأرزاق فيها فأيا ما كان - ما وجدت المحبة - فإنه مرضي مقبول. والأثرة في مدنية الإنسان مجفوة مردولة، لا يرضاها الإنسان المذهب المتمسك بدينه أو الإنسان الإلهي أو إنسان الله.

إن الذين يتزاحمون على الدنيا مادة تؤخذ بغير حق، وبغير عمل، وبغير جهد، بوسائل مشروعة أو غير مشروعة عندهم أو عند الناس، أو بعيدة عن المحبة للناس، والمودة للناس، هم شياطين الناس، هم شياطين الإنس يعيشون عبيدا لأموالهم تربو في مال الناس وفي دماء الناس. أما الذين يعملون بما يرضي مدنية الإنسان، وبما يرضي ضمير الإنسان، وبما يقبله عقل الإنسان، وبما تستريح له نفس الإنسان، فيجتهدون ويعملون تعاملًا مع الناس، معاملًا في الله، ومعاملة في الإنسان، بما أحلت مدنية الإنسان، ورضيت مدنية الإنسان، ورضي الحق بما شرع الله، فيأخذون من الكسب لأنفسهم الكفاية، ويمدون أيديهم بما زاد عن حاجتهم إلى إخوانهم في الإنسانية، وإخوانهم في الحياة، وإخوانهم في الله، فأولئك هم المصلحون حقًا ذلكم هم المؤمنون حقًا.

إن الإنسانية بما أودعها الله من معاني الضمير الحي، والعقل المدرك والنفس الراغبة في الحياة، على ما هي الحياة، فيها وفي إدراكها وفي حكمتها ما يغنيها عن كل ما سواها، لإقامة العدل بين مفرداتها، ولتحقيق الحرية لها مفردات وجماعات، في ظل قوانين الوجود العاملة، لا تتخالف ولا تتعطل.

إن الإنسان بفطرته يميل إلى الاستقامة والحق، والإنسان بنزوته وشهوته يميل إلى الأثرة والاستهتار. فهل مجتمعنا هذا في مدنية الإنسان أم هو في مدنية الأثرة ومدنية الشيطان؟ إن الإنسان على نفسه بصيرة.

ها هي شعوب الأرض تتأسد وتتنمر وتتجمع، بين تآلف وتآلب، قطعانا من حيوانات الغابات، وأفاعي الصحاري، لتتصارع، لتتطاحن، لتتقاتل، لتسفك الدماء. يعتز القوي بقوته، ويذل الضعيف لضعفه. فهل هذه البشرية على ما هي عليه؟ هل نرى أهلها يتواصلون بحق أو يتواصلون بصبر؟ هل يدركون أن السلام بغية كل فرد في الأرض، وأن الحرب ما هي إلا نزوة الشيطان عند مفردات من الناس يعملون لها؟ مفرّقين مفرّقين، مشتتين مشتتين في الأرض، كلها أوقدوا للحرب نارا، أطفأها الله.. يريدون أن يشعلوها في دوام باردة وساخنة، ويجمعون المال - عبادا له - على حساب الأمن والسكينة والسلام. لا يبالون سفك الدماء، ولا يبالون الخصاص. يعملون له جهد طاقتهم ليتصيدوا المال في الماء العكر، وقد عكروا ماء الحياة في مجتمع الإنسان.

ها نحن كل يوم نرانا على حافة الحرب فتبليبل الأفكار وتهتز السكينة، وتفتقد النفوس السلام، فهلا جأر الناس إلى رب الناس؟ هلا جأر الناس إلى راعي الناس؟ هلا جأر الناس إلى قدرة الله في ملك الناس؟ هل توجهت همم الناس إلى غيب الناس وإله الناس؟ إنهم لا يفكرون إلا في قدراتهم وفي أفقهم وفيما يسمونه عقولهم وهم فاقدوها، وفيما يزعمون من رشادهم ولا رشاد لهم. هلا توجه الناس وتجمع الناس وتآلف الناس وتآلف الناس يقيمون صلاتهم تضرعا إلى الله أن يرفع عنهم هذا البلاء، مما يعلمون ومما يجهلون، حتى يرفع عنهم الغمة، ويفرج لهم الكربة، متوسلين بعبده ورسوله، متوسلين بكلماته وعباده، مبتغين إليه الوسيلة على ما هداهم وأمرهم، متصلين برسوله من بالله وصلهم، متصلين عليه بصلاتهم به، متجمعين على ذكره، متجمعين على هديه، متجمعين على نصحه، متجمعين على متابعيه، حتى ترفع إلى الله ضراعاتهم وحتى يجاب من الله دعاؤهم؟!

هذا ما يجب أن نلجأ إليه ونجتمع عليه. هدانا الله وإياكم سواء السبيل.

اللهم اجمعنا على قائم كلمتك، وعلى موجود ذكرك، وعلى مشهود اسمك، وعلى عامل رسلك، وعلى مشرق وجوهك، وعلى قيوم حقلك وحقائقك من أوليائك. اللهم بهم لبّ نداءنا وحقق فيك رجاءنا وأنزل السكينة والأمن على قلوبنا والسلام على أرضنا. اللهم كن لنا في الكبير والصغير من شأننا. اللهم وفق حكامنا وأئمتنا وعلماءنا وروادنا. اللهم اهد قلوبنا وأثر عقولنا وزكي نفوسنا. اللهم كن لنا ولا تكن علينا ولا تولّ علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا. اللهم ولّ أمورنا خيارنا ولا تولّ أمورنا شرارنا. اللهم عافنا من عدلك وقنا شر غضبتك وعاملنا برحمتك. اللهم القنا كما تحب وترضى ممن أحببت ورضيت، واجعل اللهم خير أعمالنا خواتمها وخير أيامنا يوم لقائك.

أضواء على الطريق

- {إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا. وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا}° {والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا}٦.
- {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون}٧. من أحاديث الإحاطة.
- {ورضيت لكم الإسلام ديناً}٨، {وتمت كلمة ربك}٩، {أعطيت جوامع الكلم}١٠، {أنا روح القدس}١١، {لا مهدي إلا عيسى}١٢. من أحاديث الرسول.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ كلمة "لدات" تعني لغويا الشخص الذي وُلد معك في نفس الوقت أو تربى معك. ولكن استخدام كلمة "لدات" مجازيا يشير إلى الأرواح أو الذوات المتآخية المتحابّة والمتحدة في جوهرها. وهو ما يستعمله السيد رافع في أكثر من سياق.
- ٢ إشارة إلى مقولة للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: (الصلاة عادة والصوم جلادة ومعاملة الناس هي العبادة).
- ٣ "وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لِأَعِينِكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ"، (مت ٥: ٤٤).
- ٤ سورة الشورى - ٤٠
- ٥ سورة مريم - ٣٠، ٣١
- ٦ سورة مريم - ٣٣
- ٧ سورة آل عمران - ٥٩
- ٨ سورة المائدة - ٣
- ٩ سورة الأنعام - ١١٥
- ١٠ جزء من حديث شريف. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فَضَّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسَّتٍ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ). سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضاً منه في أحاديث أخرى.
- ١١ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ١٢ حديث شريف: "لا مهدي إلا عيسى". سنن ابن ماجه

(٥)
محمد الله وآدم الله
للناس قدوة وأسوة
وللعالمين حياة ورحمة

حديث الجمعة

٧ ربيع الأول ١٣٨١ هـ - ١٨ أغسطس ١٩٦١ م

إلى محمد الله، إلى من أخرج الله قدوة وأسوة، إلى من بعث بربه رسول رحمة، إلى عين رحمة الله، إلى رسول أنفسنا من الله، إلى عقولنا مكلفة، ونفوسنا مزكاة، إلى روح أرواحنا منطلقة ومغفأة، إلى مفتاح الحياة وباب الحياة ووسيلة الحياة، إلى سفينة النجاة، إلى طريق الاستقامة والموالاتة، إلى باب الله ووجه الله، إلى يد الله وذكر الله، إلى عبد الله وابن عبد الله وأبي عبد الله، إلى آدم الله وإنسان الله، إلى من استخلفه الله وأحياه ونفخ فيه من روحه فأبقاه، وبعثه رحمة فأرضاه، وأضافه إلى نفسه فأسعده وتولاه، إلى رسول الله لرسول الله، إلى رسول الله لعباد الله، إلى رسول الله لخلاق الله، إلى رسول الله لعوالم الله، إلى رسول الحياة إلى الحياة .

إليه.. باسم الله، وبروح الله، وبنور الله، نتوجه بالإيمان والموالاتة طلباً للعبودية لمن عبده وولاه، وكان لنا به عين معناه فأمناه، وصدقناه، وأسلمنا أنفسنا وأرواحنا له ولمعناه.

في مثل هذه الأيام من كل عام يحتفل فريق من الناس من أهل هذه الأرض، بمن عرفوه اسماً وذكرنا محمد ابن عبد (الله) ابن آمنة (الله) بنت وهب (الله).. يحتفلون به على الصورة التي ترضيهم، وبالمعنى الذي يرضيهم، يذكرون ما أسموه مزاياه وسجاياه، يذكرون له صفات وأوصاف ارتضوها، ويتحدثون عن أقوال وأفعال تلقوها أو شهدوها، وعنه عن آبائهم نقلوها...

على أن هذا هو كل ما يليق به عندهم، وكل ما يصح أن يعرفوه به بينهم...

وكل ما جعلوه له أو نعتوه به إنما هو ما شاركوه بقائمهم فيه، أو كانوا محلاً لمعانيه، وقد جهلوا أنفسهم منه من الله كما جهلوه منهم من الله، فلم يصفوه إلا بما عرفوا عن أنفسهم، وما عرفوا عن

أنفسهم إلا أنها بعيدة عن الله وعن عبد الله وعن عباد الله، ولو أنهم عرفوا أنفسهم قريبة من الله لوصفوه بغير ما وصفوه، ولنعتوه بغير ما نعتوه، ولعرفوه بغير ما عرفوه.

إن ما نعتوه به وما وصفوه به وما ذكروه متصفا به أو مالكا له، ما كان إلا بعض ما وصفته به الجاهلية. فقد عرفته أمته في جاهليتها صادقا أميناً وما زال هؤلاء الذين يقولون أنهم آمنوا به وأسلموا له وتابعوه على دينه يصفونه بما وصفه به من جهلوه ومن أنكروه ومن خاصموه على أنه أهم مزاياه، فيقولون إنه الصادق الأمين مثلاً، وما كان هذا الوصف يشاركه فيه الجاهليون بكثير منهم ليكفي حملهم على الإيمان به أو الإسلام له، فلم يغني وصفه بالصادق الأمين من عرفه صادقا أميناً ليؤمن به وليسلم له، ولتتابعه على ما جاء به، وقد نعت عنده من قبل الرسالة بالصادق الأمين، فما عرفه قومه في الجاهلية إلا صادقا ما كذبوه، وإلا أميناً ما استخانوه. ولكن وصفه هذا عندهم لم يكف لهم فيه أن يؤمنوه وعلى دينهم يأمنوه وعلى أنفسهم يأتمنوه فيتبعوه فيتبعوه.

إنا ما زلنا نقول الصادق الأمين، على أن هذا ما يشرف به وخير أوصافه. إن الواجب في الإنسان أن يكون صادقا أميناً، فإذا اتصف محمد بالواجب الذي يقع على كل إنسان وما يحققه لنفسه أي عاقل، فما وجه تميزه في ذلك؟ وهل هذا كل ما أبرزه الله فيه وبعثه بيننا به؟ نعم هو الصادق الأمين وهذا من يسر قدوته، ولكن أين هو الفضل العظيم له من ربه؟ ما هو الخلق العظيم يصفه به ربه؟ كيف هو أول العابدين؟ وما هو الفتح المبين؟ وأين ومتى هو رحمته للعالمين؟

إن الله أبرز محمدًا عبده، وذكره، وحقه، ووجهه، ويده، وقدمه، وإنسانه، وروحه، ليكون للناس فيه أسوة ما تأسوه، في ذكر سمعوه، أو خبر رددوه أو أسمعوه، أو فعل رأوه أو نقلوه، أو إليهم انتقل ممن أدركوه، فعرفوا ما كان منه، ورشدوا بما كان من حكمة ربه به فتأسوه واقتدوه.

إن محمد الله، أسوة بأثره وخبره، بحياته ومماته، وتاريخ حركاته، باسمه وذاته وذكرياته. إنه عبد الله الذي إذا ذكر ذكر الله. إن لفظ الله امتزج مع لفظ عبد فيه، فنسب العبد إلى الله حقه وخالقه وباريه، فذكر الله عند ذكر عبد الله، فكان حلقة وسطى وعروة وثقى بين الناس ورب الناس في الله. كان بذاته آدم رسالته من مرسله، وآدم إرساله من كتابه، وآدم استجابته من ربه، وآدم بشريته من أمته، وآدم ذاته من حقه. أرسله آدم ومرافقه من الأعلى آدم، فكان آدم نفسه، وآدم أهله، وآدم بيته، وآدم متابعيه، وآدم المسلمين له، وآدم المؤمنين به، وآدم الناس من آدم رب الناس أرسل إلى الناس، يتواجدون به أوادم الله، بمتابعة آدمه متجددا بينهم كلمات لله.

كان آدم إرساله، آدم ربه، هذا الذي فرض عليه القرآن، وفرض عليه مع فرضه له الارتداد به إلى قومه، بمزيد وعيه بما وهبه من سر الكوثر، فما أدت ذاته منه وظيفتها إلا تجددت له ذات بعين وظيفتها، بما أعطاه من سر التكاثر بنوعه ومعناه، فكلمها فارق بذات تبدأ بمرتقاها عاملة بعملها ذات، تغزو النفوس وتحررها عن معناها إلى معناه، تصلها به لربه، وتخرها عنها إليه من ربه، فتصبح به عبادا لربه، بعينه لعين ربه، كان ميتا فأحياء وأنزل عليه نوره فأبقاه يقوم ويتقلب في الساجدين. بالنور الذي أنزل معه، والنور الذي جعل له بالروح الذي بعث به من أمره.. يسمع به ويبصر، يسمع به من يسمع في الحكمة والطبيعة كلام الله، ويبصر به من يبصر في الناس والآفاق وجه الله، ويقرئ به من يقرأ في الوجود كتاب الله، ويقوم به من يقوم في الناس منه سراج الله.

ولكن تمر القرون وتمر الليالي والأيام، والناس كلما مرت بهم الأزمان، وكلما بعث الله فيهم على رأس كل قرن في لمحات الزمان من يجدد لهم أمور دينهم به، ازدادوا بالمخاصمة في غيهم، وأبقوا على جاهليتهم من صلاتهم وصلواتهم للظلام، فأظلمت الدنيا من حولهم، وأظلمت بظلام فعلهم قلوبهم بين جوانحهم في مشكاة صدورهم.. لا تشرح لهم صدور، ولا تشرق بروح الله فيهم قلوب، فلم تتر بذكر الله كلمات أنفسهم، ولم تتطور باسم الله عوالم ذواتهم كعالم صغير لله نواة لعالم كبير في الله، {لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس}١. فما خلق السماوات والأرض إلا تطور الناس إلى معاني الكبر فيهم بمعناهم من ذواتهم.. والله أكبر. فما خلقت السماوات والأرض من إنسان نشأتها إلا لإنسان وجودها وطلعتها، يشهدون أن لا إله إلا الله بكشف الغطاء عن غلاف نفوسهم من نار قدسه، مشرقة بنوره من نور هديه، متسعة بكرمه وجوده من عطاء رحمته، باقية بالحياة من قيوم حياته. خلق السماوات بأيدٍ من الإنسان من الناس، وأنه في خلقه بأيدٍ له لموسع، ما اتخذ المضلين عضدا، وما أشهد المضلين خلق أنفسهم ولا خلق السماوات والأرض، ولكنه أشهد العابدين له، العارفين به، القائمين بأمره، الذين ظهرهم فأظهروه، وقامهم فأقاموه، وشهدهم فأشهدوه، وعلمهم فعرفوه، أشهدهم خلق أنفسهم وأشهدهم خلق السماوات والأرض، ولم يجعلهم أنفسهم ولكن جعل من أنفسهم لهم به عبيدا هم لهم في معانيهم من معناه بهم، وهم في أنانيتهم من أنه، وهم في أوانيتهم لمعانيهم بيته ومبناه في موجوده من وجوده.

هذا جاء به محمد الله وعبد الله ورسول الله وأسوة الناس وقدوة الأجناس، فهل تذاكره قومه؟ وهل تعارفه أهله؟ وهل تواجد به بينهم بيته للناس؟ والناس جميعا في بيت فطرته، والناس في أزمانهم هو لهم قدوة، والناس في عصورهم كان هو لكافتهم أسوة.. رحمة للعالمين وربا رحيم بالعالمين، وعبدا لله، عبدا لله على ما عرف الله، وعلى ما عرّف الله، بما عرف للملأ الأعلى، وتعارف عليه كما عرفه

رسول الله فيه، يُشهد فيه الله وجهها لوجوه، ويتقلب في الساجدين بأمر الله وبسر الله وبنور الله وبقدرة الله. يعرفه الناس يوم يعرفون معنى الله، ويذكره الناس يوم يذكرون اسم الله، يد الله تظل الناس، ويد الله تقل الناس، ويد الله تقود الناس، ويد الله تهدي الناس، ويد الله تجتث الأشجار الخبيثة من بين الناس، يد الله القادرة، ويد الله الراحمة، ويد الله الهادية، ويد الله الباقية، ويد الله المتجددة الأبدية، ويد الله القديمة الأزلية.

بماذا تحدث الناس عن رسول الله قبل محمد الله؟ وبماذا تحدث الناس عن رسول الله بعد محمد الله؟ ما كان قبل محمد الله إلا محمد الله آدمًا للناس. وما كان بعد محمد الله إلا محمد الله آدمًا للأجناس. وما كان محمد الله بين الناس إلا آدم الله للناس. وصفوه خليل الرحمن ووصفوه حبيب الرحمن، وما عرفوه من الله، وما عرفوا من خال، وما عرفوا من معه تحاب من قبل ظهوره ومن بعد ظهوره.

يقولون خليل الرحمن بألسنتهم وبأفواههم، لم يسكن في قلوبهم نخلة الرحمن معنى، ولا تُعرف نخلة الرحمن إلا في قيام خلته مع من كان له خليل، ولا تعرف محبة الرحمن إلا في محبته مع من كان له حبيب.. إن كنت خليلًا لرسول الله عرفت كيف خال رسول الله الرحمن وكيف خالل الرحمن رسول الله. إن كنت لرسول الله حبيب عرفت كيف أحب الرحمن رسول الله، وكيف أحب رسول الله الرحمن، كيف أحب رسول الرحمة ربه الرحيم، مظهرًا لحب الله بعبده الكريم.

إن شهادة أن لا إله إلا الله تقتضي أن يشهد المشاهد لها، القائم بها بما عرف منها من قاموها وشهدوها، فقال قائلهم (ما في الجبة إلا الله)^٢ وقال قائمها (سبحاني ما أعظم شأني)^٣. ولو أن هذا الداخل في حصن لا إله إلا الله شهد محمدًا رسول الله، لشهد أن الله أكبر، على ما شهد أسوته وقدوته عبد الله ورسول الله، أن الله أكبر، ولقامت فيه العبودية للأكبر اسما وذكرًا لله الذي هو منه أكبر، والذي هو به يظهر، وجهها له وعبدًا له.

إن الإسلام بني على شهادة في شهادتين وعلى أمر في أمرين.. شهادة أن لا إله إلا الله، يشهدها المؤمن بالله مع رسول الله فيشهد أن ما في الجلدة إلا الله عنده وعند رسول الله. فإذا قام رسول الله وكان رسول الله، وعلم ما علم رسول الله مما أعلم رسول الله، ومما اختار رسول الله لأهله، ومما احتفظ رسول الله به لنفسه، لشهد الله أكبر. ولو شهد أن الله أكبر لعلم أيضا أن رسول الله منه أكبر. ولو شهد أن الله أكبر وعلم أن رسول الله أكبر، لكان لهما في الأرض مظهر. فكان كلمة الله وعبدًا لله وابنا لرسول الله، وثالث ثلاثة حقائق يجمعها الله، وتظهرها كل حقيقة منها بالله بيتا له ووحدة لأهله.

هذا كله جاء به محمد الله، وجاء به كتابه من الله كتابا له وبلاغاً إلى الناس.. كتاباً له وإعلاماً له عن غيب نفسه، وبلاغاً إلى الناس وإعلاماً لهم عنهم، وإعلاماً لهم عن بشراهم من الله لمآل غيب أنفسهم.

تنزهه بحمد الله ربه ورب الناس عن مفردات الناس في مقامه وفي إعلامه وفي قيامه، كما تنزهه به ربه ورب الناس عن الجهل به، أقرب إلى الناس من حبل الوريد، ومن ورائهم محيط، وعلى كل نفس قائم ومعهم أينما كانوا معروفاً لا مجهولاً. يعرفونهم في معرفتهم أنفسهم، وفي معرفتهم أنفسهم يشهدونه واحداً أحداً آمنوه. ويجهلونهم في جهلهم عن أنفسهم وأمرهم من أمره بهم هو لهم ميسر، فيجهلونهم أو يجهلونهم.

إن الناس بقائم دينهم ما لبوه، ما أحبوه، ما آمنوه، ما وحدوه، وهو الذي جاءهم ببلاغ الله {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون}٤. لقد جعل الله رشادهم في استجابتهم وإيمانهم، وجعل إجابتهم وتلييتهم في طلبهم وسؤالهم لنبيهم. وأمر نبيه وعنده أن يعلم الناس كيف يطلبونه كلما سألوه، ووعد به بإجابتهم على ما أجابه وكما أجاب من قبله، وأمره بأن لا يحول دونهم مفتونين به بما حباه من وسيلة دائمة لهم.. فإنه مجيب كل من طلبه عن طريق رسوله، هادي السبيل إلى الرسول لكل من جاهد فيه. فلمن يكون بعد ذلك الأنبياء وقد فتح الله بمحمد في دوام رسالته بجديد ذاته الباب لكافة النفوس بتحقيق الأمل لكل آمل وتحقيق الرجاء لكل راجي معرفته؟

فمن طلب أن يكون نبياً يحمل نبأ الله للناس، ونبأ ربه للناس، ونبأ رسوله للناس، ونبأ نفسه وتجاربها لنفوس الناس، فليطرق باب الله في مجتمعه لن يغيب أبداً - هو {الرحمن فاسأل به خبيراً}٥ - وليسلك طريق الله مستقيمة أزلاً، وليتابع رسول الله أو من تابع رسول الله على بصيرة، لا يغيب أبداً طريقاً للرسول البصير في القانون القائم في {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}٦ طريقاً لا تنقطع أبداً. أهلها يدعون إلى من يدعو إليه الرسول على بصيرة، وهو فيهم دائماً ببصيرته، يقومهم ويتقلب بالسجود لربه فيهم.

هذا هو محمد الله على ما أبرزه ربه، رب الناس رسولا من أنفسهم، الله من ورائه وورائهم محيط، رسولا إليهم منهم، يقول لهم ما قال له رسول ربه له أنا منكم وإليكم. أيها الناس: الحق لكم منكم وإليكم. أيها الناس: إنما هي أعمالكم ترد إليكم. أيها الناس: الهدى منكم وإليكم. أيها الناس: نصيبكم من الله منكم وإليكم.

أيها الناس: حققكم من الإنسان منكم وإيكم. أيها الناس: ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله. أيها الناس: لقد جعلكم الله برسول الله أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا، أيها الناس: لقد جعلكم الله برسول الله خير أمة أخرجت للناس.. أستم به متابعي خير عبد أخرج للناس لخير أمة لله بين الناس؟ أستم به في دين الله في دين محمد الله عبد الله ورسول الله، وأقرب الخلق إلى الله، وأعرف الخلق بالله، وأقوم الخلق للخلق في طريق الله! كيف لا تكونوا به خير أمة أخرجت للناس، وأنتم على دين القيمة الشهداء المصطفين، رسول الله عليهم شهيد؟!

هذا هو محمد الله على ما يليق أن نذكره أو أن نتواصاه، فنعرفه من قبل أن يتواجد معروفا لنا بمبناه، رسولا قديما في رسل الله، وبعد أن غاب عنا بأولية جديده لقديمه من حقي معناه ومبناه آدامان في آدم الله، نعرفه متكاثرا في أوادنا بأوادمه، متكاثرا بوجوهه وجها لله ينظر إلينا متكاثرا بخلته، ومتكاثرا بحبته، ومتكاثرا ببيته ومدينته، ومتكاثرا بأهله وأمتة، ومتكاثرا بعثرة كتبه ومصاييح طلعت، ومتكاثرا بعبوديته عبادا لله لا انقطاع لهم بالحق يقومون وله يشهدون.

فهل عرفنا محمدا محمدا لله، فعرفنا في معرفته الله، وطلبنا في طلبه الله، وقنا في القيام به قياما لله، وجاهدنا في طلبه والبحث عنه بين جوانحنا وبين عوالمنا وبين أهل بيئتنا، وفي علمنا وفي كل ما نعلم عن الله، نرى فيه فيض الله وهدى الله؟

هذا ما يليق بنا أن نذكر به عبد الله ورسول الله، من كان لنا قدوة وجعل الله فيه لنا أسوة. نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمدا رسول الله وعبد الله وحق الله ووجه الله ودوام ظهور الله ودوام غيب الله.

اللهم حمدنا بحمدك. وعبدنا بعبدك. وأنرنا قلوبا بمصباح علمك. وأوصلنا بطريق وصلتك. وخذ بنواصينا إلى الخير به يدا لك، ورحمة منك. اللهم ألحقنا به مغفورين، وألحقنا به محمدين محمدين، وألحقنا به لك حامدين. اللهم عرفنا إياه معرفة نشهد بها محياه، وأقنا بك محياه حتى نشهدك عين معناه. اللهم أدخلنا به حصن لا إله إلا الله، وأقنا به بلا إله إلا الله، وأكملنا به وكبرنا فيه حتى نشهد أن محمدا رسول الله، وحتى نشهد أن الله أكبر. اللهم كن لنا في الصغير والكبير من شأننا، وفي كل أمر به فتولنا، واجعل اللهم خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائه ولقائك. اللهم أصلح أمرنا حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، مجتهدين ومتابعين، يقظين وغافلين، وكن لنا رحمة يا رب العالمين، وعافنا من إقامة عدلك وعاملنا بجودك وعفوك.

أضواء على الطريق

- {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته} ^٧ - هل الأمر بالإيمان بالرسول موقوت بفترة ظهوره بذات التبليغ؟ وهل نفاذ أمر الله موقوت بحياة الرسول بذات البلاغ؟ - أم هل يطلب الله من الناس الإيمان بالرسول كذات من ذوات التاريخ ككاذبون وهولاء أم لا؟ أم هل المطلوب منهم في معنى الإيمان به أن يلوكونا بألسنتهم اسمه ونعته وليس له موضع من قلوبهم وليس له واقع في مجتمعهم؟ فليتأمل الناس أمرهم وأمر ربهم.
- {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني} ^٨ فهل انقطع الداعي من بعده؟ وهل الداعي المتابع على بصيرة يخرج نفسه للناس بإرادته والكتاب يقول {الله أعلم حيث يجعل رسالته} ^٩ كما يقول {إنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون} ^{١٠}؟ والرسول إذ يظهر بينهم الروح جبريل، يقول لقومه هذا أخي جبريل جاء يعلمكم دينكم.. أصبح مستحيلا بعد ذلك الاتصال بالروح والعلم عنه، وإخراجه للدعاة؟ هل الداعي المتابع على بصيرة يأخذ هذا الوصف من البصيرة وهو بعيد عما تحقق به الرسول من الصلة اليقينية بربه والاتصال الدائم به، والرسول يقول علماء أمتي كأنبيا بني إسرائيل، والقوم يقولون الشيخ جبريل المرید، والرسول يقول من كنت مولاه فعلي مولاه؟
- هو {الرحمن فاسأل به خبيرا} ^{١١} هل أمر الله الناس بالالتجاء إلى خبير لا وجود له في طبيعة حياتهم، أم يعني أقوال منقولة عن خبير عرفه أهل عصره بهذا الوصف ضالين أو مهتدين؟ ومن يكون الخبير بالرحمن غير عباده يمشون على الأرض هونا، يعرفهم ويعرفونه، ويصلهم ويصلونه على بصيرة، لا ينقطع لهم وجود برحمة، ولا تواجد بمجاهدة، يخرج قديمهم جديدهم، ويعرف عنه عند عارفه في ثابغ ودوام؟

مصادر التوثيق والتحقيق

- | | |
|---|---|
| ١ | سورة غافر - ٥٧ |
| ٢ | مقولة للحلاج. |
| ٣ | مقولة لأبي يزيد البسطامي: (سبحاني سبحاني ما أعظم شأني). |
| ٤ | سورة البقرة - ١٨٦ |
| ٥ | سورة الفرقان - ٥٩ |
| ٦ | سورة يوسف - ١٠٨ |
| ٧ | سورة الحديد - ٢٨ |
| ٨ | سورة يوسف - ١٠٨ |

٩	سورة الأنعام - ١٢٤
١٠	سورة يوسف - ٨٧
١١	سورة الفرقان - ٥٩

(٦)

العبد لله

الحق المحمد والنبا العظيم

للناس رب راحم، وملك خادم وحق حاضر

حديث الجمعة

١٤ ربيع الأول ١٣٨١ هـ - ٢٥ أغسطس ١٩٦١ م

اليوم نحْيِي الذكرى لمن سمعناه، ونحْيِي صاحب الذكرى على ما شهدناه، ونسأل الله أن نحيا بهذه الذكرى وقد آمنه، وبصاحب هذه الذكرى وقد عشقناه.

نحْيِي في ذكره الزمان الحي، فيحيي فينا الزمان من شهر مولده مبعوثا، فنحيي فيه المكان الحي فنحيي أرض مولده بحياة قلوبنا وليدة، ونحيي فيه المعنى الحي من معاني إنسانه، فنحيي به في سموات تواجده من عالم وجوده، ونبعث في أرض توالده من عوالم تواجده.

نرانا ونراه، ونرى به إلى معنانا من معناه، نراه سيدنا بسيدته، ومولانا بمولاه فنعم هو مولانا ونعمنا ونعم مولانا مولاه. نحن عبده وعبيد لمعبوده ورفيقه ومن هو لنا عين معناه. لا نتخذة ربا من دون ربه أو من دون الله. ولا نرانا عبادا له من دون ربه أو من دون الله. فإن لم يكن في مستوانا فقد دانانا، وأنا لنرانا عبيدا بشرف معناه، نحيا به بنا مبعوثا، وتتابعه مرفوعا، ونستهديه ونحل في داره موضوعا، فنكون من أهله شافعا ومشفوعا، أبناء له أو تبعاء له أو خدما له أو عبيدا له.. هو أولى بنا من أنفسنا مؤمنين، وأزواجه أمهاتنا مرحومين، وبيته مأوانا مقربين، وكلامه منجانا مغفورين، ووصلته غايتنا مجاهدين، وربّه إلهنا موحدين.. خلقنا فسوانا مسلمين.. من ورائنا محيط عاملين، نحن له وجوه منيبين متوكلين، أقرب إلينا من حبل الوريد متطورين سالكين، بحكمته وعزته ورحمته وقدرته متخلقين أبناء له، نحن له في وجوه وجوده مجددين، وجوها خالدة متعددة متجددة لرب العالمين.

تمر بنا الأيام، وتمر بنا الذكرى في كل عام من الغافلين، ولكن المؤمنين منا لا تمر بهم الأيام، ولا تمر بهم الذكرى، ولكن فيهم تسير الأيام وفيهم تسير الذكرى.. تحيا الأيام فيهم بهم مع أنفاسهم،

وتتجدد الذكرى فيهم مع خواطرهم، لا ينقطع لهم خاطر عن رسول الله.. خواطرهم وآراؤهم وقيامهم ومعانيهم عاطرة بذكره. وأيامهم مشغولة بفعله وأمره، لا ينقطعون عنه، ولا يغيب عن نواظرهم وأسماعهم وقلوبهم، يرونه في أنفسهم وفيما حولهم من الوجود رسولا وعلماء على ما وراءه من الموجد. هؤلاء هم المؤمنون حقا.

يعرفون الله ورسوله في معرفتهم عن أنفسهم من معانيهم. كراسي سلطانهم سلطانه وعروش وجودهم وجوده، ومظاهر ووجوه أمرهم أمره. صديقون لكتاب الله على ظاهر لفظه لأنهم يؤمنون ويصدقون أن قدرة الله لا تقاس بقدرتهم، ولا تحاط بعقولهم، ويعرفون أن كلام الله يغير كلام خلقه وإن جاء في مظهر ثوبه من اللفظ. وهم بإيمانهم بالله يؤمنون ويعلمون أن كلام الله ليس لفظا ولكنه نور يمس القلوب إذا تطهرت، وأن الله مطورهم ومغيرهم على ما يشاء وكيفما شاء، وهو الصمد في ذاته، والصمد في فعله، والصمد في صفاته.. يغير ولا يتغير، يبدل ولا يتبدل، يتعالى ولا يفارق المداناة، ويتداني ولا يفارق التعالي والمعالاة. هو فيهم بلا حصر له، وهم فيه لا على مثال له.. يظهرون وجوها ولا يملكونه، ويقدرونه معاني ولا يقدرونه.. بهم يختفي على من يعلونهم وعليهم يختفي بمن دونهم من ورائهم محيط.

كان رسول الله حجاب عظمته، ومداناة رحمته، وقدم قدرته، ويد نجاته، ووجه طلعتة، وحق قيامه، وخليل غيوبه، وعالم غيبه، وشهادة علمه، وكتاب حكمته، وقلم قدرته، وألواح كتابه، وأم كتبه.. يداني برحمته ويمتد بنوره، ويحيي القلوب فيستويها، ويحيي أهلها بمعناه في قيام معانيها. يبصر به ويسمع وينطق به ويعلم.. فيسجد في الساجدين لعظمة ربه.. ويشرق للمحبين بجمال ربهم.. ومع هذا كله رآه في الناس في شهود موجوده واختفى عليه في أمته لشهود معبوده.

هذا من نحتفل اليوم بذكره، وبمولد له من موالده.. نحتفل بذكرى حياة له من حيوات.. وبذكرى طلعة له من طلعات.. وبذكرى سفور ذكر الله من إذكاء وإسفار.. نحتفل بذكرى آدم لله من أوادم لا حصر لها.. ولا بدء لها.. ولا انتهاء لها.. ولا نهاية لها.. ولا عد لها من إنسان معناه.

به عرفناه شرف العبودية للربوبية، به عرفنا أن الألوهية في العبد كما هي في الرب.. هي الله من ورائهما محيط. به عرفنا أن المحيط في دائرته لا نهاية لها، مداني بإحاطته لا انتهاء لها.. حتى وحدانيته في ذاته للواحد الأحد في صفاته. به عرفنا أن العبودية لله هي طلعة الله ووجه الله. به عرفنا أن العبودية لله هي بداية الكائنات مخلوقة محققة وهي نهاية الحقائق مكرمة مشرفة مجددة. به عرفنا أن الإنسان في أحسن تقويم وأن الإنسان أسفل سافلين هو الإنسان - ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان - وهو به ظاهر في أزل - به عرفنا شرف الإنسان من الله في ظهور الله

بالإنسان للإنسان عبدا رسولا وحقا مرسلًا. به عرفنا أن شرف الإنسان هو شرف الله. وبه عرفنا أن شرف الإنسان إنما هو في ظهور الله به. به عرفنا أن الإنسان وربّه قياما واحدا لا تعدد فيه، العبد هو عين الرب والرب هو عين العبد في الله. به عرفنا كل الدين، وبه جمعنا الدين من أطرافه من بداياته إلى نهاياته، فإذا الدين هو الرب ببداياته وهو عبد الله بنهاياته، وهو الله من ورائهما محيط بقيامه وقيامته. به عرفنا أن هذه الأرض التي نعيش عليها وتتواجد من ترابها هي أرض البداية، أو أرض البدايات، أو هي أرض آدم، أو أرض الأوادم، وهي أرض الشجرة الطيبة أصلها ثابت وفروعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها. انشقت عنها أوادم لله عوالم له على صورتها، يوم انشق عنها عبد الله ورسول الله، ويوم ينشق عنها عبد الله ورسول الله مرة أخرى ربا لها، فتشرق الأمة الامة الوالدة بنور سيدها الوليد، تشرق الأرض الحزينة بنور ربها السعيد، فتسعد الأم بولدها وينقضي زمان شقاءها، يجعل الله من ولدها تحتها سريا يحملها ويحمل ركب عوالمها إلى ربه وربها من اللانهائي، يحملها إلى الرفيق الأعلى من الوجود ومن الحياة في دورة دائبة منتظمة لأوادم الله في إنسان سرمدية.

بمحمد في قديم وبمحمد في مستديم أشرقت الأرض وتشرق بنور ربها، ووضع ويوضع الكتاب وجيء ويحاء بالنبيين والشهداء، وقضى بينهم ويقضى، وأخذ بمحمد ميثاقهم ويؤخذ، وبارك ربهم هذا الميثاق وباركه، وشهده ويشهده، وأعطى العهد بقدرته على إنفاذه، ويعطي وهو على ما فعل يوم فعل بصمدي فعله في قانون خلقه في قديم له ولأنبياء، في حضرة من حضرات قدمه يفعل في دورة تجليه بخلق يوم يتجلى بمحمد ذكر رحمته وحق دعوته.

ألم يصلي محمد بالنبيين إماما في المسجد الأقصى وقد عنون لهم المسجد الحرام لربه؟ فقاموا صفوفا من خلفه يستقبلون البيت المرفوع للرفيق الأعلى من قديمه.. يقودهم إلى ربه وربهم سيذا لهم وسيذا عليهم بجديده، سيذا لولد آدم وعلما للبيت الموضوع يعرف بيته لأبيه الذي شب ونما فيه، ثم وضع منه كلمة تمت للناس وأول بيت يوضع للعالمين من كل الأجناس، يأخذ إخوته وأبناءه إلى بيت أبوتهم مرفوعا، شافعا مشفعا من أبيه ورب أبيه، مرضيا بشفاعته من أخوته وبنيه.. روح قدس الله، وعبد قديمه، وتكاثر جديده، ويد عهده، وتابوت دوامه، وسر ذاته، ومجمع صفاته، وإنسان تواجده، وكتاب كتبه، ورسول رسله، وعبد عبوديته، ومظهر عظمتة، وحوض رحمته، وحق طلعتة، وعلم وحدانيته، وصمدي عبوديته، ورسول ربوبيته.

ماذا عرف قوم رسول الله عن رسول الله؟ وكيف واصل أو اتصل أتباع رسول الله برسول الله؟ هل وثقوا معه أو شاج الروابط بحبته، فسعدوا بينهم بدوام طلعتة؟! هل سلكوا سبيل هديه، وسبيل كتابه، وسبيل بلاغه، ولم يجدوا ما حمل إليهم من ربه على لسانه ويده، غير الصدق وغير الحق؟! هل

عجز الله عن نصرتهم؟ هل غاب ربهم عن وصلتهم؟ هل اختفى رسوله عن نجدتهم؟ هل غاب وجهه من قبلتهم؟

اقرأ تاريخكم وتاريخ آبائكم، وتأملوه وتحرروا من أوهام أنفسكم، واحكموا أنتم على أنفسكم، في حكمكم على آبائكم.. هل آمن بحمد قوم محمد في عصر محمد على ما يليق من الإيمان بحمد الله أو رسول الله؟ هل أدرك من سمعوا محمدا ما أسمعهم محمد؟ وهل قدر هو إدراكهم لما سمعوا فشهد لهم أم أشهد أنهم ناقلوه ولم يدركوه؟ هل كان لما سمعوا أثرا في قلوبهم فظهر له أثر في أفعالهم وفي تاريخهم أم أن أثره كان على نفوسهم فتلقفوه ببطونهم؟ انظروا وتأملوا.. إنكم من بعدهم وبفعلهم تعبدون أوهامكم والتاريخ بين أيديكم على خيال منكم وخيال من أخيلة سابقكم من الآباء والأجداد. تصفون الرسول وصف الناس بالطهر والأمانة - وقد كانوا معه مع الطهر والأمانة - ولكنهم لم يكسبوا الطهر أو الأمانة إلا من رحم الله. وها أنتم تفتقرون في بيئكم وفي جمعكم للطهر والأمانة فلماذا أنتم بلا طهر ولا أمانة؟ لأنكم تواجدتم في ميراث من حياة لا طهر فيها ولا أمانة، وإن وجد فعل تناقص لا على مزيد. فإذا كان هناك بقايا من الطهر والأمانة لأفراد من الناس فإنها تتناقص في جمعكم وإن تزايدت في مفردات منكم مكبوتة في ققام أنفسهم وذواتهم. أنتم أمة العرب وأمة المسلمين، وقد تشهدون من الطهر والأمانة في أمم من أمم الأرض دونكم.

إن الطهر والأمانة على ما كان من الله لأهل الأرض لم يرفعا بعد عطاء.. فإن الله لا يرفع رحمته التي أعطى، وإن الله لا يرفع الطهر الذي أعطى، وإن الله لا يسترد الأمانة التي أعطى.. ولكن ذلك يحبس في ذوات منكم عنكم إلا عمن كان له من الله رحمة.

إن الرسول - وهو الصادق - وإن مرسله - وهو القادر - يقول لكم (الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة)'. صدق رسول الله وصدق الله على لسان رسول الله. نعم الخير فيه وفي أمته إلى يوم القيامة لا ينقطع ولا يغيب ولا يرفع. وما أمته إلا أهل الأرض جميعا وإن لم يعلموا قدره، وإن لم يرددوا ذكره.. فهو معاني السجود في نفس كل ساجد، وهو معاني العبودية في نفس كل عابد، وهو معاني النور في كل نفس مستتيرة، وهو معاني الوعي في كل عقل مستيقظ، وهو معاني الحرية في كل نفس أبية رأت أن الحرية في الله بالله لا يقدر طاغوت على كبت حريتها في الوجود، أو قطع علاقتها بالرب الحق المعبود.

هذا كله جاء به محمد وبقي في الأرض من بعده مكبوتا أو منتشرا، مباحا أو محرما، مورودا أو محروما منه، معروفا أو مجهولا. هذا نذكره الآن مع الناس ونحن طوال العام ممن نذكره مع أنفسنا، نذكره بمناسبة تذكر الناس لرسول الله.. ونحن نتذكر معهم رسول الله وإن لم يغيب عنا تذكره. فله عندنا

ذكرى في كل يوم وليلة مع أوقاتنا في مسراتنا وفي ضيقنا، مع أنفسنا في يقظتنا وهي له، وفي غفلتنا وهي عنه لا تكون. إن رسول الله لا يغيب عن ذاكرتنا ولا عن معانينا ولا عن حياتنا. إنا نعيش في ذكرى رسول الله، إنا نرى الدهر ونرى الزمان ونرى القرون ونرى الأيام تمر في داخل ذكرى رسول الله.. هذا إيماننا برسول الله إيماننا بمرسله وإيماننا بالحق به في أنفسنا. وهذا ما يليق أن يكون عليه إسلام المسلم، وإيمان المؤمن، ومعرفة العارف، ويقين صاحب اليقين. إنا لا نعرف من الله إلا رسول الله، ورسول رسول الله، ورسول الله لرسول الله. ما كنا كذلك فقد جددنا إسلامنا لرسول الله، وجددنا بتجديد إسلامنا بإيماننا بالله الحي القيوم.

هذه هي معاني الطريق، وهذه هي معاني الكتاب. وهذا هو معنى الإسلام. فهلا جددنا دواما إسلامنا لرسول الله وإيماننا بالله في إيماننا برسول الله، واستزدنا في دوام معرفتنا بالله في معرفتنا دواما بأنفسنا من رسول الله فشهدنا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله؟

لقد صدقناك وآمنا بالله قائما على كل نفس أقرب إليها من حبل الوريد.

رسول الله.. ولقد صدقنا الله وآمنا بك أولى بنا من أنفسنا وأزواجك أمهاتنا..

رسول الله.. افتح لنا أبواب بيتك لنكون من أهلِكَ.

رسول الله.. هيئ لنا أسباب الصلاة، واأذن لنا بالصلة بك لنكون على صلة بحقك أنت به على صلة في دوام.

رسول الله.. إن أحوالنا ترفع إليك وهي كما تعلم..

رسول الله.. فاستغفر لنا واسأل الله لنا وأمدد يدك - يد رحمته -، فانتشلنا من هوة أنفسنا، ونجدة منك ننتظرها لنسعد بها فتولنا.. صل علينا كما أذن لك، واتسع برحمتك لنا لتغفر بك ذنوبنا على ما وعدنا ربك بك، واشفع لنا عند ربك على ما أذن لك وتعهدت.. فإن حالنا لا ترضيك ولا ترضي من يرضي ما يرضيك.. فإن لم تكن لنا أنت ومن له أنت.. فمن يكون لنا؟ لقد تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافكم ولا يرحمنا. إن الأرض تهتز وترجف تحت أقدامنا حنانا وإشفاقا علينا ونحن لا نشفق على أنفسنا، ولا نحن لرحمة الله لنا، ولا نحصر على حب الله لنا في تحاييننا إلى بعضنا البعض وفي مسالمتنا بعضنا البعض.. إن القابض على دينه اليوم كالقابض على الجمر، وها هي قوارع القضاء والقدر من حولنا تزلزل نفوسنا. ها هو سلام أرضنا يهتز وأرضنا ترجف، وقلوبنا متحجرة لا ترق ولا تعطف..

اللهم أنزل سكينتك على قلوب المؤمنين منا، والسلم والسلام على أرضنا، وخذ بيدنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على أنفسنا، وادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم، إنك أنت الأعز الأكرم..

اللهم لا تتركنا لأنفسنا حكاما ومحكومين، وتولنا بتوجيهك وعدلك حكاما ومحكومين، واغفر لنا وتب علينا وارحمنا، واجعل خير أيامنا يوم لقائك وخير أعمالنا خواتيمها.

أضواء على الطريق

الرسالة الروحية في هذا اليوم من أيام الله هي:

- عودة الرسالة الفطرية للظهور العام بالكلمة والروح للإنسان الأمة العبد الحق للانهائي.
- من السماء عنه تنشق أمة بالأرواح المرشدة.
- ومن الأرض عنه تنشق أمة بالوسطاء الرائدة.
- بعودة الآباء للأبناء ليكونوا آباء وأبناء، من بطبعهم على قديم الجنس بالمسح، فلا صاحبة ولا ولد.
- على رأس الأرواح المرشدة مرشد ودائرة له متكرون بأسماء رمزية في عالمي الروح من البشرية الأرضية، وعوالمها الكوكبية، وعوالمها الروحية، فهو من ملأ أعلى ويداني اليوم بتقديم له، كان له ظهور متكرر، معروف بيننا وما زلنا نعيش في آثار تذكر من بقايا هديه وعمله، فلا يصح أن يشغلنا عن الرسالة من يكون أو كان الرسول على حد تعبيره، فهو عبد من عباد الله أي روح من روح الله أي قبس من نور الله وكفى، على ما قدم نفسه.. ولنستمع له وهو يقول:
- (إن التمثيل الباطل للألوهية أخطبوط ضخّم أماننا يجب أن نقاتله. علينا أن نهدم عمل القرون. علينا أن ندمر ما جد من بناء زائف فوق أسس العقائد).
- ولنتأمل ما حذرنا منه رسول الفطرة بيننا وهو يقول (بدأ الإسلام غريبا ويعود كما بدأ)^٢، ولنستبشر لنفاذ وعده بنجدتنا وهو يقول: أول من تنشق عنه الأرض أنا، ونفاذ وعد الله في قوله {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}^٣، وقد بدأ هذا اليوم من قرن ويزيد ونحن في انتظار سفور هذه الحقيقة.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ حديث شريف تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم البخاري بخوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بالفاظ متقاربة.

- ٢ حديث شريف: "بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا" صحيح مسلم.
- ٣ سورة الإسراء - ٧٩

(٧)

الصلاة الصلة على النبي كتاب الرائد والولي

وقيام الكلمة من الإنسان القدسي لمن لم يلد ولم يولد الأزلي

حديث الجمعة

١٢ ربيع الآخر ١٣٨١ هـ - ٢٢ سبتمبر ١٩٦١ م

صلى وملاه قديما وما زال وملاه يصلي وسيبقى وملاه يصلي.. على من يعرف عنه ويحمل نبأه ويؤمن على خبره.. إلى نفسه وعينه من تجليه بصنعه.. فمن هو الذي صلى؟ وعلى من صلى؟ ومن هو الذي حمل نبأه؟ وإلى من حمل نبأه؟

أسس في الناس ديناً، جعل من العقل والمنطق أساسه وأصله، وجعل من الصدق والصفاء مورده وكتابه وحوضه، وجعل من السعي والعمل جزاءه ورزقه.

إن قديم من صُلِّيَ عليه هو الذي صُلِّيَ على من صُلِّيَ عليه، فصلى القديم على جديده، وصلى المشهود على شهيدته، وصلى الوالد على وليده، وصلى الموجد على موجوده، وأمره بالصلاة على معناه من جديد مبناه، فصلى لنفسه في صلاته على من صلى عليه عينا لمعناه.. فقامت الصلاة من جديد معناه على قديم معناه، فُلئت بالحياة الفلاة، وتحقق الفلاح بقيام الصلاح، فتواجد الفرد أمة، واجتمعت الأمة فرداً.. فعرف الموجود بلا شريك في معرفة الموجد عند من أوجد.. موجوداً بما أوجد، ظاهراً بما منه تواجد.. من أحده وراء الكل محيط في جديده تعددت وجوهه في قيام وحدانيته، وقامت وحدانيته في شهود وجوهه لمعناها في مرآتها من وحدانية معناها بمعناه، من ورائها محيط وعلى كل منها قائم، وأينما ولت فوجهه.. فعرف الرب بعبد، وقام العبد بربه.

نزعت سخائم الخليفة من أرض الحقيقة، وتدفقت مياه الحياة من ميازيب الرحمة، من سموات الإنسان على أرض الإنسان، فقام الإحسان وذهب البهتان وتواجد الرحمن في مظهره من الإنسان عباداً له تعنو لها الوجوه معرفة للحق القيوم، ولقاء لوجه الجلال الذي يبقى ويدوم.

بهذا جاء عبد من عباد الله على سنن من قديم فيه في قديم من أمره بما ليس بدعا من وجود. طلع على الناس من أنفسهم بما تهيأت له أنفسهم ليهيئهم لما استعدت له نفسه في أمر الجزاء والعطاء من قديمه، مستقبلا لهم في متابعتهم لقدوة حاضره إلى أحسن تقويم للإنسان بالحق وملئه، فزعموهم له أتمه وما رأوا منه إلا جلدته. ما دخلوا فيه إلى حرم من قلب، أو إلى بيت لرب من قالب. ما عنت له الوجوه ساجدة عند قدميه، وجه الحق وطلعته، ومقاربة الغيب ومداناته. ما شهدته النفوس بابا للحياة، ومدينة للسعادة، وما آمنت العقول نفسا طيعة للأسوة، وطريقا مقاما للاستقامة والقدوة. ولكنهم بمقاييس أنفسهم بقسوتها قاسوه، وعابدين لأوهام تواجدهم عبّوده. أفردوه بعيدا عن معانيهم - وهو الفريد - ولكنه الفريد في معانيهم فيه يحيون، وبه يتواجدون، وبمعناه يقومون فيسعدون ويعملون، فيتعالون ويتدانون، ما بين جسم وروح يتواجدونه، وما بين غفلة ويقظة يتحولون له أو عنه، وهم به لا الغفلة تميئهم ولا اليقظة تطغيهم، ولكنهم مع أنفسهم وبأنفسهم لأنفسهم على ظلامها صوروه، والشياطين أنفسهم لأنفسهم زعموه، وتظاهروه. ما زادوا بأنفسهم منه إلا بعدا، وما زادوا به لأنفسهم لهم إلا فقدا، يقولون ويقولون وينقلون وينقلون، وبوهم كفاية النقل بعيدا عن الكسب والعقل والغريزة والوهم يقومون.. ويظنون أنهم بذلك في الحياة يتواجدون.. وما الحياة إلا نبع الحياة من مصدر الحياة فيه، تحيي به الأرض الميتة لنفوس متابعيه، ينزل عليها ماء الحياة من سموات معانيه، فتهتز من خشية الله وترى سكرة الموت لفناء مبناها، وترى نشوة الحياة بنشأة معناها، من أسفل تبدأ لا من عليّ تخط.. فالعليّ في علاه لا ينخط عن معناه وإن انخط بنوره عن عالمه إلى عوالم دعوته من مبناه.

إن الحق الذي قام في الناس بمحمد ما انخط في قيامه وجوهره بقيامه بين الناس، وما فارق علوه إذ يقوم بين الناس.. فهكذا يكون التواضع لا وضعية فيه. إن النفس العالية نتواضع لأنها ليست نفسا وضعية. وإن النفس الوضعية نتعالى لأنها ليست نفسا عالية. إن الله لا يعامل بالكبرياء إلا المتكبرين، ولا يعامل بكشف الضعة إلا الضعفاء، فيجعلهم محلا للشياطين تؤزهم أزا، من سيادتهم مرسلين.

ماذا عرف الناس مما حمل لهم رسولهم من أنفسهم؟ فليس لله رسول إذ ليست له غيرية. إن الذي يظهر في مثقال حبة من خردل كيف يكون له رسول ولن يرسل؟ إنما الرسول هو من أصول الناس إلى أبنائهم من الناس، في أخوة من الناس من آباء من الناس مرسله، قياما بأبوة أو أمومة أو أخوة في الناس على مثال من سبق مما عرفوا من أبوة أو أمومة أو أخوة في وجود الناس في تواجدهم بخلق حميدة عندهم من الناس أهدافا إلى غاية، هي أن يعمل الناس لأنفسهم، ويحاسب الناس أنفسهم، ويقيم الناس حياتهم، ويدخل الناس جناتهم من صنعهم، أو يدخل الناس نارهم من فعلهم. مثقال

حبة من عمل يرون ويراهم، ويحكمون ويحكمهم. أعمالهم ترد إليهم في قيام الله لا شريك له ولا موجود غيره.

هل آمن الناس برسولهم - آمن بالله وقيام وحدانية الله - فكان وجهها لهم من الله من ورائهم محيط؟ أنفسهم في مرآة صفائه يشهدون، ونفوسهم في أرض عالمه وذاته وقيامه يبعثون فيبعث فيهم فيحيون؟ ولكنهم يقولون بألسنتهم بما ليس في قلوبهم يوم قالوا: أيها المبعوث فينا - وما يشعرون - وما بعث فيهم، فقد كان هذا رجاءهم ولكن بعثه فيهم يدعون! وهم على بيته بينهم لأنفسهم ينكرون.

إن أمة يقاس إيمانها بإيمان مجرد صديق من صديقين فيرجح إيمانه بإيمانها.. هل هي أمة من المؤمنين؟ أم أن الإسلام ولد كسيحا بين المسلمين وعاد غريبا على المتابعين بعد غيبة وجهه من شهود العمي الغافلين - وما كانوا في الحق لوجهه مبصرين -؟ ولو أبصروه ما غاب عنهم ولا عن العالمين. كيف يغيب وجه الحق - وقد أعلنه الحق وجهه -؟ وكيف يغيب المتكاثر - وقد أبرزه الحق كثره -؟ وكيف يغيب من أعطي الخلد - لم يعط لبشر من قبله؟ إن كان خلود الروح.. إن كان خلود المعنى.. فهو خلود قائم دائم من قبله ومن بعده. ولكنه تميز وقد أعطي الخلود بشرا بأنه يقوم في الساجدين، ويتكاثر بالعابدين، ويتلو كتابه على مكث بعترته في العالمين، فتبقى رسالته في الحكمة حية منشورة ذاتا وروحا ونورا من رب العالمين.. كتاب لم يترك دون من يتلوه في الناس ويبينه للناس فيبقى بنفسه يتلوه في الناس على مكث دينا قيما للقيمة على الناس من أنفسهم، وطريقا لا عوج فيه بين شهادة الإنسان وغيبه عبد هو العباد، وقيام هو الكتاب فهو الوجه لربه وهو الإمام لخلق، أودع فيه كل شيء وأبان به كل شيء، وأرسله لكل شيء، وقام به في كل شيء...

أليس هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم؟ إنه الأب الولود في السموات والأرض، عبدا لله يدب فوق السموات بقدميه، ويدب فوق الأرض بنعليه بعثا لتجدد جديده. إن أقدامه سموات للمستظلين بعباد لا تقلهم أرض ولا تظلمهم سماء.. أليس هو عبد الرحمة من رب العالمين؟ إنه العبد المتسع لما لم تتسع له السموات والأرض والذي يمتد بصفاته، وينمي لداته، ويأمر أهله بالصلاة، ويحث الناس على النجاة، ويحمل النبأ، من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ليس عليهم بمسيطر وليس عليهم بوكيل، إلا من أتى الله بقلب سليم، فحكمه في نفسه.. {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما}...

يؤمنون به إياه. يعرفونه في معرفة مولاه. يستحيون لنداء ربهم، {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله}...

فالإيمان لا يكون إلا برسول الله، والإسلام لا يكون إلا لرسول الله، والكفر لا يكون إلا برسول الله. ما قدر الناس الله حق قدره وهو اللانهائي الذي لا أثر لأعمالهم فيه، ولا في رسوله منه برسوله منهم، وفي رسوله لهم يكون تواجدهم أحياء، ورقبهم أشياء في عبده لهم بلا انقضاء.

ألم يعرف الناس أنه الغني عن العالمين، وأنه لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية من خلقه بعباده! إن يشأ أن يهلك من في الأرض جميعا من منظور وغير منظور خلقه، أو أن يهلك المسيح وأمه ومن على الأرض جميعا، من منظور خلقه وغير منظورهم لفعل.

أما عرفت يا عبده وحقه ووجهه وقيامه أنه الغني عن العالمين، في قيامك بفنائته في عبوديتك له وحقيتك منه؟ أما عرفت أنه إن يشأ أن يذهب بما أوحى إليك في مظهرك من خلقه فإنك لا تجد لك عليه نصيرا من حقه؟

استقم يا عبد عبوديته كما أمرت.. استقم يا خلق حقيقته لك كما علمت.

ربي إني لا أملك لنفسي الاستقامة على ما كلفت، وهي كما خلقت، فلا قدرة لي إلا ما قدرت، إن أنت لم تقمني، وقد تفضلت و قدرت، فلا حيلة لي وإن علمت، فاجعل برحمتك في علمي قدرتك، وفي تقديرك علمي، على ما أعلمت، فعلمت و قدرت.

(لا يدخل أحدكم الجنة بعمله.. حتى أنت يا رسول الله؟ حتى أنا إن لم يتغمدي الله برحمته) ٣. {فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز} ٤.

يا رسول الله إنا نراك تقوم الليل ولا تسكن بنهار: هل نفهم من ذلك أنك تطلب من الله وافر الأجر؟ قال حاشا لله أن يضلني مع من ضل. معاذ الله أن لا أزداد من الله بصلاحي إلا بعدا، فإني لا أصلي له طلبا لجزاء أو عطاء أو خشية من بلاء. أما العطاء فقد أعطاني في حيوات أنا اليوم بعثها، وأما الجزاء فقد وفره ومنه وقدمه عن قديم وجديد وقائم، بما غفر لي من نسبة الفعل لوجودي في ماضي وحاضري ومستقبلي. فقد جعل كل فعل لي فعلا له، وكل تواجد لي تواجدا له، وقد جعل مني عبده قديما وقياما ومستقبلا. ولكني أقوم مصليا قيام الشاكر لربه على ما أعطى ومن: فإنه لم يمنعني من نافلة شكره، وقد قام بمفروض شكره لنفسه عني لعجزني عن القيام به.

{الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا} ٥.

يا إخواني في بشرتي.. كم من مصلٍ لم يزدد بصلاته من الله إلا بعدا.. ذاك الذي صلى معتقدا أن الله بعيدا عنه وليس أقرب إليه من حبل الوريد. وكذلك فإن المصلي الذي يعتقد أنه يصلي بقدرته وإرادته لا صلاة له. إن الله يصلي لنفسه في صلاة كل مصلي. إنه دائما القدوس لنفسه.. المصلي

لنفسه بنفسه. وهو يصلي بعباده على عباده، إذ يستقبلهم بهم راحما.. قبله لهم برحمته.. ويصلي في عباده يستقبلون منه رحمته من عباده.

إن الله يصلي بقديم الناس على حاضر الناس بأنباء عنه، ليصلوا بدورهم بحاضرهم على جديدهم، وليصلي جديدهم لهم قديما له بجديد منهم.. فما صلى من الله إلا الناس بحقيقتهم منه، وما كانت صلاته على نبيه إلا صلاة قديم الناس على جديدهم به. وما كانت صلاة نبيه إلا صلاة الناس بوصلتهم وأصولهم لهم على أبنائهم وجديدهم منهم من الناس.

هل عرف الناس هذه المعاني يوم حملت لهم، أو أدركوها يوم أعيدت عليهم من أهلها من بينهم، المرة بعد المرة؟ يحدد الله بهم الدين على توالي القرون، في كل أرض، وفي كل بشرية، وفي كل أمة، وفي كل بيئة، وفي كل لغة، وفي كل جنس، وفي كل وقت، في مشارق الأرض ومغاربها وأواسطها مضاءة قلوب فريق من الناس، سرجا لمشكاة صدورهم، مشروحة هذه الصدور بذكر الله وبنور الله من مصباح القلب المشرق الممد من شجرته الجامعة للجنس، لا تحدها فروعها في الشرق، أو فروعها في الغرب، أو فروعها في السماء، أو جذوعها في أواسط الأرض وأغوار الأرض.. إنها الإنسان الأزلي.

إنه إنسان الله وعبده ذلك الذي صلى به الغيب على الشهادة بتواجد عباد للرحمن يمشون على الأرض هونا. كان وجودهم صلاة المطلق من الجنس للشهادة من الجنس يشعل بهم مصابيح القلوب، ويجعل منهم أوتاد الأرض، ويجعل منهم مصابيح السماء الدنيا من الحياة.

هل عرف الناس محمدا يوم شهدوه فخاصموه؟ هل تابعوه يوم سالموه وأنفسهم أسلموه؟ هل جددوه لأنفسهم بحبهم يوم آمنوه؟ هل بعثوه بشوقهم يوم فقدوه؟ إنهم في مقبرة واروه وقاموا عليها، وما زالوا يندبونهم وكم ندبوه! ما قدروه فيها حيا وهو الذي سن وشرع لهم (أنا حي في قبري)..^٦ لا يذهب من بينهم من يخاطبه غير ابنته خطاب العزيز المستذل من الناس.. خطاب من أودع الله فيهم عزته، وقد عاملهم الناس أنهم في الله بذلهم، جهلا منهم بالله وبعزته بهم.

إننا نحتفل في هذه الأيام بصلاة الله على الناس يوم أبرز فيهم الحسين من الحسن كله، ليكون جديدا ظاهرا لغيب ما ظهر كماله، والظاهر ما غاب مثاله، ليكون وجها للحجاب الأعظم يتجدد في الناس وجهه، وتنتشر بهم بالإيمان مثله. يبعث في قلوبهم بحبته يوم يتعرضون لنفحات الله في دهرهم فينفحون، ويتعرضون بالإسلام للإيمان فيؤمنون إيمانا مفاضيا ممن هو على كل نفس قائم، ومن وراء كل نفس محيط.

هكذا عليهم من ذكره اسما ومن علموه رسما، عبده وكتابه الذي تجدد بينهم على دوام ومكث فيهم، فما استيقظوا من غفلة في قديم ولكن على آثار آبائهم يقتفون من الغافلين - على غفلتهم - وآثار آبائهم من اليقظين يباعدون بحاضر من غفلتهم، وبميراث من كبوتهم، بالآباء يتوارثون التحريف للسنة والكتاب، ويواصلون المخاصمة على المتواجد من الحق، ويقولون بأفواههم إنهم لمحمد أمة، ولكتابه أهل، وعلى سنته وأثره في طريق! ويوم تجبههم سكرة الموت بالحق مما عنه حادوا، فلات ساعة مندم، الصيف ضيعت اللبن. يقولون أرجعنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل. ويرجعهم المرة بعد المرة مبدلا جلودهم على ما أنشأهم أول مرة، {قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل}؟^{٧٢} نعم لكم مرد ومرد، وسبيل وسبيل، ولكنكم على مكاتكم تمسخون أو تمسخون. فإن مسختم فجلودكم تغيرون وعلى ما في قلوبكم تغنون. وإن مسختم فأمة محمد تكونون، وفي بيته وأهله تولجون، وبه في مدينته تبعثون، ووجوها لله تكونون، وكلمات منه ترسلون.

هذه حقائق الدين والإسلام والروح، لا فرق بين عالم الروح وعالم الشهادة في أمر الله وفي العلم عن الله. الملائ الأعلی يطلبونه والملائ الأدنى يطلبونه. والملائ الأعلی والملائ الأدنى إن لم يدركوه في أنفسهم فقد تحجب عليهم وقاموا وهم دونهم بأنفسهم. فالقلب بيت الرب. ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء. ولو شاء لهدى الناس جميعا ولكن الله لهذا الذي هم فيه على ما خلقهم وبهذا وصفهم {فريق في الجنة وفريق في السعير}^{٧٣}. {لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون}^{٧٤}، وأصحاب الجنة وهم الفائزون، عن أصحاب النار في المعرفة عنه لا يختلفون، ولكن أصحاب الله على الفريقين يعملون ولا يستعملون، ولهما يراعون ويعملون. لله الأمر من قبل ومن بعد في الأرض وفي السموات وفي كل حين. لا إله إلا هو له الحمد وله الملك وهو على كل شيء قدير.

اللهم إنا قد ظلمنا أنفسنا كما ظلم آباؤنا أنفسهم.. عاشوا في ظلام وأورثونا ظلاما. اللهم فاغفر لنا ولهم، وأنز أجدائنا وأجدائهم، وأحي صدورنا وصدورهم، وأحي قلوبنا وقلوبهم. اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا. اللهم قنا شرور أنفسنا وشرور الأشرار من خلقك. اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا والسلم والسلام على أرضنا، وادفع اللهم عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم. اللهم عافنا من إقامة عدلك وعاملنا بمغفرتك وعفوك. وعافنا مما نحن له أهل وتولنا بما أنت له أهل.

اللهم إنا عرفنا أنه لا إله غيرك ولا موجود بحق سواك. اللهم إنا قد عرفنا القدم فيك. اللهم فأفض علينا الحنان برحمتك، واجعل اللهم لحمد في داره منا مكانا، وفي بيته بنا معنى وعنوانا، واجعل اللهم له من إنسانه فينا إنسانا.

لا إله غيرك علوت على الوصف، وعلوت على التقدير، وعلوت على التسمية، وعلوت على الإدراك، وأحطت بكل علم أفتته في كل عالم تواجدته. لا معلوم عنك إلا الجهل بك. ولا إدراك لك إلا في قيام وحدانيتك.

اللهم فاغفر لنا، وبرسولك فألحقنا، وبه أدخلنا في حصن لا إله إلا أنت، وأقننا وأحصنا بلا إله إلا أنت، وأقننا وأحينا بعبدك ورسولك. لا إله إلا أنت.

أضواء على الطريق

- {إن لك في النهار سبعا طويلا} ١٠ حديث الإحاطة
- (لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها) ١١ "حديث الرسول
- (يحاول عالمكم أن يجد الذهب في الأرض. وعالمي يحاول أن يجد الذهب في النفس الإنسانية. الذهب هناك كالذهب في عالمكم المادي يجب أن يستخرج إلى السطح، ويدق وينقى، ويعامل بالنار حتى يتكشف المعدن النقي، وهذا ما نحاول جميعا عمله. يوجد ذهب نقي في كل طفل من أطفال الروح الأعظم، وقد يكون أحيانا مطمورا جدا تحت قذارة العالم المادي حتى يصعب عليكم لقاءه. وغالبا ما يستحيل استخراجه ولكنه موجود هناك. ونحن نبتهج أو نعثر عليه ونأتي به).
- (الغرض الذي يربطنا سويا ويجعل الدائرة واحدة هو أن نقدم خدمة أينما تمكنا.. قوة لكل الضعفاء، مساعدة لجميع المنكوبين، راحة لكل المجهدين، علاجا لكل المرضى، ضوءا للذين هم في ظلام، ومعرفة للذين هم في جهالة).
- من هدي السيد الروح المرشد (سلفريش)

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة النساء - ٦٥
- ٢ سورة الحديد - ٢٨
- ٣ إشارة إلى حديث شريف: "لن يدخل أحدكم الجنة عمله، قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة وفضل.": رواه أحمد، ورواه البخاري ومسلم: "سدوا وقاربوا وابشروا فإنه لن يدخل الجنة أحدكم عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمته".
- ٤ سورة آل عمران - ١٨٥
- ٥ سورة الكهف - ١

- ٦ حديث شريف يتردد في أدبيات التصوف، يتوافق مع الحديث الشريف: "الأنبياءُ أحياءُ في قبورهم يصلُّون". أخرجه أبو يعلى والبخاري.
- ٧ سورة غافر - ١١
- ٨ سورة الشورى - ٧
- ٩ سورة الحشر - ٢٠
- ١٠ سورة المزمل - ٧
- ١١ من حديث شريف يخاطب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمام علي بن أبي طالب. " فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حُمْرُ النعم". أخرجه البخاري ومسلم.

(٨)

الحياة والطريق في الوحدة والعدم والهاوية في الفرقة

حديث الجمعة

١٩ ربيع الآخر ١٣٨١ هـ - ٢٩ سبتمبر ١٩٦١ م

باسم الله، ورسول الله، نعمل وبهما نستعين.

وفي كتاب الله نقرأ، ومن كلماته نتعلم، ومن وقوعها في أحداثها نشعر ونتألم.. يرينا آياته في الآفاق ويرينا آياته في أنفسنا، ويهديننا في أعماقنا للنظر والتأمل.. فإذا نظرنا فإذا ننظر وماذا نعمل وكيف نفكر؟

إننا في أمر أنفسنا وفي تدير أمرنا وفي توجيه عقولنا نقض بيد ما أقننا بأخرى، نبي بيد ونهدم بالأخرى، في غفلة عن هدينا وعن توجيهنا بمن هو علينا قائم. فإذا استيقظت نفوسنا مرة أخرى تغلبت يد البناء فامتدت إلى يد الهدم فأسكتتها، إلى يد الإتلاف فقومتها، وامتدت إلى ما نقضت وهدمت فجمعت وشادته وأقامته.. وهكذا دواليك تبادل منا الأيدي السلطان على تمثيل معاننا، وإقامة بيوتنا بأيدينا، وهدم بيوتنا بأيدينا، وجمع بيوتنا وتجديدها بأيدينا، دواليك.. ما استيقظنا إلى أن الحياة في الوحدة والتجمع فتوحدنا وتجمعنا، فإذا قامت معانينا في وحدتها وشعرنا بالغناء بها بدأ انحدارنا. فالإنسان بطبيعته زاهد فيما ملك، راغب في تغيير ما امتلك، ولأننا لا ندرك أننا كلما تجمعنا في وحدة فما زالت حاجتنا إلى التجمع باقية في وحدة أكبر وأكبر وأكبر، وهذا ما يجب أن ندركه دائماً. فما شعرنا بافتقارنا إلى التجمع بقيت عوامل ودوافع البناء والإقامة قائمة لنا، وقائمة بنا، وقائمة فينا. {ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم}.

أما إذا استغنينا بما نحن عليه من جمعنا فإن الإنسان بطبيعته طاغ إذا استغنى.. إذا رآه استغنى لا يبقى أمامه إلا طريق الطغيان لأن الإنسان بأصل نشأته وخلقه لا يعرف الانتهاء ولا يعرف التوقف.

إن الله في الأحداث التي تمر بنا ومن حولنا، والتي تمر فينا يقرئنا حقائقه في الوجود، وحقائقه في أنفسنا. فمن تقبل أن يقرأ واستجاب لأمره {اقرأ} ^٢ قرأ ولم يكن يقرأ. ومن لم يستجب لأمره {اقرأ} لا يقرأ وإن حمل أسفارا على ظهره وعلى كتفيه مما يكتب ليقرأ، ولكنه كدواب الأرض التي خلقت لتحمل أثقالكم من بلد إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس. إنه يحمل أسفار المحابر والمطابع والمصانع من ورق لا يساوي بماديته شيئا فيصبح ورقا ناطقا.. ولكن الذي يحمل المعاني ليس هو الذي يحمل صور الذوات والمباني. إن الذي يحمل المعاني هو العقل والعقل الأمين، والعقل الكريم، الذي ليس هو بما علم بضنين على من أراد أن يتعلم.

إن الذي يقرأ ما أقرأه الله في غنى عن أسفار المكاتب وعن معلمي المنابر. إن منبر الحياة منبعث بصوت الله لمن يسمع، مرئي بوجه الله لمن يشهد. إن الذي أعطى كل شيء خلقه، أعطى فعلا كل شيء خلقه وما قصر. إنه في قوانين فطرته، الناس فيه سواسية وإن اختلفت موالدهم في المادة، أو اختلفت موالدهم في الحقيقة. وإن اختلفت نهاياتهم في المادة ونهاياتهم إلى عوالمهم من الحقيقة، إلا أن قانون الفطرة يجمعهم، وإحاطة الله تشهدهم، وأحدثه ترعاهم، وأحدثه تظهرهم.. لا تقصر يده عن بعيد ولا يستعصي على يده قديم أو جديد، صغير أو كبير. إن يده كتابه لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. إن كتابه عبده يتسع لما لم تتسع له السموات والأرض.

إن الله يشهدنا كما أشهد آبائنا، وكما سيشهد وسوف يشهد أبناءنا وأحفادنا وأحفادهم.. آياته في أنفسنا أو في أنفسهم وفي الآفاق، ثابتة لا تتغير، ظاهرة لا تبدل إلا في نفوسنا وفي إدراكنا عنها وعرفاننا بها.. إنها الطبيعة بوحدتها ومجتمعاتها، وإنها الحقيقة على ما لها من صدى في أنفسنا وانطباعات في عقولنا. إنها الخلق وإنها الحق ما فرضناها بخلق أو قنناها وتوحدناها بحق.

إن الكون ثابت متبدل، ثابت ما ثبتنا فيه بحياة متصلة لا تنقطع، متبدل ما تبدلنا فيه وفي معارج أنفسنا وفي مجالاتنا وفي صورنا وفي معانينا وفي إدراكنا ومدركاتنا.. بين عاقلنا ومعقولنا وقائم عقلنا من أنفسنا.

إن الدين وهو العلم عن الحياة هو الحقيقة الجامعة والقائمة بالخلقة. إن الإنسان في خلقه لا يعرف ربه إلا بوصفه. وإن الإنسان في حقيقته لا يقوم وجه ربه إلا بوصفه. فالرب لك حق ما كنت بعبوديتك حق. فإن كنت بعبوديتك خلقا فما لك رب إلا من خلق. إن كنت تؤمن أنك مخلوق فابحث عنه مخلوقا من أنفسكم، {ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله} ^٣. ولكنكم بعبوديتكم وربوبيتكم خلق لخلق ووجه لوجه. الحق من ورائكم محيط والله معكم، عبادا كنتم أو أربابا صرتم.

فإذا رأيت للعبودية معاني الحق، فتجرد من الخلق بأربابه وعبيده إلى الحق في حضرته بحقه وملئه، فأنشد الحق في ملئه عبداً لله. ولن تكون عبداً للحق في ملئه ما لم تتجرد من ماديات ذاتك، وماديات إحاطتك، وماديات عقلك، وماديات وجودك، وماديات تأملك ملياً نداء الحق غير متثاقلاً لأرضك من أرض ذاتك، أو من أرض إقلالك، أو من أرض سموات مشهدك.

إذا رأيت العبودية للحق حقاً متجرداً من عوالم الوجود المادي مما أنت ومما تشهد ومما تنتظر ومما تقدر وتستنتج، فاعلم أن العبودية الحقيقية لربوبيتها الحقيقية لا فرق بينهما ولا تعدد لهما. واعلم أن العبودية للحق إن توفرت ووجدت وإن طريقها سلكت، فالكون بظاهره وما فيه عند قدمي هذه العبودية. إن سموات الوجود تحت نعال هذه العبودية، إن كل من في السموات والأرض إلا آتي هذه العبودية، مجيئاً للرحمن أو إتيانا للرحمن أو سعياً إلى الرحمن.

إن العبودية الحقيقية لربوبيتها الحقيقية من الله، إنما هي الخلة.. فالحبة بين كائنين من الحقيقة رفيق ورفيقه الأعلى.. كلاهما للمطلق، كلاهما للوجود المطلق عبد إطلاقه. لقد استمهل محمد في مرتقاه ومعراجاه حتى يصلي ربه لربه ثناء عليه وحمداً له وشكراً لفضله أن جعل له من نفسه عبداً، فكملت له معاني المعرفة عن الربوبية، لا بل كملت له معاني المعرفة عن العبودية لربه حتى يقرأه ويعرفه ويتخلق بأخلاقه فيدركه فيما أحاط به من العلم عن أمر نفسه. أحب أن يُعرف فعُرف وقد خلق الخلق، ولا وجود لهم فيه مع وجوده، ولا تعدد لهم فيه مع وحدته، فيه عرفوه في معرفتهم عنهم فعرف.

إن رب محمد وقف بين يدي ربه مصلياً مناجياً مستقبلاً قبلة السماء في معاني السمو عن معناه من قدس ذاته إلى الأقدس.. مصلياً لربه مدركاً لمعناه فيما أحاط به فيه من معناه علماً على من عناه.

إن رسالة الإسلام ورسالة محمد في الحقيقة عبداً أزلياً لله، مظهر آحاده وجماع واحدياته، وقديم تواجده لظهوره، وجديد قديمه لرسالته، وحقية قائمه لطالبه، ومظهر معبوده، ووجه وجوده، وطلعة شهوده، ويد رحمته، وحوض منته، وساحة فضله، ومائدة كرمه، وسفن ركبته، هي ما يعطيه الدين لمؤمن أسلم له موجوداً وأصبح لقلبه مشهوداً ولحسه موجوداً.

إن محمداً بحقيقته قديم في قدم موجوده، باق في بقاء وجوده، متجدد متكاثراً بمعناه للناس الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه فيدركون أنه لهم معناهم، وأنه لهم من ربهم عطاهم، يكبرونه وربهم فيه يشهدونه، فيقومهم في أنفسهم ويتقبلون إليه بالسجود به لربه عين معناه، أمته بحقيقته أمة يتعدد أفرادها شهداء على الناس، ويتوحد في الله وجودها، ويتحد في الله شهودها، وتستقيم في الله عقيدتها، وتقوم بالله في محنتها وفي يسرها وسعادتها.. تصبر إن ابتليت ولا تفجر إن أعطيت.

أين نحن من معنا - أمة محمد -؟ أين نحن من مجلانا في مبنانا - خير أمة أخرجت للناس -؟ أين نحن من موضعنا في معاملتنا للأمم - أمة وسطا - تشهد الله وتؤمن به فيمن خلت نفوسهم من الأمم، فيما خلى من الإنسان من كل ما سواه، وتؤمن بأن الله ظهر بالإنسان قديما، وأن الله يعد الإنسان أن يظهر به له في قابل حتى يمتد له في الله رجاءه، وأن الله يظهر في الإنسان في حاضر مختلفا فيه في مفرداته، ومختلفا بوجهه بين مثاله ولداته ضمانا لرحمته، وابتعادا بفتنته، وتعميما لنعمته؟ (أخفى الله الولي في الخلق)؛ وإن ظهر في وحدة جماعه بقدسه. {والله من ورائهم محيط}° على دوام وفي كل مكان، وعلى أية حال (لا شرف لعربي على أعجمي إلا بالتقوى)٦، الله معهم أينما كانوا، الله بالغ فيهم أمره، ولكن الإنسان خلق في عجل.. لا يتواصى بحق فيه ولا يتواصى بصبر عن عجلته من بلوغ الحق فيه.

إن الله أقرب إلى الإنسان من جبل الوريد فأين يطلبه؟ وكيف يطلبه؟ ومتى يطلبه؟ هل يطلبه بعيدا عنه! هل يطلبه عند غيره! هل يطلبه في سمواته أو في أعماق أرضه! هل يطلبه في الهياكل من ذوات الناس! هل يطلبه في المقابر من برازخ الناس؟ هل يطلبه في المناسك من غرفة مقامة بيده، بوصف بيت الله!!!! أو مدينة لإنسان بوصف مدينة مقدسة لله؟ أين يطلبه من حيث مكانيته؟ ومتى يطلبه من حيث زمانيته؟ أطلبه في شيخوخته! أطلبه في طفولته! أطلبه في فتوته! أطلبه فيما قبل وجوده مدركا له! أطلبه فيما بعد وجوده معلوما له؟ متى يطلبه ولا زمان له في زمانيته من خلقه.

وعلى أي كيف يطلبه؟ أقتل نفسه منتحرا بيده وقد أمره الرسول أن يموت قبل أن يموت بيانا لأمره تعالى أن اقتلوا أنفسكم ليتوب عليكم؟ أبخول كامل عن حياة قيامه في مقبرة يدفن نفسه فيها حيا، وقد أمره الرسول أن يعيش في الدنيا غريبا وأن يعد نفسه من الموتى ليكون مؤمنا؟ أيرتفع فوق قم الجبال العالية ليدانيه فيطلبه؟ يتطلع إلى إله هارون وموسى من فوق سرح الطبيعة أو سرح إنشائه، وقد جعل الرسول السماء قبلة الدعاء؟

ما هي وسيلة طلبه؟ إن الديانات ومؤسسي الديانات، وإن الحكمة ومؤسسي الحكمة، وإن الفلسفة ورجال الفلسفة، وإن العلم وعمد العلم ومنابر العلم ما تجول لهم فكر إلا ليجيبوا على هذا التساؤل.

جمعهم محمد رسوله وعبداه وطلعتهم ووجهه في صفات معناه على إحياء لكل صفاته، لا فقد ولا جفوة مع صفة منها. تخلق بأخلاق الله في عديد حياته فكان جماعها، وطلب ذات الله فكان بذاته قدسها واجتماعها، وقدر الله حق قدره فكان روح قدسه للأقدس من ذاته فكان علما على الأقدس من ذات ربه في قدس ذاته، فكان مظهر الروح قدسه من الأعظم للروح الأعظم للذات الأقدس للرفيق

الأعلى من وجه ربه ذي المعارج حتى إلى إدراكه لا يدرك، مطلقا في وجوده وجودا مطلقا لا يحاط ولا يوصف ولا يتصف. هو فيه عبده المجهول أنه عليه، بجهل نفسه.

إن الذي وصفه محمد بربه هو وجه لمنشوده ومعبوده. والذي عرفه الروح الأعظم من مطلقه في معتقده ما كان إلا خلته في الله والرفيق الأعلى من الله في معراج من الرقي لا يتوقف ولا يحجز. وبذلك صرف محمد لفظ الله الذي ينصرف إليه في حقه كما ينصرف إلى رفيقه الأعلى في خلته وفي حبه.. صرفه إلى المطلق عنهما. فما وصف به رفيقه الأعلى، ولا وصف به نفسه، ولكنه قصد به المقدر عنده من الإطلاق لا يدرك، ومن الوجود المطلق لا يوصف، مشيرا إلى أن معبوده بتقديره لا يظهر ولا يعرف في شيء مثل ظهوره ومعرفته بالإنسان، مشيرا إلى كمال معناه والرفيق الأعلى من معاني الإنسان.

ولما كان القدس في الإنسان - وقد رآه بلطيف الله فيه - وجهها لله عنده، قال إني روح هذا القدس من الناس، (أنا روح القدس)^٧، وهو ما عني بما عناه بروح قدس الله مشيرا لمعناه إلا أنه روح هذه الذات المقدسة التي يشهدها من الجنس البشري شجرة جديدة قديمة، جذورها ممتدة في الأرض وفروعها تمتد متصاعدة في السماء.. استظل بها في مظهره من المادة ثم مضى.. مضى إلى فروعها في السماء من الرفيق الأعلى، ومضى إلى جذورها في الأرض حيا في قبره، لم يمت بذاته ولم يحتجب بصفاته. تتصاعد في السماء صفاته وتمتد في جذور الأرض ذاته، ويتكاثر في السماء الدنيا لها من الناس لداته، حتى لا يبقى محروم منه. حتى إذا كانت قيامته انقطع كل نسب وحسب وسبب وصهر إلا نسبه وحسبه وسببه وصهره. الناس أقربهم إليه منازل في القيامة أحاسنهم أخلاقا، الموطئون أكفأ، الذين يؤلفون ويألفون. لا شرف فيه لعربي على أعجمي إلا بالتقوى. رسولا للناس كافة. روح قدس الله في ذات الله من أنفسكم عبادا لله من ورائكم محيط. كل من عليها فان من وضعه من نبات الأرض، وهو عليها باق بوصفه وجهها من وجوه الرب. يبقى منهم وجه ربك. تبقى أنت ومن صارك وجهي. تبقى أنت الناس جميعا. تبقى أنت إنسان الله وعبد الله وآدم الله ونفس الله توفاه الله فأمسكتها يد الله، الأرض جميعا قبضته وأنت يده، والسموات مطويات بيمينه وأنت عضده.

هذا هو محمد الذي تلوك ألسنتنا اسمه ولا نعرف له اسما ولا تتصور له وصفا، اللهم إلا مقبرة نذهب إليها نقيده بين جدرانها حيا إن قدرناه. لا بل نراه بين جدرانها ترابا جثة هامة إن حللناه. لا نراه في أنفسنا يبعث ولا نؤمنه في أنفسنا يمتد فالله هو الذي به فينا يسجد إن سجدنا. ولا نراه أولى بنا من أنفسنا، ولا نرى أزواجه أمهاتنا، ولا نرانا أمناء له، ولا نرى الأرض بيتا لله، ولا نرانا في بيته أو في مسجده الأرض زويت له، ولا نراه أبا لنا يجمعنا دما ولحما بقديم أوادمه، ولا نراه روحا

بكلمات ربه يقومها جديد أودمه، ولا ننشد فيه أبوتنا كانت غائبة فيدانينا بيتنا موضوعا، وبعثا مشهودا، وحشرا مبدؤا، وقيامة مشهورة، فما أدركنا فيه أبوة كانت مجهولة فعرفناها وعرفتنا، وكانت مقطوعة محجوبة فوصلناها فوصلتنا، فكانت في معرفتنا لها معرفة الله لنا، وفي وصلتنا بها، وصلتنا بالله في أنفسنا.

هذا هو الدين وهذا هو الإيمان. هذا هو الدين إذا ذكرناه وهذا هو الإيمان إذا قناه، وهذا هو الطريق إذا سلكناه أو سعينا إليه وسرنا فيه، وهذا هو مآلنا وبقيننا إذا رأينا أننا في سبيل تحقيقه نعمل فكا في الطريق. فإذا لم نرى وسيلة إليه أو كنا بعيدين عن تحقيقه فلنعرف أننا بعيدون عن الطريق، وبالتالي بعيدون عن الإيمان. وإذا كنا بعيدين عن الإيمان فنحن في شك من أمرنا في الإسلام. فالإسلام له نتيجة حتمية هي الإيمان. إن الإسلام من فعلنا إن صدقنا. وإن صبرنا كان الإيمان من حقنا وهو من فعل الله. (إن في أيام دهركم لنفحات فتعرضوا لها)^٨، {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا}^٩. فإذا قلنا إنا المسلمين فلنعرض إسلامنا على قواعد هذا الدين، كم بقينا وكم كنا مسلمين، هل أنتج الإسلام عندنا شيئا؟ الذين قالوا ربنا الله، وهذا هو أول الإسلام، أنتج هذا عندهم شيئا أنهم استقاموا، ولو أنهم استقاموا على الطريقة لسقيناهم ماء غدقا، ولو أنهم استقاموا واستقاموا لتنزل عليهم الملائكة، بل الروح الأمين من عوالم الأمر. إنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

هذه هي مقاييس الدين للمتدين، والبشرى للمستبشر، والطريق للسالك، ومصاييح المعرفة للمهتدي. جاء بها محمد متجددة في وحدة من دين، وفي عداد من عترة فيما عرفناه عن معناه يتكاثر، وبعترته يتواجد، وبكابه يتجدد عند قارئه لا يمسه إلا قلبه يتطهر فيشرق منه في قلبه نورا على نور، ويقوم به أمرا من أمر يتجدد به أمر الدين.

فالكاتب لا وجود له بعيدا عن عترته، والعترة لا وجود لهم بعيدا عن كتابه. إن الشريعة والحقيقة في رسالة محمد دعامتان لا تفرق إحداها عن الأخرى وإلا نفرت كل منهما عن الأخرى. إن أبوة محمد للدعامتين تقول - كما قال رجل لبنيه - كونوا جميعا يا بني إذا اعتري خطب ولا تفرقوا آحادا، إن العصي إذا اجتمعن أبيت تكسرا وإذا افترقن تكسرت آحادا.

فهذا هو أمر المسلمين، وهذا هو أمر هذه الأمة، بل هو أمر هذه البشرية جميعا. إن الذي نقول يمسه شعوب الأرض جميعا في حركتها وتطورها كتابية أو في كتاب الإسلام، كما يمسه الشعوب الغربية وطوائفها في الشعب الواحد أو في الدولة الواحدة.

إننا إذا ما تذكرنا أن الله في الوحدة والمحبة استقام أمرنا، وأنا إذا ما نسينا أن الله ليس في التفرق اختل أمرنا.

هذه هي حكمة الله وإرادة الله.. هدايا الله وإياكم سواء السبيل.

اللهم اهدنا سواء السبيل. اللهم ألف فيك قلوبنا. وزكي برحمتك نفوسنا، وأنر بفضلك عقولنا، وابعث بحكمتك بالحياة قلوبنا. وارحمنا برحمتك وألف بين قلوبنا وبين جمعنا ووثق وحدتنا فيك، وأعل كلمة الحق بك في أنفسنا وفي قومنا. واغفر لنا ولهم وتب علينا وعليهم، وعاملنا وإياهم برحمتك، وعافنا وإياهم من عدلك وغضبتك. اللهم أنزل السلم والسلام على نفوسنا وعلى أرضنا، وول اللهم أمورنا خيارنا، ولا تول

أمورنا شرارنا بما كسبنا، وأيقظ اللهم عقولنا وقلوبنا.. حكما ومحكومين.. روادا ومرودين، لا إله غيرك ولا معبود سواك، الرحمة منك والمآل إليك.

أضواء على الطريق

"إذا كانت الكلمات القليلة التي أقولها فيها خدمة لكم فإنها يجب أن تعين كل واحد منكم على الانتشار في الأرض ليخدم أطفال المادة مثلها أحاول أنا خدمتكم. إن نقل المعرفة التي تملكونها هو مسئوليتكم أتم، وأنا أعلم أن ذلك هو القانون". من كلمات السيد الروح المرشد سلفربرش

(فليعلم الحاضر منكم الغائب^{١٠}، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)^{١١}، حديث للرسول عقب به على حديث طويل هدى وحذر به.

{فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض}^{١٢} من تمت له الصلة حمل البلاغ.

من هدي القرآن.

مصادر التوثيق والتحقيق

- | | |
|---|--------------------|
| ١ | سورة التوبة - ٢٥ |
| ٢ | سورة العلق - ١ |
| ٣ | سورة آل عمران - ٦٤ |

- ٤ مقولة للإمام عليّ (عليه السلام): إن الله أخفى أربعة في أربعة: أخفى رضاه في طاعته، فلا تستصغرن شيئا من طاعته، فر بما وافق رضاه وأنت لا تعلم. وأخفى سخطه في معصيته، فلا تستصغرن شيئا من معصيته، فر بما وافق سخطه معصيته وأنت لا تعلم. وأخفى إجابته في دعوته، فلا تستصغرن شيئا من دعائه، فر بما وافق إجابته وأنت لا تعلم. وأخفى وليه في عبادته، فلا تستصغرن عبدا من عبيد الله، فر بما يكون وليه وأنت لا تعلم.. بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.
- ٥ سورة البروج - ٢٠
- ٦ إشارة إلى الحديث الشريف: "يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى". أخرجه أحمد بن حنبل.
- ٧ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٨ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها"، رواه الطبراني في "الكبير" وذكره الغزالي في الإحياء.
- ٩ سورة العنكبوت - ٦٩
- ١٠ إشارة إلى الحديث الشريف: "إِنِّي أُحَدِّثُكُمْ الْحَدِيثَ، فَلْيَحَدِّثِ الْحَاضِرُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ". المحدث: الألباني. المصدر: صحيح الجامع. كذلك جاء في الصحيحين: "فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع"
- ١١ إشارة إلى الحديث الشريف: "نَصَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي، فَبَلَغَهَا، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ، غَيْرُ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ". المحدث: الألباني. المصدر: صحيح الجامع. كذلك جاء في الصحيحين من حديث أبي بكرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: "فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع"
- ١٢ سورة الجمعة - ١٠

(٩)

الحياة

هي الدين واللجنة والنجاة

حديث الجمعة

٢٦ ربيع الآخر ١٣٨١ هـ - ٨ أكتوبر ١٩٦١ م

ما الدين! ما الكفر! ما الإيمان! ما العذاب! ما الثواب! ما الحساب! ما العقاب! ما الجنة! ما النار!
ما القيامة! ما الندامة! ما الشفاعة! ما الساعة! ما الدنيا! ما الآخرة!

كل هذا مما يتردد في الروح، ويتجول في الخاطر، وتهتز به النفس، ويقصر عن إدراكه الحس، ويكل
لوعيه العقل. إن الإجابة على هذا كله وعلى كل ما من مثله أو في معناه قد يجده الطالب إذا بحث
عن الحياة في نفسه وفيما حوله فتساءل ما الحياة؟

هل هذه الحالة التي نتواجدها هي الحياة؟ أو متى تكون الحياة؟ وما هو كنه الحياة؟ وكيف تطلب
الحياة؟ كيف يقوم قائم بحياة؟ فيحيا ويحيي من استحياه، فيحيا به من ناداه!

إن الفهم في الحياة يتعدد إليه المسالك. فالحياة نقطة المركز في دائرة الوجود يطلبها كل من عاش في
عولم المادة على هامش دائرة الحياة. فحول الحياة وكشف القناع عنها دارت الحكمة قديما وحديثا
ودائما وأبدا. ومن نبع الحياة تأسست الديانات بمؤسسيها من الناس، رسلا من أنفسهم قاموا في
أزمانهم بمعدلات الحياة للناس في عصورهم. فكانت الحياة نقطة لدائرة، هي لها قلب لعموم الناس،
تمثل في فرد من الناس هو الناس رسولا من أنفسهم مما وراءهم من أصولهم.. من الإنسان.. رب
الناس ملك الناس إله الناس.

هكذا كان وهكذا يكون وهكذا لم يرغب. فما كان من قبل محمد يكون على ما كان من بعد محمد، وهو
بعينه ما مثله قيام محمد. كان الإسلام من قبله أمرا غريبا على الناس جاءهم به فاستغربوه، وصار
الإسلام بعد غروب شمس ذاته غريبا بين الناس الذين جاءهم رسولا من أنفسهم، تكاثر لم يرغب.
ولكنهم صاروا إلى ما كان من أمرهم من قبله من جفوة لرسول أنفسهم بمعناهم وبجماع معانيهم،

فكانوا بعد غروب شمس ذاته متكاثرة بشمس تكاثره من لدات^١ جنسه كوثرًا لهم، على ما كان آبائهم من قبلهم.. فعاد الإسلام من بعده بينهم إلى غربته، فأصبح الإسلام غريبًا في بيئة أهله عن أهله.

دخل الناس بأفول يوم محمد من يومهم في بدء من ليل من عملهم وقيامهم، ما زالوا فيه إلى يومنا هذا. تابعت شمس القرون أربعة عشر قرناً بأربعة عشر شمس وكواكبها وأقارها عوالم الله، وما زال الناس من أهل هذه الأرض في نومهم يغطون، وفي ليلهم ينتظرون فجر يوم لشمس ذات محمد مرة أخرى ينتظرون. وهم عنها بينهم يعمهون.

إن شمس القرون في ليل أمته يحدونها إنما هي ما أشار إليه الرسول من (إن لله في أيام دهركم لنفحات فتعرضوا لها)^٢، وما أشار إليه من أمر عترته في أمته بينهم تتجدد وذواتها وبيوتها تتعدد.. يحدد الله بها أمر الدين، ويقدم الله بها موائد الحق وأحواض الحياة وسفن النجاة ومعارج اليقين، رحمة للعالمين بمن أرسله وسيلة وإماما للشافعين، ورحمة منه هي رحمته تعالى ربا للعالمين.

أما ما يطلب الناس، وما ينتظر الناس من منتظر من شمس ذات من أنفسهم، تتكشف تحت أضوائها معالم الطريق للسالكين.. حجة من الله يجابه بها المكذبين، ويأخذ بها بيد المستضعفين، ويجعل الأعزى الأذلين، ويجعل المجهولين الأكرمين، وينتصر بها الفقراء من عباده من الناس على الطواغيت العاملين. فإن هذا ما يخشاه العاقلون والعارفون والمؤمنون والمتقون.. إنها الساعة. ولكنها ليست ساعة المؤمنين. إن لكل مؤمن في الله ساعة، ولكل مؤمن في الله قيامة. ولكنها ساعة الكافرين، ساعة الجاحدين، ساعة المخاصمين، ساعة الصادين، ساعة النافرين، ساعة المكذبين، ساعة المقطوعين وقيامة الظالمين. بها يستعجلون بجهلهم والذين آمنوا منها مشفقين قاموها وشهدوها وعلوها يوم علموا الحق من رب العالمين بإيمانهم به من أنفسهم أقرب إليهم من حبل الوريد، معهم في قديم يجهلون، ومعهم في حاضر به يستقيمون، ومعهم يوم بعملهم يبعثون، ومعهم يوم يعرجون في معارج الله إلى الله رب العالمين.. لا يُقدر حق قدره للقاسطين، ولكن يقام أمره، ويعرف خلقه، ويدرك في النفس للنفس سره وجهه.

قام محمد بدر تم لمن قبله. وها نحن في عصرنا هذا يستكمل البدر انخداره لمحاقه في منازل نزوله بعد تمامه أربعة عشر قرناً، يقابلها في الشهر للبدر أربعة عشر يوم. فهل نحن في انتظار فجر جديد ليوم جديد ممن يبدئ ويعيد! ومن هو على كل شيء شهيد! فرحبا بهلال عيد.. لبدر يتزايد ليتكامل من جديد! هل نحن اليوم في وداع هلال لبقية بدر لمغيب، وفي استقبال إشراقة لهلال بدر جديد، يتكامل في مزيد! {إن موعدهم الصبح. أليس الصبح بقريب} ^٣ هو الذي يبدأ ويعيد. إننا في هذا

العصر في انتظار فجر ليوم جديد يرهص لشروقه في جلجلة ورعيد. اقتربت الساعة وانشق قمر العبيد. وهوى النجم للجنس السعيد.

إن الله قد أنزل سكينته وأمنه على كل قلب مريد، وإن الله مظهر الأمر على كل نفس شريد. ليس هذا في الحق بجديد، ولكنه عين أمره في القديم والجديد.. دواليك.. ليس تحت الشمس مزيد، وليس تحت الحق عديد، ولكن الجديد هو ما يصدر عن الخلق الجديد من فعل عن إيمان من البشر السعيد، أو عن مبادعة وإحداث من النفس الشريد بانحراف عن الطريق الرشيد إلى أسفل سافلين في القانون الثابت للقيام الطريد.

ها هي الأيام دارت بالآباء والأجداد، ودارت بنا نحن الأبناء والأحفاد.. وها هي قدرة الله وحكمة الله وقوانين الله وصبغة الله وفطرة الله.. ها هي تبعث من وراء الأبناء برازخ الآباء في جديد من الأحفاد، يقوم بهم أمر الله كما قام بآبائهم وأجدادهم يوم قامت بأجدادهم حكمة الله، وتقوم بأحفادهم حكمة الله ورحمة الله ونور الله وأمر الله وحق الله ووجه الله، من خلال آبائهم من الأنبياء عن الله بعثوا بحكمة الله.

لقد دخلت الأمة المحمدية في ليل من أمرها بغيبة ذات محمد تحمل الأمر والبلاغ، وطال بها هذا الليل وإن أولج الله فيه أضواء من النهار المرة بعد المرة، غلبها الظلام الدامس فأولج أضواء النهار في الليل بعد لمحات من الصحو في إشراقات من اليقين تحققت بها الأحلام من الأمانى لسعداء من المؤمنين محظوظين، في لمحات من الحق عرف فيها الحق لأهل اليقين، بعباد للرحمن دبوا على أرض للطواغيت والشياطين، كانت بهم ساعات لوقتها، وكانت بهم قيامات لعصرها، وكان بهم حشر لأهلها.

ولكننا في انتظار فجر تشرق فيه شمس محمد الذي بقي معنا حيا في قبره، منتظرا انشقاق الأرض عنه لتستقبل به شمس حقيقته من عليائها.. إنسان فرق بين القديم والجديد.. وإنسان قيام يعرفه الشقي وقد عرفه من قبل السعيد. إننا في انتظار يوم تظهر فيه حجة الله وتقوم فيه محنة الناس، وتندارك وتسبق بمحمد فيه رحمة الله قضاء الله وعدل الله، لأن محمدا ما جاء إلا رحمة للعالمين بذاته وبجميع صفاته، في ظهوره وغيبه، لصاحبه وجاحده، لمتابعه ومظاهرة وشاهده ومعانده. جاء لا مجال هدي بل جماعه، مجالاتٍ لهدي، يخاطب الناس على قدر عقولهم، يقهرهم ويجبرهم لخيرهم، يسوقهم قهرا عنهم إلى الجنة يجرون بالسلاسل معاندين، ويوردهم الحوض مستجيبين، ويعرج بهم معارج السماء طائعين، ويدخلهم حضرة الحق محبين، ويظهر بهم وجهها لله عارفين موحدين.

هذا هو محمد حيا فكان الحياة، ومعارج الحياة، وحوض الحياة، وجنة الحياة، ونار الحياة، وأرض الحياة، وسماء الحياة، فهل ذكره الذاكرون أو صلى عليه المصلون؟ أم نقيقا باسم الصلاة ينطقون، بألفاظ يرددونها، والصلاة في أنفسهم يتوهمونها؟ والصلاة إنما هي صلة بالله رب العالمين في صلة بعبد رحمته للمؤمنين.

هل قامت به صلة توصلهم بحضرته موصولة فعرفوه، فقاموه، فتجددوه، فتكلموه، فكانوا للناس كلامه، وتحديثه فكانوا للناس حديثه، وقاموا به فكانوا للناس وفي الناس قيامه، وخدموا بحبه الناس فكانوا رحمة الله ورحمته، وقاموا للناس حقيقته وأتمته؟

أين هم المؤمنون بل أين هم المسلمون، وأين هم في أمتهم على ما وعد وبشر العارفون؟ إن ديننا من وضعهم لله ينسبون، وهو من وضع أنفسهم وأحداث عقولهم من وحي شهواتهم، فيه يحرفون الكلم عن مواضعه والحق عن مراجعه، ويبعدون به كل إنسان في الحق عن موضعه، وفي السلام والسكينة عن مضجعه. لا يعرفون الله ولا رسوله في أنفسهم، ولا في تواجد من تواجد في قديم أو جديد لهم. فكيف يعرفون الله في وحدته ورسوله في رحمته، ثم هم يزعمون أنهم يحملون أمانة الدين، وأمانة التوجيه، وأمانة الريادة والهدي، وأمانة التعريف عن المعروف لغيرهم المجهول عندهم؟! فقهاء الطاغوت وأعداء الملكوت وعباد الجبروت لشياطين أنفسهم.

هذا هو ما آل إليه أمرنا. فنحن في جاهلية من أمر ديننا. ونحن في حاجة إلى أن نجدد بالإسلام عقيدتنا. وأن ندرك ما نحن فيه من غفلتنا. ونحاول أن يكون لنا إلى الله رجعة وإلى الله متاب. فهلا نفعل، هلا نرجع، هلا نتوب، هلا نستغفر، هلا نؤمن بأن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم فنقول لرسول الله صدقت رسول الله، هلا نعرف أن الله أقرب إلينا من حبل الوريد وأقرب إلينا من الشيطان يجري في نفوسنا مجرى الدم، فنؤمن به كذلك، ونطلبه فينا ليكشف عنا الغطاء فترانا به فيه على ذلك، للتبليغ مصدقين، وللطريق سالكين، وفي الطبيعة متطورين، وباليقين قائلين، أم نتنظر حتى تأتي سكرة الموت بما عنه نحيد فنجده يأتي على أعمالنا نسبناها لمقطوع وجودنا فيجعلها هباءً، نجد أعمالنا فيه صادرة من معدوم وجود سرايا، ونجده كان معنا لم نعرفه ففقدناه، وتواجدنا فجحدناه، وفارقنا بظاهرة الموت وقنا عملنا فرأيناه، فقلنا أرجعنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل، فيقال لنا الصيف ضيعت اللبن؟ فالمرء يبعث على ما مات عليه في قانون الوجود، وأنه لو أرجعهم لعاد المرجع إلى ما نهي عنه، ولكنه يعطى الفرصة بعد الفرصة ليشهد بقديمه جديده في أصحاب النار كلما نضج له جلد من ذات أنتجها عن لحم ودم من التراب، أضيفت إليه وبعث وليدا في ذات من جلد على ما يشتهي في حاضره من ذاته، هم عنها ليسوا بغائبين ولكنهم ما بدلوا ما في أنفسهم حتى يبدل الله

أمرهم وشأنهم وحالهم وماضيهم ومآلهم. يبدل فيهم حاضرهم إذا ما بدلوا نظرهم لماضيهم، وإذا بدلوا نظرهم لحاضرهم، فإنه ليجدد فيهم قديمهم وقابلهم. إنهم برازخ أنفسهم فيها يبعثون بما هو من ورائهم ليكون بين أيديهم إدراكا لقائم الله على كل نفس منهم، لا تضر نفس بمن ضل ما اهتدت.

فهلا اجتمع الناس على الله وعلى حقه في أنفسهم، وتواصوه في نجواهم وإسرارهم في جهرهم وفي تأملهم، هذا ما تأتیکم به في هذا العصر روح الله. الأرض جميعا قبضتها قبضته، والسموات مطويات بيمينها يمينه. إنها الحياة، إنها الإنسان، إنها البعث، إنها القيامة، إنها الساعة، إنها الحشر، إنها النشور، إنها الفرق والجمع، إنها كل شيء سمعتم عنه أو عرفتم منه عن الدين أو العلم، إنها حقيقة الله، إنها رب الناس، إنها إله الناس، إنها ملك الناس.. ستبرز للناس آياتها، وهي عند المؤمن بارزة، وهي تبرز اليوم في الناس بحقها، وقد ظهرت فيهم من قبل وما زالت بملائكتها.

فهلا يتذكر الناس، هلا يرجع الناس إلى الله في أنفسهم، فيتذكرون هذا الذي يبرز لهم في أنفسهم، وفي الآفاق وفيما حولهم من الأحداث وفيما يتواجد بينهم من غريب ما ينظرون بعيونهم، وفي بارز آيات الله فيما يشهدون من أمرهم وفيما يجري عليهم من أمورهم؟ هلا يتأمل الناس، إنها لغة الله في الأحداث. إنها كلام الله للأمم والأجناس. إنها سياط الله.. فإلى متى لا تشعرون بسياط الله بها تُضربون، وبها إلى الجنة تساقون؟ ولكنكم حتى في طريقكم هذه ما زلتم مع أنفسكم، وفي هاوية من فجوات نفوسكم تتعثرون.

فهلا إلى الله نرجع بمتاب، هلا نرد الأمور كلها إلى الله فنذكرها ونجد لها تعليلا فنستسيغها ونعقلها، هلا نتأمل لما في أنفسنا من فعلنا، ولما لله معنا فنجد أنها الطبيعة ترتل القرآن فيما تأتي من فعل يعبر عن حقيقة، ويدرك لبيان.

إنكم في هذا العام وفي هذه الأيام استقبلتم ضربات الطبيعة تساقط عليكم.. بل هي تعم الأرض إن كنتم لأمر تتأملون.. فيضانات جاححة في كل مكان، وأعاصير جبارة موجهة كاسحة في جميع الأركان، وآفات من السماء تحيط الحرث من الزرع والضرع إحاطة تذهب بجهد الناس لخلق أرزاقهم، فتذهب بثمره عملهم فتجعله هباء.. يحيط بثمرهم فيصبحون مقلبين أكفهم على ما أنفقوا فيها غافلين عن حمده، مستزيدين بوهم صلاحهم من رفده.

انظروا إلى دودة القطن وما فعلت بالناس، {وما يعلم جنود ربك إلا هو}. حشرة صغيرة من الأرض تُعجز هذا الإنسان المتكبر المتغطرس الدَّعي، وتُشهد ضغفه وهو لا يؤمن بضغفه ولا يؤمن بقدرة ربه.. ثم ها هي الأحداث تعمل فإلى نزغات قوم تذهب فتذهب بما دبوا. ويتآمر الشيطان

في عزته بفرقه فينصر الله الشيطان بجزاء. فهو ليس ببعيد عن معاني العبودية له والتكليف منه فيحقق الفرقة لمن طلبها لأن الله ملبي لنداء الطالبين فارقين أو موحدين. إن الله لا يعجزه أن يمنّ بالكفر على طالبه. وما أعطاه الله الكفر إلا ليثبت قدرته ويثبت غناؤه، ويظهر عظمتة في نفسه ورحمته للمؤمنين. وما أعطى الله الإيمان إلا لطالب، وقد أخفى الإجابة في الدعاء. وما تفضل بالتوحيد إلا على عامل عمل بالتوحيد وآمنه وقامه منه فيه إقامة اتحد فيها فعله ومفعله.

إن الله عند مشيئة خلقه مشيئة له بقدرته وعظمتة. إن الناس ليسوا عند مشيئة الله. فإنه غني عنهم وليس في حاجة لأن يفعلوا له بمشيئة فيه، ولكن الله بغناؤه عند مشيئة عبادته المفتقرين إليه يحقق لهم ما يطلبون، وقيمهم فيما يرجون، مشيئته في مشيئتهم بها عند الناس يوصفون. أما الغافلون من عبادته فيوجدتهم إلى ما يعملون.. إلى أبواب من صنع أنفسهم يوكلون.. هي مما من دونه يعشقون يوما لهم يشهدون وعليهم يسلطون.

هذا هو الدين لمن أراد أن يكون في دين. وهذا هو اليقين لمن أراد أن يكون في يقين. وهذه هي النجاة لمن أراد أن يركب السفين. وهذه هي الطريق للطارقين أو الحوض للواردين والمائدة للطاعمين. فهلا كنا من المسلمين؟ نسأل الله أن يجعلنا من التائبين الراجعين.

اللهم إنا نجدد لك إسلامنا بإسلامنا لرسولك عاملا لا يغيب.. اللهم فاكثبنا به عندك من المؤمنين. اللهم أكرمنا برحمتك واجعلنا له من المقربين. اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا واجعلنا من الموقنين. اللهم فتقبل فراغ قلوبنا واجعلنا من الموحدين. اللهم برسولك فصلنا، وبه فينا فابعثنا من الشاهدين، وإليك به أرجعنا من المشاهدين. اللهم إنا ظلمنا أنفسنا فاغفر لنا وتب علينا وعافنا مما نحن فيه. وارفع بفضلك ومنتك البلاء عنا مما نعلم ومما أنت به أعلم وبنا منا أرحم.

فأنت بأمرنا منا أعلم، وبنا منا أرحم، وعلينا منا أقوم. اللهم أرجعنا من طريق الضلالة ووجهنا لطريق الإيمان والسلامة، وأنزل اللهم سكينتك على قلوبنا والسلام على أرضنا، وول أمورنا خيارنا ولا تول أمورنا شرارنا بما كسبنا، واغفر لنا وتب علينا وارحمنا وأصلح أمرنا.. حكاما ومحكومين.. هداة ومهتدين.. مجاهدين ومتابعين.. يقظين وغافلين، وهيئ لنا سبيل الخير يا أرحم الراحمين. اللهم ارحمنا برحمتك واقلنا بمن جعلته لنا وسيلتك من رسولنا من أنفسنا بجدناه فضلنا الطريق. اللهم اجعله لنا نعم الرفيق ولا تحرمنا منه في الدين والآخرة وفي كل طريق. لا إله غيرك ولا معبود سواك.

أضواء على الطريق

(حيثما يجاهد رجل واحد في العالم المادي لكي يرقى رجلا واحدا غيره نخلفه يوجد ألف روح يحاولون أن يعظموا انتصاره. لا يضيع مجهود في الخير أبدا ولن تفقد رغبة في الخدمة بتاتا).

(لو استطعتم الرؤية بعيون الروح لعرفتم أن في كل طفل عدالة كاملة. إني أصغي أحيانا إلى صلواتكم وأحيانا إلى صلوات غيركم. وأظن أنكم لن تسعدوا بالنتيجة لو استجاب الروح الأعظم إليها جميعا).

(طوفان النصر للروح قادم. الشريعة القديمة تموت مخلية الطريق للجديدة. الدنيا الجديدة مقبلة. ولكن لا تظنوا أنه بسبب هذا النصر سوف تزول الأماكن المظلمة. سوف يستمر ذرف الدموع سيولا. ستكون هناك قلوب محطمة كثيرة. إن هناك تضحية عظيمة يجب أن تقع).

(أنا الذين تدعونه سلفيرش أمثل فقط جزءا صغيرا من المعرفة التي تتبع المستويات اللانهائية. وكلما نموت أمكن لمعلمين آخرين أعظم مني أن يستخدموني لأوصل إليكم معرفة وحكمة أعلى. ليس هناك درجة نهائية. ليس هناك كمال. أنتم تتطورون وأنا كذلك. والذين هم أعلى مني يقولون إنه يعمل وراءهم أناس أعلى أيضا. ليس هناك علو نهائي. لأنكم لو وصلتم للنهاية يتوقف الخلق).

من هدي السيد الروح المرشد (سلفيرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ "كلمة "لدات" تعني لغويا الشخص الذي وُلد معك في نفس الوقت أو تربى معك. ولكن استخدام كلمة "لدات" مجازيا يشير إلى الأرواح أو الذوات المتآخية المتحابية والمتحدة في جوهرها. وهو ما يستعمله السيد رافع في أكثر من سياق.
- ٢ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها"، رواه الطبراني في "الكبير" وذكره الغزالي في الإحياء.
- ٣ سورة هود - ٨١
- ٤ سورة المدثر - ٣١

(١٠)

إلى متى؟! لا نشهد واقع الله في واقع قيامنا بالحياة

حديث الجمعة

١٧ جمادى الأولى ١٣٨١ هـ - ٢٧ أكتوبر ١٩٦١ م

أعوذ بالله معي رحيمه من الشيطان معي رجيته. وأستعين بالله قائماً على نفسي أن يقوّم طريقي وأن يهديني مسيري.. فضلاً منه برحمته. وأتوكل عليه أولى مني بنفسي، برسوله.. الذي عمم به رحمته للعالمين، والذي جعل منه إماماً للهرسلين، والذي جعله شهيداً على الشهداء من العباد المتصلين الكرام القائمين.. الكتب العالمين.. السموات الراحين.. السبل الهادين.. العيون الممددين.. الذين هم بنور الله في الناس سارين، والقلوب بما أودعهم الله محيين.

عباد الله: إلى متى لا ترون واقع الله في واقع قيامكم وفيما تشاهدون في القيام من حولكم؟ إلى متى تحرفون الكلم عن مواضعه متابعين للمحرفين للكلم عن مواضعه؟ إلى متى تغمضون أبصاركم عن مشاهدة ما يريكم الله ويكشف لكم من أمره في أمركم من أنفسكم، وفيما يحيط بكم من حولكم في الآفاق من الأشياء ومن الخلائق ومن الحقائق؟

كرمكم الإنسان وأبناء الإنسان وذات الإنسان وروح الإنسان، وجعل شهودكم لمعانيه بمعانيكم في معاني أبيكم، وجعل شهود وحدانيته في شهود وحدانيتكم بمعناه لمعانيكم عنه، ذكرنا له، ووجهها له، وعبدنا وكتاباً له، أبناءً مكرمين، ولدانا مخلصين.

إلى متى على أمركم لا تحرصون، وأبواب الحياة أمام نواظركم لا تطرقون، وسبيلها لا تدخلون؟

إلى متى إلى قلوبكم لا تتجهون وفي مرايا أنفسكم من إخوانكم من المؤمنين لا تنظرون؟

إلى متى عن وجه الله يحيط بكم فيما تنظرون من الأشياء ومن الناس أنتم عنه غافلون؟ يستقبلكم ولا تستقبلون، وينظركم ولا تنظرون، ويشهدكم ولا تشهدون، ويناديكم ولا تسمعون، وإن سمعتم فعن النداء تصمون.

أنتم فيه إن استيقظتم إليه تتجهون وبه تقومون، ووجه حكمته تمثلون فوجها لله من ورائكم محيط تشهدون، ولكنكم وجه الله في أنفسكم لكم لا تشهدون، وبه لا تؤمنون، وله لا تعملون، وعليه لا تحرصون، وهو أثمن ما في الحياة التي تشهدون ولا تقومون.

إلى متى أنتم عن هذا غافلون وله لا تطلبون؟ والطريق إليه لا تسلكون؟ وأبواب الله من عباده لا تستقبلون؟ ونفوسهم لا تطرقون؟ وقلوبهم لا تفتحون؟ والله بين جوانحكم وفي قلوبكم كنوز لكم، أنتم عليها لا تحرصون، لأنكم لها لا تنظرون، وعنها لا تعلمون ومنها لا تصدرون؟!!

يذكركم المذكرون الذاكرون فلا تذكرون لأن أوانيكم بالغث من الذكرى، والغث من العبرة، والغث من الفكرة تشغلون. فكيف لجديد عليها - وهي ملأى - تستقبلون؟ إنكم إذا لم تغيروا ما بأنفسكم فإن الله لا يغير ما بكم. وليس لكم من سلطان في تغيير ما بأنفسكم إلا أنكم بما فيها تكفرون، وإلى خارجها به تقذفون، فتصبحوا من كل غث آسن متخلصين. فإذا راكم الله من ظلام أنفسكم فارغين، وأنفسكم لطلبه ناصبين، ومن الأبوة والأمومة متحررين.. يتامى فاقرين.. مساكين لأبواب السماء طارقين.. أفاض عليكم من ماء الحياة يتدفق من نظرات عباد ناظرين بنظرات تحيي القلوب، وتزكي النفوس، وتطور الذوات، وتحفظ من الآفات، وتبرز من الله لطلبه الآيات، وتقيم فيه الصفات، فيشيع من نفسه ما بات، ويعرف منها ما فات، ويستكمل لها ما يرضيه من ألوان الحيات، فتبعث بما يجعلها جنة للحياة بل جنات.

إنكم في هذا اللون من القيام للحياة بدايات. ولقديم من الكينونة نهايات. ولتجديد العوالم الكبرى بسعة غايات. فأنتم من هو وسط ما بين قديم وآت، سر الحياة وسر الممات. إن متم عنكم قام أنا القديم بكم، فكنتم له وجوه غيبه، وآيات كتبه، وكتب أعلامه، وحظائر سلامه، وأحواض مائه تردها النفوس المتعطشة للحياة، فكنتم رياض جنته تدخلها النفوس المطمئنة. ألستم دين القيمة! ألستم متابعين المبعوث بتمام مكارم الأخلاق! ألستم روح قدس الله تحملون بالكلمات منكم توضع وعنكم تنشق وجوها لله وأناجيل، وكتب الله يشهداها الناس أقباس نور الله من روح قدس الله في معانيكم، عترة رسول الله عليهم شهداء.. أمة وسطا وأمة العلماء الأنبياء!

بهذا جاءكم محمد رسول الله وهو به اليوم يأتيكم، علما على الله وعين حق الله. هو لكم وبين جوانحكم، ويدا تمتد لأيديكم، يقوم على نفوسكم أولى بها منها، أزواجه لكم أمهات، وهو لكم وجه الغيب، وسر الآباء والأمهات، ووحدة الجماعات والأممات. قلوبتموه ما قلائكم، وتركتموه ما ترككم، وباعدتموه ما باعدكم، ونسيتموه ما نسيكم. أنكرتم عليه غيب الحياة وظاهر الحياة ما أنكر على ربه في معنائكم، وما أنكر عليكم ما الله له خلقكم واجتباكم. صبر معكم في قديم، ويصبر معكم في حاضر، وسيبقى صابرا معكم

ومع ذرايركم في مستديم، حتى يبلغ الهدي محله، وحتى يغلب به أمر الله بصلاح أمركم، وحتى يظهر الله بما يظهر من آياته في أنفسكم وفي الآفاق. هو لكم في أنفسكم حتى لا تجحدوه، نتوحدوه - وقد وحدكم - لتشهدوه - على ما شهدكم - وتقاربوه - على ما قاربكم - عبادا له ووجوها له، وذكر له وأسماء له، وصفات له وحضرات له، وحقائق له وأقباسا من نوره، وصورا لمعانيه.. تصور بها ليشهد ويميز ولتتميز لكم ومنكم أسماؤه وصفاته، وتوحد لكم بكم من ورائكم محيط ذاته.. لا تغيبوا الله ولا تغيبوا ذات الله، وأنتم حيثما وليتم وجوهه مشاهدين، ووجهه فيكم قائمين، وبأخلاقكم في قيام أخلاقه في خلقكم متخلقين.. عباداه وأعلامه، نومه وقيامه، معركته وسلامه، جنوده وأعلامه.

بهذا جاء مؤسسو الأديان وكان محمد لهم جماع وصاحب اللواء. من فتح لكل باب الرجاء. من هيا لكل أسباب الجزاء. من علم الكل وما زال يعلم الكل، في كله لهم وفي كلهم له.. عبدا طويت له الأرض وزويت، وعبدا طويت له السموات وزويت.. كل من في السموات والأرض آتية عبد الله ووجهه الله، عبد الرحمن ووجه الرحمن، عبد الديان ووجه الديان، عبد مالك يوم الدين وعين مالك يوم الدين.. به عرف الله قديما، وبه يعرف الله في قيام الخلق بقيامه، وبه سيعرف الله عند من لم يعرفه يوما في قادم.. لا ينقطع عمله ولا يُجز عطاؤه، ولا تتخلف عن الناس وجوهه، ولا تقعد عن الامتداد برحمة الله يده. هو للإنسانية كل شيء..

بوحدايته مع الناس وبوحداية الناس فيه معه تُعرف وحادانية العظمة به، ويقدر الله حق قدره، ويضع الناس في الله نفوسهم في مواضعها من عبده ورسوله عبادا لله. والله أكبر والله أعظم. والله على عظمته إلى الناس أقرب. يقاربهم رسوله حقا منه والأكبر للناس أقرب. تظهر عظمة رسوله عليهم والله عليهم برسوله أعظم..

تمت به كلمة الله القديمة الأزلية موجودة قبل الوجود الذي أوجد لها، وتجددت بجديده باقية أبدية بوجود خلق لها. فاستدار به الزمان على هيأته كيوم خلق الله السموات والأرض في أزلي فعله. خلقها لكلمة منه حقا وعبدا، خلق لها كل شيء، وخلقها لنفسه من نفسه فأسراها بما خلقت له لنفسه في كل شيء، فأصبح بها كل شيء مخلوق لنفسه.. رحمة من الله وتدانيا منه ليحقق الخلق بطابع حقه من كلمته في سرمدى فعله. ضرب ابن مريم مثلا للمؤمنين، وعنوانا للمسلمين، ورجاء محققا للمتيقنين، وجنة مزلفة للطالبيين، وسفينة نجاة سارية في بحار الوجود لرب العالمين.

إلى متى يبقى الناس بدينهم أسفل سافلين؟ وسلم المعراج بينهم مهبأة لهم لا يصعدون وعليها لا يعرجون وهي مطية مسخرة من رحمة الله رب العالمين!؟

إن بين الناس من عترة رسول الله، ومن صنوان كتاب الله، ومن حي كلمات الله، جوامع بروح قدس الله.. عباد للرحمن يمشون على الأرض هونا ويخاطبون الجاهلين سلاماً.. يتواضعون لا عن ضعة، ويعلون مجيهم وراجي الله فيهم على أنفسهم مُسعين، في البيوت المرفوعة لهم قاذفين، من البيت الموضوع بهم عارفين مباركين مباركين.

إلى متى عباد الله لهذا لا تذكرون، وعليه لا نتواصون، وعنه لا تبحثون؟ ولو عرفتم عنه لسرتم في جميع أرجاء الأرض منقبين، وله طالبين، وعنه باحثين.. لقد داناكم الغيب بالأنبياء مذكّرين ولكم منادين، وبقي أن تكونوا لهم ملين، مؤمنين بهم قائمين، فيكم ساعين، أنتم لهم طالبين، عنكم لا يغيبون. بأقدامهم عباداً للرحمن على الأرض يمشون، وبأرواحهم فوق السموات يدبون، وهاماتهم عند عرش رب العالمين.. يستغفرون للذين آمنوا وتابوا.. ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً، فاغفر للذين تابوا وأصلحوا واتبعوا سبيلك، لقد سلكوا طريقك ووردوا حوضك، إنهم عند بابك يطرقون، وحول بيتك يطوفون، وقد عرفوا أهل بيتك وبيت ذكرك وتوحدوا مع عبادك.

هذا جاءكم به الدين.. فماذا تذكرون وماذا تقولون وماذا تنقلون؟ أعن أسلافكم من المتقين المقامين القائمين أم عن أسلافكم من الغافلين الهالكين المحصودين؟ إن في أسلافكم من عرف الله وفرغت نفسه وانتصب فنصب، وذكر فذكر فذكر، وعلم فطلب فتعلم فعلم، فأدرك فعرف فعرف. فأبي الفريقين أنتم بينكم ثابعون وعنهم تنقلون ولهم تذكرون؟

سبحان الله! لو كنتم لفريق النجاة ذاكرين ما كنتم في الأسفلين، وما كنتم على ما أنتم عليه من الحال في غفلتكم عنكم عنه تعمهون، فلا الإسلام تعرفون ولا الإيمان تذوقون، فلا تعرفون ولا تذكرون أنكم عباد لرب هو رب العالمين، أنتم فيه إن حييتم به عوالمه، وأنتم بنوره مصايحه ومشاعله.. فهل وقود النار ترضون وتطلبون، ولأنفسكم بفعلكم تحققون؟ أم مصاييح الظلام مشرقة بنار احتراق أجسادكم مشكاة صدوركم تشعلون، ومن شجرتها تكاثرون، وجديدكم من قديمكم تشهدون منه أحسن تقويم طلعة وجه رب العالمين؟! فتتواجدون كلمة طيبة وشجرة طيبة، نار الله الموقدة لا تخبو بتجديدها أبداً وتنتقد بوصلتها سرمداً.. كلما نضجت جلود بها بدلت جلوداً غيرها، مشعلة نفسها سراجاً وهاجاً لتضيء على أبناءها، عشقا لله واحتراقاً في هواه وفناء به عن سواه، تموت به محبة للحياة فيه فيحييها بمعناه، ويشعلها للناس من إنسان ذات مبناه جذوة مرتضاه، مشرقة مغربة ما دام خلق الله، وما دام كون الله، وما دام عباد الله، وما دام وجود الله.

لا تظنوا بالله الظنون وظنوا بالله أجهل الظن وأكمله. لا تجعلوا من الطاعات دين، ولكن اجعلوا من الطاعات عمل، واجعلوا من الفهم دين، واجعلوا من حس قيام الله يقين، واجعلوا من وحدانية الله

لكم سفين، ادخلوا في حصن وحدانيته خلف من دخلها تغفر ذنوبكم، وتقبل فيه أرواح ذواتكم، وترتقي به معانيكم.

ذلكم جاءكم به رسول الله محمد، على دوام إشراق به في عترته ما خبا، وعلى دائم اشتعال متلاحق ما طفئ وما اختبا، عبادا للرحمن في كل زمان، وفي كل البلدان، وفي كل مكان وفي كل الأديان.. تواجدوا في عديد لا يدرك وظهروا للناس بالفضيلة بكل عنوان كريم ظاهر مدرك، وهم في عصرهم وفي كل أوطانكم متواجدون، بالله ظاهرين، وعن الله معرفين، ولذكر الله بين جوانح الخلق منبئين، وحجاب الغفلة من ظلام النفوس من العباد رافعين، وللناس على رفعه ورفعهم معينين ما كان الناس في الله مجاهدين، وله طالبين، ولاسمه بين جوانحهم مرددين، وعلى الحق متواصين.

ذلكم جاءكم به الدين. فإلى متى به لا تنتفعون وله في الناس لا تعممون؟ إلى متى أنتم بهذا جاحدين وعليه لستم بعاملين ومن أنفسكم منه يأسين! إنكم الأنبياء تكونون ما عليه حرصتم، وله في أنفسكم أقمتم، وبه من أنفسكم للناس انتشرت.

هذا ما نرجوه لكم إن شاء الله في قريب من أمركم، وفي قائم من أمره وواسع من رحمته. من الله تواجدتم فإن عليه حرصتم، وقيامه كنتم، فإليه تنسبون، وإليه ترجعون، وبه تقومون، وفيه تتكاثرون وتعددون وتوحدون، فتكبرون وتعالون، وتعالى الله عما تصفون.

أستغفر الله لي ولكم استغفارا مترددا في كل مكان، متعددا في كل عنوان حتى يغفر.

وأسترحم الله لي ولكم استرحاما قائما ممتدا في الزمان حتى يرحم.

وأستهدي به لي ولكم استهداء ملحا مستمرا في الجلود حتى يهدي.

وأستحيي الله لي ولكم حتى يحيي.

وأصبر لله وأصبر لكم حتى يقبل وحتى يغفر وحتى يجزي.

لا إله إلا هو في قديمنا من قديمه. ولا إله إلا هو في حاضرننا بحاضره. ولا إله إلا هو في قابلنا بقابله. لا إله إلا هو أزلا وأبدا ما كاه. ولا إله إلا هو سرمدا ما وحدناه.

عبده واجب الوجود في وجوده. به وله ظهر وجوده، وعليه وله ظهرت نعمته وجوده. عبده في أزل وعبده في أبد وعبده في قيام لا يتوقف له بدء، ولا ينعدم له ظهور، ولا يمتنع عليه تمام، ولا يحرم به منه سلام، ظاهر به فيه سرمدا.. نطلبه في حاضرننا كما طلبنا لربه في ماضيننا، وكما سوف نطلبه ويطلبنا في قابلنا. نطلبه في حاضرننا بحاضره لنا حتى نتوثق بيننا وبينه العلائق، وحتى تقوم بيننا وبينه الأوشاج

والروابط، وحتى نكون من أهله، وحتى ندخله من بيته، وحتى نستظله من قدمه، وحتى نستشعده من وجهه، وحتى نسبحه من إطلاقه، وحتى نستطعمه من جنته.

إن الله في عبده ما تعبد العبد له. وإن النفوس مطمئنة في عبادته ما أكبروا الله، وما عرفوا معراج الله إلى الله.. منه يستمدون عطاءه غير مجذوذ، وبه يعرجون سلم عظمته لا يتوقف لهم فيه معراج. يعرجون من خلقيتهم لحقيتهم، ومن حقيتهم إلى معارجهم بها لحقيتهم.

هذا هو الدين، وهذا هو الرجاء الثمين، وهذا هو الحق من رب الأرض والسماء.. نسأله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة. نسأله أن يولي أمورنا خيارنا وأن لا يولي أمورنا شرارنا بما كسبنا، ونسأله أن يولينا سواء السبيل حكما ومحكومين روادا ومرودين. الأمر منه والأمر إليه في قائم قائمنا وفي ماضينا وقابلنا.. نشهد أنه لا إله إلا الله ونشهد أن مولانا وسيدنا وإمامنا عبده ورسوله. هداانا الله وإياكم سواء السبيل.

أضواء على الطريق

(ماذا تظنونه السبب فيما لديكم من حروب؟ ماذا تظنونه السبب فيما لديكم من بؤس؟ ماذا تظنونه السبب فيما لديكم في عالمكم من بالغ الشجون؟ إنهم هؤلاء الذين أعمتهم المادة ولا يرون إلا ما بين حدودها، لا يشهدون ما خلف الأشياء المادية من روح موحدة للروح الأعظم. وهم إذ يسعون إلى التفرقة ويعملون بها جاءتهم الفوضى، وجاءتهم المحنات والكوارث، وحل بهم الإفلاس وفقدوا النظر السليم والقلب السليم والسكينة.

ولما كنا نحبكم لأن الحب الذي يأتي من الروح الأعظم يسري خلالنا جميعا، فإننا قد جئنا إليكم نحاول إعانتكم على تناول الانقراض، وبناءها على أساس الأشياء الأبدية، على قوانين الروح الأعظم).

من هدي السيد الروح المرشد سلفر برش

(١١)

قلوب وقوالب

حديث الجمعة

٢٤ جمادى الأولى ١٣٨١ هـ - ٣ نوفمبر ١٩٦١ م

باسم الوجود باسم الإطلاق باسم الله

باسم المحي باسم الكلمة باسم الرحمن

باسم الروح باسم الحياة باسم الرحيم

باسم المعنى باسم الدوام باسم الإنسان

باسم الله الرحمن الرحيم

نتوجه بقلوبنا فارغة عاملة واعية إلى القلوب مستجيبة راعية. فكل قلب راع لصاحبه ومن صحب، وكل قلب ملب لمناديه ومن أحب، وكل قلب أمين على ما يتواجد فيه مما تواجد هو فيه.

إن القلب في ذات الإنسان رَحْمُهُ، فيه رحمته وفيه مرحمته وفيه حياته، وكل ذات برحمته وسويداء قلبها أنثى نفسها ما كان لها رب من عاقلها وعقلها، {إن يدعون من دونه إلا إناثا} حتى يسويها العاقل لها فيستويها عقلا سويا وبشرا ظاهرا مرثيا، فيقومها رجلا فتيا.

فهلا عرضنا أرحامنا من سويداء قلوبنا للقاحها من ماء السماء ومن نور الوجود، تستقبله العقول الواعية حتى نكون بذواتنا أرضا طيبة لشجرة طيبة أصلها ثابت في أرضها الطيبة بها نتواجد، وفرعها في السماء يتصاعد، تؤتي ثمارها في دورة الزمان، أقباسا من نور الله، وكلمات هي وجوه الله شمسها محرقة، وثمارها مشرقة وظلالها مغدقة.. تنزل الملائكة والروح سكينة ليلها بإذن ربهم من كل أمر.. كُتِبَ الله منشورا في كل يوم لوجوه الله منظورة بضحاها في عترة لأصلها - صنو كتابها - مدفونة في دثارها.. كنوز الله بهياكل الله لأناسي الله.. في أوادم الله من بشرية الله.

عباد الله: اذكروا الله لا بلسان مقالكم، ولا باضطرار أحوالكم وفاقه تكوينكم، ولكن اذكروا الله متأملين متفكرين متدبرين بعقولكم التي هي فيه وهو فيها. وتأملوا في قول من قال: (نكحت نفسي بنفسي وكنت أفراحي وعرسي)^٢ وتدبروا في حكمة من قال: (ما كانت صلاتي إلا ليا)^٣

إن الإنسان في أرضكم هذه - وهي الأرض المظلمة وهي الأرض الحزينة - إنما هو في أرض الرحم وأرض الرحمة والمرحمة وأرض الاختيار والرضاء، يصوره الله فيها كيف يشاء، وهو الذي يصوركم في الأرحام في سكينه الظلام يطويكم، فتبأوا لعقولكم - وهي أصل دينكم - بالله رباطها، حتى يثر في الله فعلها سماء معانيكم، وزيت قلوبكم، وجذوة حياتكم لظلام صدوركم منيرة. أنتم سدرة المنتهى لمسماه فينمو عالمكم الصغير ليحقق ما خلق له، فيكون عالما كبيرا لرب العالمين، فيتحقق بوصف العبودية عالم وجودكم لمن عبده لنفسه، ولمن أوجده بحقه، ولمن أحياه برحمته كلمة الله لخلقه فيه.

إن (الأنا) الإنساني في الذات الإنساني يصاحب لعنوانه عليه العقل فيه، كما يصاحب النفس فيه، كما يصاحب الذات فيه. وإن لهذا (الأنا) انطلاق في معية ما صحب من الغني الجامع في وجود الأنا المجتمع في ذات البشر الآدم، ومن الذات ومعانيها لأنها يكون البدء للتواجد ويبدأ المسير والانطلاق، وإلى الذات تُنسب حركة العقل في مرتقاه، كما بمباعدتها يتحدد الاتجاه. فالسموات ما فوق هذه الذات ينطلق إليها (الأنا) العقل سابجا راشدا، والأراضين من سفلهما بتعددتها منسوبة لمعناه بتكاثر النفوس لنفسه بالنفوس في سفلهما عن هذا (الأنا) الجامع، وهو ما يسفلها بالتخلف من العوالم النفسية المعتمة، أو من العوالم الحمراء المتكبرة.

إن هذا النوع من التواجد الذي نحياه في البشرية يتكاثر فيه الإنسان بنوعه فتنتطلق ذات (الأنا) من ذاته المادية ووجوده الحيواني، متعلقة بتكاثرها فيه ملهيا تكاثرها عن انطلاقها إلى الأعلى، وركب الحياة يسير في مرتقاه فتتخلق في حركتها بما يعطي انطلاقا إلى أسفل الحياة في ركبها.

فالكائن البشري في هذه الأرض سعيد مرتق ما انطلق إلى علويات الحياة وسموات ذاته غير متثاقل إلى أرض معناه من وجوده وتكاثره. فإذا كان له في مرتقاه مزيدا من وعي ومكنة رعى بقاياها وهي على ما كان فيه من حال، فتزل ليستخلص انطلاقاته المتخلفة إلى سفله، فكان له إلى أسفله انطلاق، مستخلصا به ما انحدر منه إلى سفلى تكوينه من عالم نشأته أو من عالم بدئه.

فإذا رعى من أبعاضه من جدّد نفسه به حيث كان من عالم بدء وجوده وحياة نشأته انتشر بالنور الذي أنزل معه والذي نزل به. بالحق أنزله الله فكان طريقا مستقيما كلما ارتقت به ذات تجدد في مولد ذات، وبالحق نزل فانتشر في الناس من أبنائه بأنوار معبوده ومشهوده وموجوده من قديمه من

الرفيق الأعلى، فكان ذكر الله للعقول في سموات مرتقاه، وسفينة للنفوس في عالمها من البشرية، رسولا مخلصا لها من انحدارها أسفل ركب الحياة فكان ظلا ذي ثلاث شعب في انطلاقه.

هكذا كان محمد الله. أرسل للأسود والأحمر والأبيض فانطلق إلى عوالم الله من الإنس والجن والبشر.. رسولا لله وظلا لله فانطلق إلى العالم الأبيض من الإنس والأحمر من الجن رسولا لله وظلا لله، وانتشر في عالم البشر بنور الله، يد الله ووجه الله وحق الله ورسول الله وظل الله.. رحمة للعالمين من العوالم البيضاء والعوالم السوداء والعوالم الحمراء.

رفع ذكره، ونصر أمره، وانتشر خبره، وخلد اسمه، وتجددت ذاته، وانتشرت في الناس رحمة من الله صفاته. عبد الله وحق الله، شمس ناره مقدسة، وقر نوره لطيفا مسعدا مؤنسا، وأرض آدمه متكاثرا متعددًا متقادما متجددا. الدين في معرفته، والسلام في الدخول في سلمه، والكفر في حربه، والهلاك في خصومته، والضياع في تجاهله، والإيمان في البحث عنه، والمعرفة في لقائه، والنجاة في متابعته والإسلام في التسليم له.

ماذا عرفنا عن رسول الله إلا لفظا تلوكة الأفواه، وتردده الألسنة، وتستقبله الآذان؟ بلا قيام له يتواصى عليه، ولا لقاح منه يُعرض له، ولا بعث به يرجى من ربه.

لا يغيب بابه في قبلته ولكن من المستقبل ومن الناظر؟ سماء البشرية بمراقبها ولكن أين العارج ومن الطارق؟! حضرة الربوبية بمغانيها.. فأين العارف ومن الطالب؟! وجه العناية الإلهية.. فأين الناظر ومن الساري؟! حوض القرب لماء الحياة.. فأين الساقى ومن الوارد؟! كنوز الغنى.. فأين الفقير ومن الفاتح؟! عرفات المعرفة.. فأين الحجيج ومن الصاعد؟! بيت الطواف ومدينة الطائف.. فأين المعتمر ومن العاكف؟! مصباح الحياة لمشكاة الصدور.. فأين المنشرح ومن الشارح؟! بعث الموتى بالحياة.. فن الميت وأين الحي؟! {أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها} (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)°. وإذا انتبهوا دخلوا في الحياة.. كسبوا الحياة.. كانوا بين الأحياء.. كانوا مع من يسمونهم الموتى.

إن الدار الآخرة هي الحياة. وإن الدار الآخرة هي أقرب إلى الناس من أنفسهم ومن دنيا نيامهم. إن الدار الآخرة تطوي دنياهم وتقوم بها دنياهم من أنفسهم.. فهي أقرب إليهم من الدنيا يقومونها نياما بحياة خيالية يتوهمونها. إن الحياة الآخرة - وهي الحيوان - لأقرب إلى الناس من جبل الوريد. إنها القائمة على كل نفس، إنها الباعثة المنبعثة في كل ذات، إنها الرادة لكل نفس إلى أرض نشأتها لاستكمال رسالتها وتحقيق حقيقتها.

إن الأولى والآخرة إنما هما الزمان سجال. إنما هما على الإنسان اختلاف الأمور والأحوال. إنهما تعاقب الليل والنهار. إنهما له موسما الزرع والحصاد. يتعاقبان بلا ابتداء ويقومان في الإنسان بلا انتهاء.

إن من الناس على الأرض من هم في أخرهم، كما هم في دنياهم. فإن نفضوا ظلام نفوسهم وغبار ذواتهم عن معاني وجودهم بمعزل عن كليات الوجود، علموا ما قدمت نفس وأخرت. هم من حاسبوا أنفسهم قبل أن تفاجئهم نفوسهم بحاسبتهم. أقاموا عقولهم محاسبة، قبل أن تقوم عقولهم مجانبة، ونفوسهم محاسبة، (من نوقش الحساب فقد هلك)٦.

إن النفس تضاف إلى العقل مسودة ما سعد صاحبها، فإذا عكس الوضع وسخرت العقل لمرادها من كبريائها ومن ظلها لنفسها، ففي عكس الأوضاع ضياع صاحبها. إن العقل إذا كان سجين الذات الآن فستفنى الذات التي لها بدء والتي لها انتهاء، وسيطلق العقل ويتحرر من سجن ذاته.. فإذا سوف تكون علاقة النفس به؟ إن صاحبه في هذه الدنيا سجيناً مع سجين فإنه مفارقها غداً بريثاً من عملها وهي المدين، ومجانبها وتاركها لظلمتها وموهوم سيادتها، مثاقلة إلى الأرض تجتذبها، وتفرض عليها سلطانها، ذليلة لا تنطلق وراء العقل ولا تتحرر من فاقة الذات وسجن الأنا.

إن الذين كفروا بعقولهم.. إن الذين كفروا برههم.. إن الذين كفروا بسيدهم.. إن الذين كفروا بعقولهم من نور الله.. أعمال نفوسهم كسراب ببيعة يحسبه الظمان ماء حياة - ولا حياة فيه - إنما هو عمل مردود على صاحبه. فإذا جاءه صاحبه الظائم لم يجده شيئاً ووجد الله عنده هو وليس عند الشراب. عقله يجانبه، وعقله يخاصمه، وعقله لا يعترف بصحبته، ولا يحن إلى قديم وحدته. ذهب العقل لعالمه من النور، وذهبت النفس إلى عالمها من النار، وذهبت الذات إلى عالمها من التراب، وبقيت الأنا بعملها من الظلام.

إن للعقل نمو ومرتقي وسلوك. وإن للنفس تطور ونمو وسلوك. وإن للذات انعدام وتخلق وتصور وتطور. كل مولى إلى وجهته، فكل عامل يعمل في حدود طبائع وصفات عالمه الأصيل وشرعته. وكل قائم في حقه بحقه ما طلب الحق لنفسه، وما آمن بالله واحداً - وإن تعددت وجوهه - أحداً - وإن تعددت أسماؤه وصفاته - فتوحد فيه بأمشاجه، فتطور سمعه إلى سماعه، وهديه إلى إسماعه. وتطور بصره إلى مشاهدته، وارتقى هديه إلى إشهداده.. فتطورت صفاته، وتطورت نفسه وذاته، فكان عالماً كبيراً بذاته. وكان جمعاً عديداً بنفسه، في اسم الله وذكر الله، فكان حقاً راعياً بعقله.. وكان روحاً منطلقاً في الوجود المطلق بقدسه، يحسه ويقومه علماً عليه به.. فيه.. هو عليه ومعلومه،

وعالمه وعالمه لنفسه فيه، ولمفرداتها به، ولوحدته في أنه من الهو.. عبدا قائما لمولاه.. علما بمعناه.. رسولا لمن عناه.

هذا هو الإنسان على ما بشرنا به إنسان الله ورسوله لنكونه، في قوله (ما أعطيته فلا متي)^٧، هدانا إليه في قوله: {فاتبعوني يحببكم الله}^٨، ووعدنا الله به على لسانه ما آمنه به قائم.. ومعنا متواجد.. فسألناه عبادا له عن ربه سيدا لنا وله، فحمل إلينا قول الله في قانون رحمته وفي قانون قدرته.. إن الله يقول لكم: إنه قريب وهو لكم سميع مجيب ويعلم منكم السر وأخفى، يجب دعوتكم ما دعوتوه، ويحقق رجاءكم ما رجوتوه، ويلبي نداءكم ما طلبتموه.. فيكشف عنكم الغطاء فترونه في وحدانيته في شهود وجودكم من موجوده، وبشهود مقصودكم في معبوده.. بشهادة أن لا إله إلا الله.. وقد شهدتم أن محمدا رسول الله.. فإن شهدتم أن محمدا رسول الله أشهدكم محمد أنه لا إله إلا الله. وإن شهدتم أنه لا إله إلا الله أشهدكم الله أن محمدا رسول الله، {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان}^٩. {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله..^{١٠}.

على هذا قام الإسلام، وبه أفيض الإيمان، وبقيامه وجدت المعرفة، وبوجود المعرفة تم الخلاص.. فلا أولى ولا آخرة، ولا بشرى ولا إنذار، ولا حساب ولا عقاب، ولكنه الله وكفى، معكم أينما كنتم.

ها هي الأجيال في قديمها تصلنا وتُنطقنا لتسمع الأجيال في جديدها بنا وبأبنائنا. إن الروحية في هذا العصر تأتي بالقديم من أزله على بعده قريبا لتخاطب به الجديد في أبده على بعده حاضرا. إنها أصل الأصول للإنسان في حقيقته، وهي أصل الأصول للإنسان في خلقته. وهي أصل الأصول للأمم الكتاب تتعدد ما تعددت العقائد، وما تعددت الكتب، وما تعددت الرسائل، وما تعددت البدايات، وما تعددت الأوامر.. فهلا لبي الناس نداءها؟ وهلا أقبل الناس على ساحتها؟ وهلا دخل الناس في بيت أمانها فألبسوا سرايلها تقيهم الحر وتقيهم البرد وتقيهم بأسهم؟

إنها رحمة الله المشهورة، إنها يد الله الظاهرة، إنها قبضة الله الآخذة بالنواصي والأقدام. إنها يد الله المنبسطة بالرحمة والحياة، إنها وجه الله المشرق بالحنان والجمال، إنها نور الله للسموات والأرض أن تزولا. فهل آمنها الناس، يحون بالإيمان بها ظلام شهودهم، وظلم نفوسهم وموقوت وجودهم؟ إنهم على ما وجدوا عليه آباءهم لا يعملون عقولهم، ولا يعرضون للسعادة نفوسهم، ولا يتحررون من سجن ذواتهم، إلا من رحم. وقليل من عباد الله الشكور، وكثير منهم الكفور.. فلا حول ولا قوة إلا بالله.

نسأله برسوله أن يجعلنا من القليل من أهل شكره، وأن يقينا من الكثير من أشرار كفره. إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

اللهم أعتق رقابنا من النار. وأطلق عقولنا في سموات وجودك من أرض طاعتك. اللهم عرفنا إلى المثل الأعلى في السموات والأرض من كلماتك. اللهم اجمعنا على المثل الأعلى في الأرض وفي السموات من روح قدسك. اللهم خذ بيدنا في مستقيم طريقك. اللهم قنا شرور أنفسنا وشرور الأشرار من خلقك. اللهم لا تحكم فينا ذواتنا ونفوسنا وشهواتنا. اللهم اغفر لنا وتب علينا. اللهم برحمتك برسولك فارحنا وبنور شهودك به فأشهدنا. اللهم إليك فانسبنا عبادا لك. اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائك في دنيا، ويوم لقائك في آخرنا، ويوم لقائك في معاننا. اللهم ولِ أمورنا خيارنا ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا.

اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا والسلم والسلام على أرضنا. اللهم آمنا في نفوسنا وفي جمعنا وفي أرضنا. لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

أضواء على الطريق

(إن جسمك ليس أنت. إنك روح خالدة. إنه لشيء ضروري أن يكون لكم مذكرون دائمون بأنكم مخلوقات روحانية وليست فيزيقية. أنتم الذين تعودتم القيام بأعمالكم الفيزيقية اللازمة لكانكم المادي، يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة ودقيقة بعد دقيقة، تميلون لنسيان أن الفيزيقي ما هو إلا القشرة الخارجية. إنه ليس الحقيقة الداخلية. فالفيزيقي ليس سوى الثياب التي يلبسها الإنسان، هو الوسيلة التي يعبر بها عن نفسه في عالم المادة. إن جسمك ليس أنت إنك روح خالدة، جزء من القوة الحيوية التي تقبض على العالم كله، جزء من القوة التي شكلت النظام الشمسي كله، والتي تتحكم في المد والجزر، والتي تنظم الدورة الخالدة للفصول، التي تنظم كل نمو وتطور، التي تساعد الشمس لتشرق، والنجوم لتتألأ. أنت خالد كالروح العظيم تماما، لأن ما تملكه أنت تملكه تلك القدرة، إنها نفس الصفة من حيث المنبع، وإن اختلفت من حيث الدرجة. لكنها هي نفسها من حيث الأساس. وهي تجاوز كل الاحتمالات المادية، تجاوز كل الحدود الفيزيقية. إنها أعظم من أي شيء نتصوره).

من هدي السيد الروح المرشد سلفربرش

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة النساء - ١١٧
- ٢ من أبيات لحي الدين بن عربي "نكحت نفسي بنفسي ... وكنتُ بعلي وعربي".

- ٣ مقولة صوفية لم نستدل على مصدرها لكن معناها مفهوم في السياق.
- ٤ سورة الأنعام - ١٢٢
- ٥ "النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا". قول للإمام عليّ كرم الله وجهه. المحدث: السيوطي. المصدر: الدرر المنتثرة.
- ٦ حديث شريف عن عائشة أم المؤمنين: "لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} قَالَ: ذَاكَ الْعَرَضُ يُعْرَضُونَ وَمَنْ نُقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ. صحيح البخاري.
- ٧ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٨ سورة آل عمران - ٣١
- ٩ سورة البقرة - ١٨٦
- ١٠ سورة الحديد - ٢٨

(١٢)

معبودك وموجودك

حديث الجمعة

٢ جمادى الآخرة ١٣٨١ هـ - ١٠ نوفمبر ١٩٦١ م

باسم الأكبر: باسم الأدنى: باسم الإنسان: باسم الوجود تجلى بالإنسان للإنسان علمه البيان.. في أمشاج ابتلاه وبرحمته اصطفاه، جمعه وسمعه فأسمعه فجعله له سميعا، وبصره فأبصره فجعله عينا بصيرا. {فلينظر الإنسان مما خلق}١، فليؤمن الإنسان أن خالقه غير متوقف في تطويره في خلقه، وأنه لن يتركه عبثا - لأنه لم يخلقه عبثا - وقد أوجده لنفسه إليه يتعارف وبه يتعارف. فلينظر الإنسان في نفسه، ولينظر الإنسان فيما حوله، فلينظر في فطرة الله ولينظر في صبغة الله.. صبغة الله فيه وصبغة الله في الكون الذي يحتويه ولا يحتويه.. يحتويه ما بقيت أنانيته مع مادته، ولا يحتويه إذا انتقلت أنانيته من مادته إلى روحه. فالإنسان بروحه لا يحتويه الكون، والإنسان بمادته يطويه الكون، وانتقال الإنسان بأنانيته من مادته إلى روحه بهويتها، إنما هو أمر ميسر له، ويسير فيه ما قبله عقله، وخضعت له نفسه فانطلقت به روحه.

إن حديث الإنسان للإنسان يصدر من مصادره في أنانيته من أمر نفسه أو من أمر عقله أو من أمر روحه، ويستمع إليه الإنسان بأذن نفسه أو بأذن عقله أو بأذن روحه. فإذا تلاقى المتحدث والسامع بمصادر الحديث من الروح، اجتمعت الروح بالروح، ومن العقل اجتمع العقل بالعقل، ومن النفس اجتمعت النفس بالنفس. فإن اختلف المصدر عند المتحدث والسامع لم ينتج الحديث بينهما أثره. وربما أساء إلى ما كان بين المتحدثين قبل الحديث.

أما الذوات فإنها لبنات من مادة تتراس أو تتناثر، تنتظم أو لا تنتظم، تجمع أو تفرق، ترتفع لبنة فوق لبنة أو تنبسط لبنة بجوار لبنة.. لا إرادة لها، ولا فعل لها، ولا حكمة عندها، ولا إدراك لوضعها، ولا قيام بكونها.. فهي لا حياة لها، ولا تدبير لها وإن أظهرت بمظهرها فعل النفوس متآلفة أو متنافرة، والعقول مؤتلفة أو مختلفة، والأرواح متوحدة أو متباعدة.

إنكم في هذه الدار من الأرض من عوالم الله ومن عوالم الروح.. تبدأون الوجود وتبدأون الحياة وتبدأون الانفعال بالتواجد، ما تجمعتم مؤتلفين متوحدين متراصين لبنات لغرف، وغرفا لبيوت، وبيوتا لبلد، وبلادا لوطن، ووطنا لأمة، وأما لبشرية، وبشریات لإنسانية. تُرفعون وتولجون طبقا فوق طبق وطبقا تحت طبق.. كتبت لكم الغلبة ما اتقيتم الله، ووعدتم بالنصرة ما آمنتم بالله، وكسبتم الحياة ما بعثتم بها روحا في جماد أرضها من ذواتكم شجرة طيبة، تزرعونها بدفن أنفسكم وتصعيد عقولكم وتحرير أرواحكم.. والامتداد بنفوسكم في أرضها جذورا لشجرتها، والارتفاع بعقولكم سموات لأرضها.. حتى يجتمع غيبها من الأرض وغيبها من السماء بشهادتها بعثا بحقها وخلاصا من وصف خلقها، توحيدا من شتاتها، وقد جمع قانون الخالق أمشاجها، وأوثق روابطها وقد طهرها من خبثها وأبقاها بجوهرها، فتجمعت جواهرها في وحدة من رتق، وتخلصت من خبائثها في فرقة من فتق، فقام الإنسان قياما للرحمن. علمه البيان فتجلى بالشمس عليه دليل، وبالقمر عليه وكيل، وبالأرض من سكينته ومظاهر حسابه وقدرته. جعل منها مسجد طوافه وكروسي اعترافه.

هذا ما جاءكم به البلاغ مع كل حامل لبلاغ.

وهذا ما جاءكم به الرسل مع كل قائم بهدي.

وهذا ما جاءكم به الأئمة مع كل قائم بحقيقة.

وهذا ما يأتيكم به عالم الروح في هذا العصر جماعا لذلك كله وبيانا له، وتحقيقا لما جاء به البلاغ والرسل، وقياما للإنسان متحررا من عوالم الأبدان، وظاهرا للأبدان بالأبدان في عيان سلطانه، في نظام منسق وفي أمر موفق، وفي قرب أقرب للناس فيهم من أنفسهم.. أقرب لهم من عقولهم، أقرب لهم من قلوبهم، أقرب لهم من ذواتهم، أقرب لهم من معانيهم.. إنه قيام الحق منهم، وقيام الحق لهم، وقيام الحق بهم، وقيام الحق فيهم.. إنه ما قبل البداية للدين وأهله، وإنه ما بعد النهاية لليقين وأهله.. إنه أمر الله.. إنه وجه الله.. إنه يد الله.. إنه نور الله.. إنه روح الله.. إنه قدرة الله.. إنه عين الله.

الإنسان ما بين مادة وروح، ما بين مادة تزول وتتعطل وترجع إلى أهلها من العدم ومن الهمود، وروح لا تحي ولا تتعطل ولا يتوقف لها نمو، ولا تجز لها حياة، ولا يمنع عنها رجاء. إنه في هذه الدار في هذه الأرض.. كامل الاختيار محجوب عن إدراك الاضطراب، كائن مختار له أن يختار بين مادته وروحه. فإن اختار روحه فقد اختار الحياة، وإن اختار مادته فقد اختار العدم. فإن اختار

روحه لأناه واختار مادته لروحه فقد أحسن القيام حيث هو قائم في كل حياة، وأحسن السلوك حيث هو سائر في أي طريق، وأحسن اختيار الهدف حيث هو هادف إلى كل فضيلة.

من طلب الله على ما يليق بطلبه وجدته في بيته منه. ومن غفل عن ذكر الله في مذكور قيامه بيتا له فإن الله غني عن العالمين. إن من أراد الله معه لا يفارقه أبدا، فارق نفسه وعقله وروحه ومعناه إلى معية مولاه فأصبحت نفسه ملكا لله وقد حلت بيده، وعقله نورا لله رجع إلى بحار أنواره، وروحه أمرا لله من حضرة أمره، وذاته عالما لله في واسع وجوده، ومعناه ذكرا لله بين وجوه ذكره، وأناه اسما في حضرة أسمائه.

هذا ما يجب أن نَعْلَمَه إذا قلنا وحدانية الله، وإذا نطقنا بشهادة أن لا إله إلا الله، راجين بنطقها أن يقوم بنا نورها وتدخل حصنها وحققها فنشهد ما نطق به، وننطق ما نشهد به، فنَعْرِف ونُعرف ما نقومه ونشهده من حقها.. في وحدانية الله وفي وحدانية خلقه، بوحدانية غيبه، غيبه غيبهم وشهادته شهادتهم، بوحدانية العبد في وحدانية ربه معه.

إن العبودية والربوبية مصراعا باب واحد يفتح على روضة الحقيقة. ليس ربا من لم يكن عبدا لحقه. وليس عبدا من لم يكن ربا بإيمانه ويقينه ووحدانيته في توحيده. إن الربوبية والعبودية وصفان في إنسان الله، الإنسان الواحد، فهو رب لما خلق من مثقال ذرة من عمل من خير أو شر، وهو في ربه بدوره مثقال حبة من خردل من خلقه. إنه فيه على عين ما عمله هو فيه.

لا تبعدوا وصف الرب عن أنفسكم. ولا تزعموا وصف العبد لأنفسكم. إن وصف العبد لكم بعيد عنكم ما لم تتجمعوا على ربكم، فيكون لكم رب تعرفونه ويعرفكم، تشهدونه ويشهدكم وتقومونه ويقومكم.. وإلا فلستم بمعاني العباد، ولا وصف بالعبد لكم، ولكن وصف الرب لكم هو أقرب إليكم، وأنتم أغنى به من وصف العبد لكم.

إنكم تعملون وتحبون وتفكرون وتدبرون وتنشئون وتهذبون وتمكرون، وتعقلون وتجهلون وتفعلون وتخذلون.. بذواتكم وما حوت وما عليه انطوت من حياة وعقل وقلب وقالب وطاقات. فأنتم عوالم معانيكم، وأنتم أرباب مغانيكم. فإن أحسنتم ربوبيتكم على ما عليه سلطتم، وعلى ما عليه قتم، وعلى ما عليه فعلتم ومنكم أوجدتم، {والله خلقكم وما تعملون}، تهياتم لوصف العبودية لله، وقد نظرتم الله فنظرتكم لله، وداناكم الله فقاربتم الله، فبدأت معاني العبودية تتواجد لكم، وتتخلق فيكم باختياره لكم كائنات لها رب اصطفاها لمعاني نفسه.

إنكم أرباب معبودون من عملكم، ولكنكم لا تحسنون أن تكونوا عبادا من عمل ربهم، متصلين عابدين لربهم، يعرفونه ولا يجهلونهم، ويواجهونه لا يظاهرونهم، ويظهرونه لا يخاصمونهم.

فإذا رجعتم إلى دينكم وإلى بيتكم وإلى أنفسكم فتعلمتم مما علمكم، وتذكرتم مما به ذكركم، وقاربتم الله الذي بعباده وبرسله قاربكم، وبكتبه وآياته في الآفاق وفي أنفسكم تحدث إليكم، ومن ضمائكم استمع لكم، ومن طواياكم أجابكم، ومن نواياكم عاملكم، ومن معانيكم تواجدكم.. الشر والخير منه، الفتنة والجزاء منه، والعطاء والبلاء منه، والرحمة والقهر منه، والشدة والرجاء منه، والبعد والقرب منه، والظاهر والباطن منه، والمادة والروح منه، والشيطان والرحمن منه، وإبليس وآدم منه، والجن والإنس منه، والعباد والملائكة منه... لا إله إلا هو.. لا موجود سواه.. ولا وجود لغيره.. يدركه المدركون فيحيون به، ويغفل عن ذكره الغافلون فيموتون عنه.

هو الذي يميت ويحيي.. يميت من حياة موقوتة به ويحيي من موت دائم فيه. يميت من الحياة بغيره ويحيي من الموت فيه. ومن أحياء منه فلا موت له ومن أمات فيه فلا قطيعة له. لا انفصال لمن حيا به ولا موت لمن مات فيه. إنه الوجود على سعته - ولا حد له - إنه الواسع على قربته - ولا حصر له - إنه القريب على تعاليه - ولا تعدد معه - إنه البعيد على تواجده - ولا إحاطة به - إنه القائم على كل نفس أقرب إليها من حبل الوريد. الناس وجوهه من وراء كل نفس محيط. وحدانيته في إغفال وجودك لقيام وجوده، وفي تجاهل شهودك لبعث شهوده. أنت فيه شاهده ومشهوده، موجد وموجوده..

هذه هي شهادة أن لا إله إلا الله. لا تستكملها ولا تقومها ولا تسعدها ولا تدخلها إلا من باب إنسانه، وساحة إحسانه، وحوض رحمته، وهيكل حقه، وموجود طلعتة، وظاهر أمره، ومقارب سره، وقائم فعله.. عبده ورسوله.. في كل محمد له وفي كل محمد منه، وفي كل محمود به، وفي كل حامد لذكره، وفي كل أحمد من حمده، بشهادة رسول الله في ذات محمد الذي عرف.. ذاتا لا يتوقف تجددها ولا يتحدد تعددها، ولا يدرك بدوها، ولا ييأس من تواجدتها، ولا يخشى انتهاءها، فلا يَبتر عديدها، بل يتكاثر كوثرها بالمدثر من جوهرها، المتجدد في ليلها ونهارها في كلمات الله تمت، وفي كلمات الله تامة، وفي كلمات الله تتم، وفي كلمات الله تبدأ، وفي كلمات الله تصعد، وفي كلمات الله توضع، وفي قيام كلمات الله قيامة الله، وحصنا لله وخلاصا لخلق الله، في شهادة أن محمدا رسول الله.

إن الدين الذي قام على الشهادتين لله ورسوله، والذي ظهر وتجدد بالأمرين من العبد وربّه، فعرف بالمحمدين من ظاهر وباطن، وصعد في العليين من كامل وأكمل، ودانى في الحسنين من حسن

وأحسن، ودام للرضيين من صاحب ومتابع.. قاما في رضوان الله لهما وعنهما رضي الله عنهم ورضوا عنه.. قاما في الرضاءين.. قاما في رضا الله عن عبادته وفي رضا العباد عن ربهم من رائد ومريده. أولئك هم القيمة لدين القيمة.

دين حفظه الله ووعد بدوام حفظه.. دين جعله الله لخلقه ما تواجد له في الكون خلق.. دين رضي به الله لعوالمه ما انشق الوجود بعوالمه، وما انشقت العوالم بعالمه وكتاب معلومه، وما انشق الإنسان عن حبه من نفسه فانشقت الأمهات عن الأوامد والأبناء، وبعث الأجداد في ثياب الأحفاد فقامت الكلمات بالحقائق، ثم قام منها ما قامت منه من الخلائق دوايك بلا بدء وبلا انتهاء أمر يقوم في تجدد الجنس برجال تقوم بهم الحكمة، ويتجدد بهم الدين.. ما تجدد الخلق، وما قام بالله اليقين.

هذا هو الإسلام دين الفطرة ودين القيمة. وهذا هو الإسلام دين الروح وعوالمه. وهذا هو الإسلام جاء به الروح قديما. وهذا هو الإسلام يأتي به الروح حديثا. وهذا هو الإسلام يقوم به الروح. وهذا هو الإسلام تقوم به الحياة في قانون الحياة. صدق رسول الله وهو في السماء روحه وأمينه. وصدق رسول الله وهو في الأرض عبده وإنسانه، وخل ذاته ورفيق صفاته، وكتاب معناه ووجه غيبه، وطلعة حقه وظاهر أمره، وحوض رحمته وباب حضرته وحجاب عزته.

هذا ما يجب أن نعلمه عن الدين، وهذا ما يجب أن نؤمنه عن الدين بالدين.. إن أردنا أن يكون لنا في الله دين، فنعلم أن وجودنا لله ومنه فرددنا الدين للدائن برد وجودنا لخالقه - وقد خلقنا لنفسه - فنرد معانينا لبارئها في معناه، ونزد أرواحنا لروح الله في معناه، وعقولنا لنور الله في مجلاه، ونفوسنا لنار الله في قدسها، وذواتنا لعوالم الله في وجوده. إذا رددنا الأمر إليه وعرفنا فيه معنى لعظيم معناه، وعبادا لقريب مجلاه، وعوالم لواسع وجوده، كما على دينه.. كما في دين. وإن غفلنا عن ذلك فلسنا في وجوده المتواجد بنا. وإن غفلنا وأغفلنا عنه كما شياطين الإنس والجن.. كفرنا بمعنا، وكفرنا بقيام مولانا، كفرنا وصددنا عن سبيل الله فأضل أعمالنا. أما إذا آمننا بما أنزل على محمد وهو الحق من ربنا.. من تاب.. تاب الله عليه.. أنسى الحفظة ذنوبه وغير معالم أرضه. من آمن بما أنزل على محمد وعلم أنه الحق من ربه، كفر عنه سيئاته وأصلح باله.. لا دينونة عليه ما داني محمدا، ولا سؤال له ما أضاف نفسه إلى محمد، فهو وسيلته المشروعة وشفيعه المرتضى ورحمة الله المهداة.

فهلا آمننا بمحمد فتلاقينا مع رب محمد في محمد، وفي ساحة محمد، وفي حضرة محمد، وفي هيكل محمد، وفي بيت محمد، وفي نور محمد، وفي روح محمد، وفي نفس محمد، وفي ذات محمد، ما اجتمعنا على محمد في أنفسنا فكاه، وشهدنا ما شهدنا بمعناه؟!

اللهم إنا نسألك أن نشهد أن محمداً رسول الله فنشهد أنه لا إله إلا الله. فنشهد أنه لا إله إلا أنت. فنشهد أنك الأكبر وأتينا فيك منك معنى عبوديتك عباداً لك لا نعبد إلا إياك ولا نعرف سواك، ولا قهر علينا إلا منك، ولا رضاء عندنا إلا عنك. لا إله غيرك ولا معبود سواك.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة. اللهم كما لنا وكنا فيك، واغفر لنا ذنوبنا وشعورنا لوجودنا، واغفر لنا ما أسأنا وما أخطأنا وما نسينا. اللهم كن لنا في الصغير والكبير من شأننا. اللهم إنا لا نعبد إلا إياك أقرب إلينا من حبل الوريد قائماً على كل نفس منا. اللهم فألف بين قلوبنا وبين جمعنا، وألف بين وحدتنا، وهبنا أمرنا، وأقم فيك ذكرنا، وأقم بنا ذكرك.

اللهم ولِ أمورنا خيارنا ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا، وخذ بيدنا وانصرنا على أنفسنا حكماً ومحكوماً، رواداً ومرودين، أئمة ومأمومين. اللهم برحمتك فارحمنا يا أرحم الراحمين.

أضواء على الطريق

(حاولت أن أظهر نفسي كصديقكم وحارسكم ومرشدكم، وأردتكم أن تشعروا بقربي منكم، وأنه مهما كان لي من صفات فإنها لا تمنعني من متعة الاتصال الشخصي بكم، وأن أكون مهتماً بمشاكلكم وأزماتكم، ومستعداً لإعطائكم المساعدة الشخصية والإرشاد إن استطعت.

تذكروا أنني لست معلماً فقط أحاول أن أعلمكم الحقائق الأبدية وأكشف عن قوة الروح، فأنا أيضاً صديق لكل واحد منكم لأنني أحبكم حباً جماً، وأكافح دائماً لمساعدتكم بكل ما لدي من قوة واقتدار. تعالوا إلى دائماً بمصاعبكم مهما كانت. إذا كان في استطاعتي مساعدتكم فسوف أفعل. وإذا لم يكن فإني سأكافح لأمنحكم القوة لتحملوا أي هم قدر عليكم حمله).

من هدي الروح المرشد السيد سلفر برش

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة الطارق - ٥
- ٢ سورة الصافات - ٩٦

(١٣)

أين لنستقبلهم؟ ومن لنستقيمهم؟ رجال

قبلة وعيون

حديث الجمعة

٦ جمادى الآخرة ١٣٨٠ هـ - ٢٥ نوفمبر ١٩٦٠ م

إلى من هو معنا.. والذي فيه يفرقنا وبه يجمعنا. إليه معنا نتوجه، وقبلته فينا نستقبل، وبه روحنا نؤمن، وفيه قيامنا نقوم، وعليه بنا نتوكل، وبه حقنا نستعين.

لا وجود لغيره. ولا سلطان لسواه. ولا موجود لغيره. ولا سلطان إلا سلطانه.. كتب على نفسه الرحمة، وكتب لنفسه ومن به الغلبة، وأعلم لنفسه السلطان، وبشر من آمن به ووحدّه بأزليته وعزته {أعطى كل شيء خلقه ثم هدى}¹، {قدّر فهدى}².

تعثر الناس في عصر رسول السلام ومن قبله ممن به بشروا، حتى أقالهم ربه به من عثرتهم وأقامهم من كبوتهم فأسلموا لرسوله ربا لهم فأعطاهم كفلين من رحمته، من خير الدنيا ومن خير الدين. فساروا في طريقهم خطوات ما طالت، ونهجوا السبيل فترة ما دامت، وحياتهم فيه ما أدركوها فقامت، وحجة الله على أنفسهم بأيديهم أقاموها فدانت، وما لبثوا إلا قليلا حتى التوت نفوسهم فاعوج سلوكهم، وخفيت مصابيح الحق أمام نواظرهم، فحق القول عليهم فعادوا إلى هوتهم، ونمت وتكاثرت غفلتهم، ظلمة بعد ظلمة، وعثرة بعد عثرة، وكبوة بعد كبوة، حتى عاد الإسلام غريبا كما بدأ. وجدد المسلمون جاهليتهم، وتمادوا فيما كان عليه آبائهم. اتخذوا الكتاب ما مسهم ولا لمسوه، وتمسكوا بحمد لفظا تلوكه ألسنتهم ما قامهم وما أدركوه.

حار العقلاء منهم في علة ما انتابهم وانتاب جمعهم فأفسد أمرهم، وفرق وحدتهم، وفرط سلطانهم. وما زال العلماء من بينهم في حيرة من أمر جمعهم. وما زالت أحوالهم في برزخ السماء أو في حياة

الروح على ما كانت في حياة الأرض. بعثوا على ما كانوا عليه من وعي وفهم وحيرة، وما زالوا في حيرتهم، وما زالوا متعثرين في كبوتهم.

توالدوا وتناسلوا.. انتشروا وبعثوا من روح عودا لشهادة على حال جمودهم ونحولهم. فبعثوا بكتبهم في أيمانهم وشمائلهم على ما هم عليه في مخرجهم عادوا فعادوا إلى ما نُهوا عنه - إلا من رحم وما أقلهم - لا في مصاحبة استيقظوا، ولا بآية في أنفسهم أو في الآفاق اتعظوا، ولا لعود بتواجد في الأرض تنبهوا.. إنهم يسيرون في ناموس تواجدهم وقد جهلوا أو تجاهلوا في رسولهم الناموس، وقد أشهدوا في كتابه كتاب الناموس.. فما في أنفسهم لكتاب أقاموا، ولا بامتداد نور رسولهم في أنفسهم لأنفسهم استعدوا وتنبأوا فقاموا. فبعثت أرواح الصادقين من الكلابيين والفطريين في أمته مؤمنة سعيدة في الأرض بطلعته.

إن رسالة الرسل - وليس محمد بدعا منهم وإن كان بيته لهم جماع - وكتب الله مع رسله - وليس كتابه معه بدعا بين هذه الكتب وإن كان كتاب صدره لحكمتها جماع - إنما هو أمر يقوم ويقر في الصدور إذا استعدت له العقول. تحيا به النفس، ويتواجد مبعوثا به القلب، ويشرق به العقل، فيتحول من عاقل ومعقول إلى وعي يقوم، يقود نفس الجوارح بحركاتها، ويقود قلب القلب لقيوم حقه، ويقود الجوارح لحي صفاتها باستقامتها، ويقود الذات إلى أطوارها في خلقها وخلقتها، تغيب عن حال ومثال لتبعث في حال ومثال، فتتطور النفس في قيامها ومعناها بلا غيبة عنها، وبلا فقدان لإناء أناسها.. تتكاثر في نفسها، وتتواجد بنفسها، وتتبع بعض بفرقها بقدرتها على فرق نفسها، وتتجمع بوحدانيتها لها بما أودع الله فيها من قدرته على التواجد بأحدثه في ظاهر من أمره بها.

إن هذا ما جاء به رسول الله محمد عليه الصلوات، وما حمله كتاب الله معه بقرآنه جماع آيات. أقرأه ما أقرأه، وأنساه ما أنساه، وأماته وبعثه، وأفناه وجدده، أعدمه وخلقته، أزله وأبداه فأحياه وعبداه، وبالحياة سرمدته، وبالحياة في النفوس قبره، ومن مقابر النفوس بالحياة نشره فبالحياة خلقه، وبالحياة رفعه، وبالحياة في الناس كثره وجدده، وبالحياة في جماع الجنس وعده.. رحمة للعالمين وقياما للساجدين وحقا للعابدين.

إن الحق البسيط في أن يعرف الخلق شئيته ويميز كينونته، فيؤمن أنه بشيئته إلى دوام فكائن أو إلى عدم ففان. إن وصفه بالشيء لا يعطيه صفة الدوام، ولا يضمن له دوام الكينونة، ولكنه وهو شيء فليشأ ما يشاء، وليكن ما يريد. إن الشيء من المشيئة وهو جهاز عملها.

إن الله {أعطى كل شيء خلقه ثم هدى}³، {فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر}⁴، فإن شاء الشيء خلق نفسه، فليخلق نفسه بأمانة الحق الخالق معه وسيجد ما عمل حاضرا.. وإن لم يشأ خلق نفسه بأمانة وجوده باسم ربه، فقد خسر الدنيا والآخرة.. قد ضيع الفرصة.. قد فقد حظ الحياة في مجال نشأتها. لقد قصف قلم القدرة فيه وحطم ألواح القضاء له.. إنه ضيع كتابه.. إنه نسي إياه.. إنه غاب عن الحي القيوم فيه - أقرب إليه من حبل الوريد.. لقد ظلم نفسه.

إن هذا الحق البسيط من أن الكائن البشري بالوصف الإنساني إنما هو كائن في حدود وجوده، مختار في حدود إدراكه، مقدر في حدود طاقته، ومحاسب على فعله بسعته في حدوده، وهو في الوقت نفسه أمام حقيقته من ضميره ومن إدراكه ومن وعيه. إنه هو الحاسب على نفسه، وهو الرقيب على فعله، وهو القيوم على حياته. إنه يسطر كتاب نفسه في قابل حياته كما سطر في سابق بعمله كتاب نفسه فيما يدرك اليوم من حياته. (كل ميسر لما خلق له)⁵، لقد خرج من تدبير الغريزة إلى تدبير الوعي. لقد خرج من الشئئية إلى المشيئة.

إنه شيء يأمل أن يكون كائنا وأن تكون له في الله كينونة.. يأمل أن يكون له بكينونته في هذا الكون كونا أو في هذا الوجود وجودا بكينونة لا تقبل العدم، وتقبل للمزيد لتقوم بالحرية خالصة لا شريك له عليها.. يطلب الانطلاق في الموجود الحر المنطلق في قانون التطور، نامية نفسه نموا غير مجذوذ بعطاء غير ممنون. إن الله لا يظلم الناس أشياءهم، ولا العوالم حقهم، ولا الوجود حريته، وما هو لهم بظلام، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون. إن الله معهم على ما يريدون، معيتهم على ما يستعينون، موجدتهم على ما يتواجدون، مصاحبهم في أي طريق يسرون.. إنه معهم إذ يصعدون، وإنه معهم إذ يهون، وإنه معهم إذ ينتشرون، وإنه لهم على ما يطلبون ويحبون.

إن الله معهم.. وليس فيهم ولكنهم فيه. وإن لم يكن فيهم فليس فيهم غيره. إن الذي هو فيهم منه إنما هو ربهم منهم به.. {واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة}⁶، فإن قامت لك به في كينونتك علاقة فقد عرفت فالزم الدرب، وسر في الصلة، واستزد من الحياة، فستزداد به بنفسك صلة لتستقيم إلى قبلتك فيك صلاتك، وسوف تستزيد في توثقها به صلاتك، {واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول}⁷. لا تصارح. لا تماري. لا تبج. لا تكتم. لا تبذل في سفور، بل دون الجهر من القول.. تحدث بإشارة ولا تنطق بعبارة، ولا تكن من الغافلين.. فإن لحظة من لحات الغفلة تدخلك في الهاوين وتقطعك عن المتصلين.

أذكر ربك في نفسك، وما ربك في نفسك إلا المثل الأعلى علما عليه ووجها له أحيا فأبقى، ممن ارتضيت، وإليه تعارفت، يُعرف لك فيك بمدخلك فيه.

إن المثل الأعلى لله في السموات والأرض ليس إلا عبدا لله. وإن قيومية الناس على الناس بالله ليست إلا لرسول منهم وعباد من بينهم، يؤمنون بهم قوادا لهم، وهداة لمسارهم وسُراهم في سيرهم، مفاتيح لكنوز قلوبهم، ومصاييح لظلام نفوسهم. إنهم أحياء الصراط والعلم للمنشود من الحي القيوم المميت بالقطيعة، المحيي بالصلة، الذي هو معهم بعباده من حقائقه من هم غيبهم ومرجو معانهم، من هم وجوه رب شهادتهم وإله غيبهم، شهيدهم ومشاهدهم.

إن الساري مع قائدته إلى الله - والله معهما: يسمع ويرى ويتولى - يَكُونُونَ كيانا واحدا أو كائنا واحدا هو عبد الله. هو إنسان الله. هو الكائن الحي القابل لدوام الحياة. الخارج من الشيئية. الناجي من الفناء، بخروجه من شيئيته إلى قيام كينونته بمشيئة ربه.

إن الله ورسوله يقومان على كل نفس طلبت الله، وآمنت برسول الله، ولم تفرق بينها وبين ما يقوم عليها من الله، ولكنها تؤمن بحقيها في قيامها فيما يقوم عليها من الله، مُنزَهِة في حقيتها ما يقوم عليها من الحق عن الانحصار فيها والتقييد في قيود وجودها ومعانيها. فما يقوم عليها من الحق إنما هو كلها وليس فيها غيره مما سواه.. ولكنها وإن كانت كلها منه فليست هي كله لها. إنه أكبر من قيامها، وأوسع من رحابها، وأطلق من حريتها - مهما تحررت - . فإذا ما أدركت ووحدت وتأملت فإنه بكليتها أقيد من قيودها، وأصغر من صغرها، وأسكن من سكونها، وأضعف من ضعفها في قيامها فيها، وفيما يقوم بها. إنه كل صغير وكبير لها. إنه فيها بها يفرقها وبه يجمعها. فإن فرقها فشتها، فأشهدتها فعرفت وأدركت، فاستيقظت من منامها، وبعثت من موتها، ونشطت في قيامها، وانتشرت بحقيها في أبعادها، عرفت معانها في وحدتها وأشتاتها من معناه، ومبناها من مبناه، وقيامها من قيامه، علما عليه ووجها له يشهد، ووجها له لنفسها تشهد. خرجت من كل من عليها فان وبقيت بالجلال والإكرام في {ويبقى وجه ربك} ^٨. أليس هو من ورائهم محيط؟ أليس هو أقرب إليهم من حبل الوريد؟ أليس هو معهم أينما كانوا؟ إنهم قد كسبوه فصاروا له وجوه، ما هي إلا وجه الرسول، هو الذي فيهم يراه حين يقوم وتقلبه في الساجدين تكاثره وخلوده. صاروا له وجوه عنت لوجهه الجامع لهم، الأكبر من أكبرهم. {وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما} ^٩.

إن العبودية والربوبية وصفان للكينونة الإنسانية تجمعهما وتفرقهما، وتتجلى بهما وتتجلى بأحدهما. إن من كان لعبد لله عبدا كان لنفسه ربا، ومن كان لنفسه ربا كان لربه حبيبا وخلا، ومن كان لربه حبيبا وخلا كان للرفيق الأعلى عبدا ووجها كان لله اسما وذكرًا. فما عبودية العبد - إن قامت - إلا وجه الربوبية لعبد هو الرفيق الأعلى.. الله يجمعهما، لا يتخذ بعضهما بعضا ربا من دونه.

إن العبدان.. إن الخليلان.. إن الحبيبان.. إن المتوحدان كلاهما لأخيه عبد، وكلاهما لأخيه رب، وكلاهما لأخيه عين، فلا عبد ولا رب ولا رب ولا عبد، ولكنها إذ يعملان في الناس ويعملان للناس ولخدمة الناس ولهدى الناس، مرضاة منهما بثالث هو هما وجوها له، هو رب الناس ملك الناس إله الناس، رفيقا أعلى لهما، ورفيقا أدنى للناس منهما، فيه يجتمعان وبه يعملان، وفيه يقومان وبقيامه يقدران ويخدمان. {وخلقناكم أزواجا} ١٠.

إنه ثالثهما ووحدتهما. به يكتمل عقدهما، وبهم يكتمل عقده في حقه وحقهما. إنهما عبدان وثالثهما عباد للرحمن، وأمينهم من عالم الحيوان آدمهم. إنهم بوحدانيتهم في الله مدركا في روعهم لذواتهم ومعانيهم، في فرقهم وجمعهم، في وحدتهم وتعددتهم يدركونه ويقومونه، يؤمنون به ويستعينونه. يعلمون عنه ويعلمونه.

إنهم المعلمون، المتعلمون، إنهم الحقائق المتكاثرون، إنهم العلماء المبتدئون وفي بدئهم لا ينتهون، إنهم الموحدون الذين هم في توحيدهم لا يتوقفون، إنهم المقربون الذين هم عن إدراك البعد لا ينقطعون، إنهم الحكماء، إنهم الأغنياء الفقراء، إنهم الأتقياء الشفعاء، إنهم الحقائق إنهم جماع الخلائق، إنهم العباد للإطلاق، إنهم الأرباب للتقييد.. إنهم الآلهة الأقرب.. إنهم حقائق الله.. إنهم أقباس نور الله.. إنهم وجوه الله.

إن أشرف أسمائهم وأحب أوصافهم وأوضح معانيهم عباد الله.. يدبون على الأرض كما يمشون على السموات، لا يعرفون الأرض إلا سماء ولا يعرفون السماء إلا أرضا.. يجتمعون ويتعاونون.. لا تفرقهم الأماكن - وإن تباعدت -، ولا تفرقهم السموات ولا الأرض على ما بينهما، ولا تفرقهم الأزمان على امتدادها دهورا وآبادا وأزالا.. سقطت من أوصافهم بينهم الأسماء والأوطان واللغات. إنهم أهل الرشاد. إنهم من عبدوا أنفسهم وذواتهم، ومعانيهم، وحقائقتهم، وعقولهم، ووعيمهم، وسكونهم، وفعلهم لله. عبدوا كل ما هو لهم من الله لله. ذكر في بيوتهم الله، ظهر بهم الله فكانوا عبادا لله.

إن العبودية لله مع رسول الله هي قضية الإنسان الكبرى. إن طلب العبودية لله إنما هو طلب حقائق الله في الناس، لنفسها بالناس. إن حقائق الله في الناس وهي تقوم بأبعاد كلياتها، إنما تنشد العبودية للناس نفسا كبيرة لها لتقوم في الله بكلياتها عبادا لله.

إن الله بحقائقه في الناس من أقباس نوره بصفاته، إنما يطلب نفسه لنفسه بطلب الأبعاد لكلياتها.. بطلب الحقائق لجامعها وجماعها في معراج لا نهاية له، ولا جز له، ولا انقطاع له، ولا بداية له.

هذا جاء به رسول الله. هذا جاء به محمد. هذا جاء به من عرفناه بحمد وعرفناه برسول الله. وما هو في الحق إلا عبد الله.. عبد الله الذي اعتز به ربه فأضافه إلى نفسه عبدا له. {الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له [لعبده] عوجا}، وجعله ديناً {قيماً}، وجعله كتاباً جامعاً لصحائفه من الناس. جعله أم كتاب عنده لكتب الشهداء على الناس، يأخذونها بأيمانهم ويقولون للناس رسلاً من الحقيقة هاؤم اقرأوا كتابي.

إن الذي جاء به عبد الله محمد هو ما غفل عنه قوم محمد وما زالوا عنه غافلين.. إن دين محمد قام على ربوبية الله في النفس. وقام على أساس من عبودية مدركة في الشيء بوصف الخلق. ما سوف حقا وما جب ربا.. بل ديناً ظاهراً منبجاً واضحاً قيماً. وما أيأس أحدا فقد فتح للكافة باب رحمته، وباب معرفته، وباب مغفرته، وباب تجاوزه عن زلة التائب المذنب مهما ثقل حمله، وباب منه فضله وكرمه وجوده.

إذا لم تعرف حقائق الدين في يومك فستصطدم بها في غدك. إن حقائق الدين ليست مؤجلة من يومك إلى غدك، ولكن حقائق الدين منجزة لك في ساعتك وفي حينك وفي حاضرك وفي قيامك. فإن عجزت عن إدراكها فلا تيأس، ولكن لطلبها فاعمل واسع واجتهد وأجهد نفسك فالمطلب ثمين. فإن لم تعرفها في يومك فستعرفها في غدك بلا تصادم معها. فإذا كانت لك في غدك فهذا ليس من عيبها أنها لم تكن لك في يومك. فإذا كانت لك في غدك فليس معنى هذا أنها ما كانت ميسرة لك في يومك. إنها عند غيرك في يومه وهو عين معنك. اطلبها صادقاً تجدها عندك. إن لم تجدها عندك في يومك وانتظرتها في غدك فإنك لم تبحث عن رآها في يومه، أو من كسبها في يومه، أو من وجدها في يومه، وهو وجه الرحمن لك.

هو {الرحمن فاسأل به خبيراً} ١٢. إن الخبير إنما هم عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا، والذين لا يمينون عن صادق أو كاذب إجابة إذا ما سألهم أو طلبهم. إنهم لا يقولون إلا حقا. ولا ينطقون إلا صواباً. ولا يلهمون إلا يقيناً. ولا يسيرون إلا في مستقيم طريق. إن الطريق يقوم عليهم حوضاً لك تستقيه، وعلماً على هامتك تعلية ترعاه وتستهديه. إنهم مصايح حياتك الدنيا. إنهم بحار حياتك الدانية. إذا لم تعرفهم في يومك فليس لك معهم نصيب في غدك. وما حياة غدك ويومك إلا في الارتباط بهم حياة. إن القسم منهم عطاء من ربك. إنهم صيارف الله للناس يقسمون على ما أراد الله لا على ما أرادت نفوسهم، ولا على ما طمعت واشترأت إليه نفوس الناس، (الله معطي وأنا قاسم) ١٣. هذا ما يقول إمامهم.. وهذا هو الدين.

إن العبودية لله أساس الدين، وأساس الوجود، وأساس الحياة، وأساس الحق من الله. ليس عبداً من لا رب له. وليس ربا من لا عبد له. إن الله من وراء الرب ومن وراء العبد هو المحيط. إن الله في العبد رب العالمين. وإن الله في الرب حقبة عبد الناس. وإن الله فيهما بالإنسان تنزهه عن العبودية وعن الربوبية بقيامهما في الإنسان وجهها له، وحقاً منه، وعلماً عليه، واسماً لإطلاقه وغيبه ولانهايته.

إن الإنسان إذا سار في مجال العبودية يفقد وصفه وإن حرص على اسمه إلى معناه.. أنه وجه الله. ولكنه في حرصه على معاني العبودية يصبح له وصف أعلى في علميته على الله أعلى مقاما وقياما، لأنه في معراج عبوديته لله يصبح وجهها للغيب وللإطلاق لوجوه الله شهداء على الناس هو عليهم شهيد.

إن إدراك الإحاطة من الله من وراء كل كائن محيط هي أمر مدرك عند الخل مع خليفه، وهي مدركة عند المؤمن مع المؤمن. فالمؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن مرآة أخيه، والله من ورائهما محيط. الله من ورائهما المؤمن المشاهد. والله من ورائهما المؤمن المشاهد، خيلان في الله.. حبيبان في الله.. وجهان لله.

إن الله لا يتعدد في معناه ولكن الله يتعدد في وجوهه ومظاهره وتجلياته. إن الله متعدد في مظاهره بتعدد الناس وتعدد الكائنات. وإن الله متوحد في وحدانية الناس والكائنات والأكوان. ما توحد اثنان في الله إلا كان الله ثالثهما ووحدتهما، وما توحد الناس فيه متوحدان بالحق متوحدان بالصبر مجاهدين صادقين، إلا كان الله وحدانيتهم وجماعهم، وكان فيهم بوحدته وجماعه، وكانوا جميعاً وجوهاً له وكلمات منه.. وجه يشهد وجوهاً، ووجوه تشهد وجهها، ووجوه تشهد وجوهاً، ووجه يشهد وجوهاً.

في هذه الصور جميعاً يقوم الحق في وحدته إذا ما تجمع الناس على ذكره فتوحدوا به فقام حقهم. إن الله متعدد متوحد. إن الله في تعدده متعال متكبر متكاثر متداني متصاعد متخلق متواجد متجلي متحاسب متجاهل. ولكنه يجعل في حال الفرق فيه الجزء منه نواة لجمع جديد به، وخلق جديد متخلق منه، {واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم}؛ لسان حالهم، ولسان وجودهم، وقيام كينونتهم، وانبلاج شمس نفوسهم يعبر بذلك.

إن الله ما ظهر في شيء مثل ظهوره في الإنسان. والناس على أرضكم بداية شجرة الإنسان، فيها يعمل أبناء الإنسان، وعليها يتواجد كمال الإنسان، ومنها يبدأ وجود الإنسان. فآدم الابتداء من أرضكم وآدم الانتهاء يبعث بمعناه على أرضكم. وآدم في مسراه إلى غايته من مبتداه لنهايتيه إلى إنسان يتواجد بكلمات الله، وبعلم الله على أرضكم. لا تفرقوا بين أحد من رسله. واعلموا أن الله لا يتسع

للتعريف به فرد إنسان، ولا يتسع للتعريف عنه عنوان من زمان، لا ولا جماع من إنسان أو جماع من أزمان. ولكن الحقائق منه تأتي الإنسانية كما تأتي البشرية قطرات من بعد قطرات وتنفجر لها منها عيون من بعد عيون في السموات والأرض، فتتنزل من الأعلى سحباً ممطرة، أو تنشق من الأدنى عيوناً مبصرة.. دواليك في أزمان لا تنقضي. تشرّب ذوات عيون الأرض إلى السماء بيوتا فترفع، وتتواضع سحب السماء إلى الأرض حياة فتولج، فتتوحد أشتات الإنسان حقاً متواجداً ما بين الغيب والعيان.

فالإنسان شهادة غيبها إنسان. والإنسان غيب شهادته إنسان.. فالإنسان هو الرحمن بعباد الرحمن، وعباد الرحمن هم الإنسان للرحمن ظاهر لباطن، وباطن لظاهر، لا فرق بينهما ولا تعدد لهما.

جاء محمد الأرض بكامل معاني العبودية لله لمن قبله في كمال بدئها به لا في كمال انتهائها له. فإنها في كمالها تسير إلى لا انتهاء لأنها تطلب إليها لا نهاية له، وتطلب ربا مدانيا لا غيب له، ولا شريك له. إن الرب في النفس لا يغيب قائم على كل نفس، وأقرب إليها من حبل الوريد، ومعها أينما كانت. كما أن الإله مع النفس لا يظهر.. فهو في السماء إله وهو في الأرض إله له غيب السموات والأرض، من وراء الكل محيط، وأينما ولى وجهه ما رأى إلا وجهه. فغيب السموات عليها إنما هو ما في الأرض من الحق، وغيب الأرض عنها إنما هو ما في السموات من الحق، والله غيب السموات والله غيب الأرض، والله من وراءهما محيط...

فالسموات تطلب الغيب في الأرض، والأرض تطلب الغيب في السماء. وكلاهما يطلب الله له غيباً عنه، وهذا هو معنى وهو في السماء إله وهو في الأرض إله. إن الملائكة يطلبونه كما تطلبونه. وبذلك يستقيم الحاضر لنفسه بالعبودية لمنشوده معه من الربوبية في عقيدته بعظمة الألوهية.

هذا عن الإنسان في حقيقته.. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب. أما عنه في خلقه فقل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس. لا غيب له ما تواجد الناس فهو في مشاهدة الناس لمعاني الحق معهم من الله فيهم هم فيه مظاهر الحق عليهم بهم قائمة، هي أقرب إليهم من حبل الوريد، فلا غيب له وهو القائم على كل نفس بما كسبت. فلا غيب له إذ يوحى إليهم كما يوحى إلى النحل. لا غيب له وقد تخللهم لطيفه فربوبيتهم عنهم لا تغيب، ولو غابت لفارقتهم الحياة. إنهم ظاهر ربهم. وربهم هو غيب أنفسهم.. غيب ظاهريهم.

إن الله بوصفه إله من اسمه هو غيب دائماً ولا شهود له، ولكن الله لا غيب له. هو القائم القيوم لا إله إلا هو الحي. ال لا هو من اسمه الظاهر هو ظاهر الغيب. لا تأخذه سنة ولا نوم. فرباط الظاهر

بعينية الرب القيوم كشفا للغطاء، ورباط الرب بربه الذي هو للظاهر إله من ربه. هذا الرب من معاني الخلق بوصف العبد.

بهذا جاء رسول الله وعلى هذا يقوم دين رسول الله. فإذا أدركنا ذلك لدين محمد ودين رسول الله معه أو رسول الله فيه، فحددنا في الله عقائدنا، وأقننا في الله قيامنا، وحددنا في الله طريقنا، وسلطنا في الله معارجنا، وحددنا في الله غايتنا من يومنا وغدنا.. إن فعلنا ذلك: استقامت أحوالنا، وتكشفت لنا عيوب أنفسنا وعيوب مجتمعتنا فبدأ بأنفسنا ثم بمن نعوذ، لا نتكلم ولا نقول حتى يستقيم معنا قيامنا. فإن استقام فينا القيام فهياً الله بنا قلباً حياً، وقوم الله بنا من أحيا قلبه وأقام كان لنا خير الدنيا وما فيها. فبالاستقامة على ذلك يستقيم الدين. وتجمع رجلين على ذلك في مجتمعتنا يكون للناس من قوم محمد أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله. لا يغيبون الله ولا يسوفونه. ولا يغيبون الجزاء ولا العقاب ولا يسوفونه. ولا يغيبون الحساب والقيامة ولا يسوفونها. إن القيامة في قيامهم والحساب في محاسبتهم لأنفسهم، وإن الجنة ما تجني أيديهم وعقولهم ونفوسهم من الحياة. وإن النار هي ما يحرمون أنفسهم منه من ذلك فهي الحرمان، فالنار مبرزة لهم، والنار مبرزة غراماً وجهلاً للغاوين.

نسأل الله أن يقوم فيه سبيلنا وقيامنا، وأن يقوم علينا برحمته وفضله، وأن يعافينا من إقامة عدله وحسابه وجزائه ومحيط مراقبته، وأن يتغاضى عن أخطائنا، وأن ينظر إلى أعمالنا نظرتة لمن أحب لا نظرتة لمن أبغض. نسأله أن ينزل السكينة على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، وأن يأخذ بيدنا، وأن يهدي الظالمين والضالين منا حتى يخرجهم من ضلالتهم إلى رحمته. لا إله غيره ولا معبود سواه.

أضواء على الطريق

(نحن جميعاً خدام الروح الأعظم.. أتم وأنا وهؤلاء الذين يعملون معنا. ويجب أن ننجح لأننا نسعى لإنقاذ الإنسان من نفسه. ولقد أسيء فهمنا وكثيراً ما كان أصدقائنا هم أعداؤنا الألداء. ولكن بفهم قوانين الروح العظيم سوف يتمكن سكان العالم المادي مما أراده لهم. إنه لعمل جبار انكبنا عليه جميعاً. إنه عروة مقدسة تربطنا معاً وتجعلنا روحاً واحدة لنا هدف واحد ورغبة واحدة.

إن كل معرفة ذات قيمة. إني أكافح لأنقل إليكم كل ما أعرفه كيما تنهلوا مما أوتيته لأجلكم، ففي الإعطاء فقط يمكنني أن أخدم. فلا تقفوا عند أي درجة من سلم التقدم. إن رسالتنا الدائمة هي أنكم تعيشون الآن في عالم الروح. وما العالم المادي إلا انعكاساً واحداً للحياة الأبدية).

عن السيد الروح المرشد سلفربرش

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة طه - ٥٠
- ٢ سورة الأعلى - ٣
- ٣ سورة طه - ٥٠
- ٤ سورة الكهف - ٢٩
- ٥ حديث شريف: "ما منكم من نفسٍ إلا وقد علمَ منزلها من الجنة والنار قالوا: يا رسول الله، فلم نعملُ؟ أفلا تتكلُّ؟ قال: لا، اعملوا، فكلُّ ميسرٍ لما خُلقَ له ثم قرأ: {فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى}، إلى قوله {فَسَنِّيئِرُهُ لِلْعُسْرَى} {الليل: ٥ - ١٠}. الراوي: الإمام علي بن أبي طالب. صحيح مسلم
- ٦ سورة الأعراف - ٢٠٥
- ٧ سورة الأعراف - ٢٠٥
- ٨ سورة الرحمن - ٢٧
- ٩ سورة طه - ١١١
- ١٠ سورة النبأ - ٨
- ١١ سورة الكهف - ١
- ١٢ سورة الفرقان - ٥٩
- ١٣ إشارة إلى الحديث الشريف: "أنا أبو القاسم، الله يعطيني، وأنا أقسم". أخرجه البخاري.
- ١٤ سورة الأعراف - ١٧٢

(١٤)

آدم

معنى النهاية لما قبله ومعنى البداية لما بعده من الإنسان

حديث الجمعة

٩ جمادى الآخرة ١٣٨١ هـ - ٧ نوفمبر ١٩٦١ م

تصحیح التاريخ الهجري: ٢٩ جمادى الأولى ١٣٨١ هـ

باسمه معي رحمانا رحيمًا.. أستعين، ومنه أستمّد، وبه أفعل، وله أقوم وأحيا.

عباد الله: إن كنتم لله عباد، ولستم له إلا كذلك، سواء ربتم الرحمة على أنفسكم أو مكنتم الشيطان من قلوبكم...

{لكم دينكم ولي دين}، قالها من كان له دين، فكان عبدا لرب العالمين، مخاطبا عباد الشيطان الذين لم ينظروا فيه ولا في أنفسهم عبادا للرحمن.. فكانت عبوديتهم للشيطان دين.

إنهما عبدان وإنهما عالمان وإنهما ربان وإنهما إلهان.. في عبد واحد وفي رب واحد وفي إله واحد وفي عالم واحد.

إن الذي يرسل الشياطين تؤذ الكافرين هو الذي ينزل ويرسل الروح رحمة منه للعالمين.

إن آدم ورب آدم وملائكة آدم.. إن آدم وأرباب آدم وعباد آدم.. إن آدم وأوادم لآدم وأوادم من آدم.. إن آدم وغيب آدم لما قبله، وغيب آدم لما بعده حق واحد لإله واحد لمعبود واحد لموجود واحد. إن آدم وما فوق آدم وما تحت آدم إنسان واحد لحق واحد وإله واحد وموجود واحد ومعبود واحد. إن آدم أمة وسطا خلت من قبلها وقبله أمم وأوادم، ويعقبه ويعقبها أمم وأوادم.. إنما هم آدم واحد، وأمة واحدة، وبشرية واحدة، وإنسانية واحدة، وحضرة حقية واحدة في معاني عبودية واحدة لربوبية واحدة في ألوهية واحدة بظاهر واحد لغيب واحد.

إن آدم وخصم آدم والمحب لآدم.. إن آدم والساجد لآدم والممتنع عن السجود لآدم إنسان واحد وعبد واحد لحق واحد. هل فعل الشيطان إلا ما أراد الرحمن؟ وهل ضعف الرحمن أمام قدرة للشيطان؟ إن آدم معنى قبل أن يكون مبنى. وإن آدم مبنى قبل أن يكون معنى. فهو في معناه قبل مبناه معنى الإله، وهو في مبناه قبل معناه مبنى الوجود. فإذا تخلى المبنى عن ذاته من مادته لمعناه من رحمته كان الرحمن. وإذا تجلى معناه من غيبه كإله لذاته من مادته في مبناه ليكونها على ما لنفسه ارتضاه كان الشيطان أو كان الوجود. فالرحمن والشيطان وجهان لله، وأمران في الله، وربان في الله، وعبدان لله، ويدان لله.

إن هذه التفرقة، وهذا التعدد، وهذا التعديد، لا وجود له إلا في عالمنا البدئي هذا، وعوالمه من العوالم والمراحل الأولى بعد قيامنا من هذا العالم لمن كسب منه شرارة الحياة المقدسة، إلى الملاء الأعلى عنه صدر وهذا العالم منه وإليه ينتهي بمصير، أما ملاء الحق حيث لا ملاء وحيث الحق فإنه لا يعرف هذه التفرقة. لا يعرف وصف العبودية لكائنه، ولا يعرف وصف الربوبية على موجوداته، ولا يعرف الألوهية غيبا عن وجوده، ولا يعرف موجودا غائبا عن موجوده. كانت لهم جنات الفردوس نزلا لا يبغون عنها حولا.

إن هذه البشرية وهذه الأرض، من عوالم الإنسان، وعوالم الروح، وعوالم الشئئية، إنما هي إنسانية بدئية، وقاعدة لمعراج في الوجود يصعد به الإنسان من معاني عدمه إلى معاني وجوده، يتكاثر بها الإنسان في معاني وجوده بتكاثره في معاني بدئه نموا واتساعا يدركه عن قديم وجوده في حاضر موجوده وقابل لتواجده.. في دائرة مفرغة لا يعرف لدائرتها نقطة بدء ولا نقطة انتهاء، كما لا يعرف لها بدء كنقطة لدائرة أو كدائرة لنقطة. البدء بشرى النهاية، والنهاية بشرى البدء.. في دائرة للحياة العطاء فيها غير مجذوذ، والمعرفة فيها لطالبها يطلب معرفة الله في كونه من الله، وفي نهايته إلى الله، وفي بدايته من الله. يبدأ دائما من وجوده، ويعلم دائما من شهوده، ويصعد دائما بتواجده، ويؤمن دوما ببعثه، ويبعث دوما في قابله بما كان في ماضيه بفعل حاضره، ويؤمن في حاضره بأطراف وجوده من قديمه لحاضر ومستقبله لقائم، وأنه ليس له من الله إلا ما يعمل، ولا يبعث في الله إلا بما عمل، ولا يتواجد في موجوده إلا بما كان من قديم إرادته.

على هذه الأرض تظهر بدايات الحقائق لآحاد الحقيقة في الحق اللانهائي، يظهر أوادم الحق في أوادم الخلق. يظهر معنى الحق بالخلق. يظهر قيام الخلق بالحق. تظهر وحدانية الحق والخلق. تظهر وحدانية الخلق والحق. يظهر الحق في صورة الخلق ويظهر الخلق في صورة الحق. يتلاقى الرحمن حقا مدثرا بخلقته والشيطان خلقا متجليا بألوهيته وجها لوجه في حضرة من حضرات الله.

إن التوحد في ظل التوحيد بعمل في حاضر، يكون مع الماضي، كما يكون مع المستقبل، وكما يكون مع الحاضر. فالتوحد مع الماضي بعث في حاضر، والتوحد مع المستقبل نبأ وأمل في قابل. والتوحد مع الحاضر استقامة وطريق تجمع أطراف الماضي والمستقبل.

إن آدم دائماً هو الحاضر والقيام بوصف الخلق وبوصف العبد، ما قبله وما بعده هو الحق في جلبابه بوصفه. فما قبل آدم الخلق إنما هو آدم الحق، وما بعد آدم الخلق إنما هو آدم الحق. فقضية الحقيقة إنما هي في التمييز بين آدمية خلقية وآدمية حقيقة. وقضية الدين إنما هي في التجمع في آدمية حقيقة، والتخلي والمباعدة عن آدمية خلقية. أما المتجمع المتخلي فليفرض نفسه من الآدمية الخلقية بما يفعل، وليؤمن نفسه من الآدمية الحقيقة بما يرجو حتى تتكشف له نفسه بما قدمت وأخرت عند كشف الغطاء المادي عنه ليراه من غيبه.

إن الذي خاطب الإنسانية على لسان رسلها والذي بعث بالروح من أمره من عوالمها ومن أرسل ومن بعث، ما كان إلا الإنسان يخاطب نفسه من الإنسان في أبنائه، ويبعث بنفسه من إنسانه من الرحمن.. يفعل بإرادته من معناه في حدود ما أراد المرسل إليهم ليكونوا في معناه. فهل استيقظت البشرية من سباتها في منامها من غفوتها، وهي على هذه الأرض تلهو في مهد طفولتها، وتنتأرجح في الوجود في مركب فسحتها، وبين مفرداتها من أهل الرشاد سفن الخلاص والنجاة، وموارد العلم والحياة؟ هل استيقظت هذه البشرية من غفلتها وقد جاءها الحق من نفسها رسولا من حقيقتها بالحق قائما على كل نفس فيها، ومن وراء كل نفس محيط، وأقرب إلى كل نفس من حبل الوريد، ففارقت طفولتها وأدركتها وجوها له أرسل وجها منه لوجوه بها؟ بالحق أنزل فعرف طريق الحق، فبالحق نزل رحمة منه وبقي بين إنزال للحق له ونزول للحق معه بين الحق من ملئها الأعلى إلى الحق من ملئها الأدنى، ومن الأدنى إلى الأعلى طريقا مستقيما ودينا للقيمة الشهداء على الناس بنفوسهم الرحبة، وعقولهم المشرقة، وقلوبهم المنطلقة، وحقائقهم المقاربة الصاعدة، تدخلهم النفوس المطمئنة من تحت سموات أقدامهم إيماناً بهم من الحق، وتصلهم أقباس نور الله من إنسانية الملاء الأعلى من سموات فوقيتهم.. هبوطا لرحمات الله بهم فيمشون على الأرض أوادم الناس ووجوه رب الناس رحمة للعالمين يؤتيهم رحمة من لدنه، أمناءه يحملون أماناته للناس، ويعلمهم علما من لدنه، أميين عما يعلم الناس، عالمين بما يجهل الناس، مالكين لما غاب على الناس، كرماء بما يفتقر إليه الناس، فقراء الله وأغنياء الوجود بالجود وبالحياة.. يملكون المال وعباد المال بملكيتهم لعوالم الوجود، لهم خلق، مستخلفين من الموجد على ما لهم أوجد.

هذا هو الدين جاء به الإسلام بآدم، دين فطرة بدءا وبعثا، بدءا في مجهول لا يعلم وبعثا في معلوم لا يجهل، ودين كتاب بأمنائه، ورسالاتهم كلمات الله وبيوت ذكره.

أما عبده والمثل الأعلى منه مبعوثا للنبيين جماع الناس ومعراج كمال، وللحكماء الراشدين موهوب علم وتمام حال، وللطالبيين المفتقرين طريق استقامة وحق مآل، رسولا للأعلى من حقائق العباد من حضرة الهدى والرشاد لرب العالمين، فقد جعله عنوانا للعلم، وأسوة للجهد، وهاشما للعناد، وسيفا مسلولا لحماية عوالم طلبه من عوالم مخاصمته، إتماما لنعمته بمكارم الأخلاق.

هذا هو الإسلام مع محمد ولحمد كمل رشاده، وبه قام استعداده، وتمت حكمته، وقامت كلمته، وبعث آدمه، ونشر كتابه، وهيئ معراج، وفتح للناس بابه، وعبدت للخلق طريقه بقيام عبد الله وابن عبد الله محمد في أخلاقه، المحمود في فعله، الحامد في قدوته، الأحمد في مجاهدته.. عبد حمده، ولسان رشاده، ويد حكمته، وقدم قدرته، وعين إرادته، ووجه جماله، وظهور حقه.. لا يغيب عن الأرض، حي في قبره، وفي مقابر النيام من خلقه، كامن في النفوس الميتة، قابع في النفوس النائمة، حي في العقول القائمة، حي في الأرواح المنطلقة، قائم في الناس، حي في البشرية، برازخ موتاهم بهم، وأصول بعثهم بأرواحهم، هو الحي في منابرهم من مقابرهم، وفي قبره من منابرهم. إنه النور المنبعث من قلوبهم يوم تحيا. إنه الطهارة والزكوة لنفوسهم يوم تزكو. إنه العلم والمعرفة في عقولهم يوم تعي. إنه الحرية والحياة لأرواحهم يوم تنطلق، ولرقابهم يوم تعتق. إنه الحق لهم يوم يعرفهم الحق ويعرفونه. إنه العبد فيهم وبينهم يوم يلاقونه. إنه الحياة لا يعرفونه إلا يوم يعرفونها، ولا يعرفونها إلا يوم يعرفونه.

منه زيت مصايح القلوب في مشكاة الصدور، وهو قبضة الإطلاق لنور السموات والأرض إنسانا. إنه عضد الله حقيقة. إنه عبد الله شرفا. إنه الإنسان.. إنه الإنسان عبدا، وإنه الإنسان سيذا وربا، وإنه الإنسان إلها وقديسا، وإنه الإنسان شهادة وغيبا. وإنه الإنسان محدثا وذكرا، من أمشاج يبتلى فيجعل سميعا بصيرا في أزل وأبد.

إنه الإنسان لنا ونحن البشرية لإنسانه. نحن بأبداننا، وبنفوسنا، وبعقولنا، وبأرواحنا، وبمعانينا، وبمعلوماتنا، وبمجهولنا، عناوين وجوده، وطلعة موجوده، ووجوه مشهوده، ووجوه مشاهدته، ما صدقنا الله في صدقنا معه. إننا له وهو لنا كل شيء. إن لم نعرفه لا نعرف شيئا، وإن لم يتواجدنا بحقه لا يظهر شيئا.

إنه الرسول الإنسان، من ربه الإنسان، من إلهه الإنسان، إلى هذه البشرية بمعناها من الإنسان. فهو رسولها لمبدعها ورسول مبدعها لها. إنه الوسط الذي عرف ما قبله من الإنسان فكانه، وعرف

ما بعده من الإنسان فكانه. إنه الوسط الذي عرف ما فوقه فعبّد نفسه له، وعرف ما دونه فنزل بالحق إليه. إنه الوسط الذي اجتمع فيه ما قبله بما بعده. إنه الوسط الذي تحيا فيه وتحيّا منه وتنتهي إليه حيوات الكائنات في نشأتها، وفي نهايتها، وفي علمها، وفي جهلها من علمها في طلب المعلوم لها.. عبادا لله، وحقائق لله، وخلقاً لله، وعوالم لله، وكائنات لله.

إنه الإنسان وكفى. إنه عبد الرحمن ووجهه وكفى. إنه هازم الشيطان وكفى. إنه مجال الإحسان وكفى. إنه نور الله وكفى.. فإذا عرفنا من أمر رسول الله لنعرف من أمر أنفسنا؟ هل عبّدنا أنفسنا به لرحمة الله ولنور الله ولحق الله تقوم بنا رحمته، وتشهدنا وحدانيته، وتحيينا قيوميته؟

لقد أصبحنا بعيدا وبعيدا جدا عن رسول الله، وعما جاءنا به رسول الله. وزاحمنا عليه الناس معاني لا تجحد، ومحامد لا ترفض، فكسبه الناس وفقدناه. عرفه الغرب ومجدناه، وفقده الشرق ما بكاه. أخذنا دينا وقامه دنيا لم يرعها دين ولم يقدها يقين، فتخلفنا عن ركب الحضارة في روحانياتها، ثم تخلفنا عن ركب الحضارة في ماديّاتها. أما الذين كسبوا الحضارة بماديّاتها منا ابتلاء من الله واختبارا منه، فقد انتهت خبرتهم واختباراتهم إلى كسب رسول الله بما وصلت إليه معارفهم وعلومهم، فطابت في الله فطرتهم قسطا ما، فتخلّقوا بما جاء به الرسول من خلق الله فتواجههم. لا يتواجدنا.. لقد فقدناه خلقا وذاتا ما وعيناه. وروحا ما قنناه، وما نشرناه.

إن رحمة الله برسول الله ما فارقت الأرض وما باعدت ثراه، وهو الذي يقول (أنا حي في قبري)^٢. أنا حي بينكم. أنا حي بين جوانحكم. أنا حي في قلوبكم المنقبرة. أنا حي في قلوب ذواتكم قبرا لي. أنا نائم في غفلتكم. لو استيقظتم ما وجدتموكم غيري، وما كنت لكم غيركم. ها أنا رسول أنفسكم، فهلا استيقظت أنفسكم؟

هذه هي رسالة الإسلام بمحمد ورسالة الكتاب بمحمد، ورسالة القديم للجديد بمحمد، ورسالة الجديد إلى القديم بمحمد.. هذه هي رسالة الحق إلى الخلق بمحمد، ورسالة الخلق إلى الحق بمحمد. فهلا ركبنا سفينته خلقا، وهلا استقبلنا نوره حقا، وهلا قنناه وحدانية، وهلا شهدناه إيمانا، وهلا عرفنا فيه ربه، فاستنجزنا به من الله وعده، فقمناه وشهدناه على ما شهد، وشهدناه في شهادة أنفسنا على ما شهد نفسه؟ جاءنا بلا إله إلا الله، وجاءنا ربه بمحمد رسول الله. {وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا}^٣. {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله...}، {والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم}^٤. وها هو اليوم يجدد في الأرض مبناه، ويجدد من السماء معناه، فتنشق السماء عنه أرواحا مرشدة، كما

تنشق الأرض عنه نفوسا رشيدة، ويتلاقى بشقيه من السماء والأرض حقا واحدا لله، وعبدا
ووجها لله، هو من ورائكم محيط، وبكم قائم وأقرب إليكم من أنفسكم.

اللهم إنا سمعنا عبدك مناديا باسمك فلييناه، وقاربناه فآمناه، وقامنا فوحدناك، وعرفنا أنه لا إله إلا
أنت، وأدركنا أن محمدا عبدك ورسولك وحقك. اللهم فاغفر لنا وللذين تابوا وأصلحوا واتبعوا
طريقك. اللهم كن لنا وكن لهم في الصغير والكبير من شأننا وشأنهم. اللهم خذ بنواصينا ونواصيهم
إلى الخير على ما فعلت دائما، وقنا وإياهم مزالق الزلل على ما أقلت دائما. اللهم اجعل خير أعمالنا
خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائك في أنفسنا، وفي دنيانا، وفي معنانا وفي أخرانا. اللهم أدخلنا في حصن
لا إله إلا الله، وفي علمك بنفسك أنه لا إله إلا أنت، وفي تسبيحك لنفسك أنه لا إله إلا أنت.
اللهم أقنا دراكين لوحدايتك، وأشهدنا وحدانيتك بوحدانيتك، وأسعدنا قائمين بوحدانيتك، وأقنا في
الناس بك ومنك بوحدانيتك.

اللهم بحمد فارحمنا. اللهم امنحنا وسيلتنا به إليك تتوسل. اللهم اجعله في الدنيا والآخرة وسيلتنا على
ما شرعت، واجعله شفيعنا على ما رحمت، وأقنا في معناه على ما سبق أن وعدت وبشرت عبادا
لك في دنيانا وفي أخرانا. اللهم إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لنا وتولانا وارحمنا أنت أرحم
الراحمين.

أضواء على الطريق

(إن دوري هو دور رسول يبلغ رسالة لإظهار الحقائق الروحية التي فقدت منذ قرون عديدة. ولقد
جاهدت لأحمل ما أعطي لي على أساس الجهاز الذي عندي، والقدرة التي اكتسبتها، وحرصت أن
لا يتسرب من فعل الجهاز ما يشده أمانة رسالتي. فإذا كانت التعاليم القليلة التي أبينها أو ألهمها
تساعد نفوسا على أن تجد السلام في حياة عاصفة، إذ تجد مأوى في الصدق بعد أن عانت أنواء
الشك، أو كان هناك إنسان يمكنه بتقديس هذه الحقائق الروحية البسيطة أن يجد السعادة والإلهام
في الخدمة فإني إذن لسعيد).

عن الروح المرشد السيد (سلفر برش)

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة الكافرون - ٦
- ٢ حديث شريف يتردد في أدبيات التصوف، يتوافق مع الحديث الشريف: "الأنبياءُ أحياءُ في قبورهم
يُصلُّون". أخرجه أبو يعلى والبخاري.
- ٣ سورة الإسراء - ٨١

٤	سورة الحديد - ٢٨
٥	سورة محمد - ٢

(١٥)

آدم

المعنى والهيكل والقدس لل فرد والبيت والمدينة والأمة والجنس

حديث الجمعة

١٦ جمادى الآخرة ١٣٨١ هـ - ١٤ نوفمبر ١٩٦١ م

تصحیح التاريخ الهجري: ٦ جمادى الآخرة ١٣٨١ هـ

إليك، يا من قدرنا له عبادا، فعرفناه لنا ربا.

إليك يا من عرفناه لنا ربا، فعرفنا له وجوها.

إليك يا من عرفناه معروفا لا ينكر، ومعلوما لا يجحد، وموجودا لا يغيب، وظاهرا لا يختفي، ومنزها لا يظهر، فعرفنا له عبادا، وللعوالم أسيادا، به عليها نقوم، ومنه معها نتواجد، وإليه بها نرجع، ومعه واحدا نتوحد، وفيه أحدا نفنى، وبه بالأشياء نبقي، وعبادا له نعرف.

إليك نلجأ وبك منا نعوذ، وبفضلك نستعين. تؤمنك لا ظاهر إلا أنت، وتؤمنك في جلال عن الظهور بجوهرك، وفي إحاطة بالظهور بعبادك. لا إله ولا مألوه إلا أنت، ولا إله غيرك.

اصطفيت قديما في أزلك أبانا ومولانا، وأظهرته في كونك، وبين عوالم وجودك، بمعناك وجهها لك، وخليفة عنك. وكرمت أبنائه وأحفاده وذريته، وجعلتهم محل عطائك واصطفائك ومحل رضائك واجتباائك، ومحل توفيتك ووفائك، ومحل خلافتك وصفاتك وأسمائك. فجعلت آدم معنى فيك وقياما لك في ملكك ملأ له سجد، وبك منه وجد. أظهرته وأكبرته، وأعليته وكنزته، وأخفيته وعظمته، ثم جددته وأظهرته علما بظاهره على باطنه قدمته، واجتبته لغيبك فجعلته وبنيه حضرة ذاتك وملكك، يشهدك فيهم وفي نفسه، ويشهدونك فيه وفي أنفسهم، وحضرة أسمائك وصفاتك، خليفة عنك، لا تظهر إلا بحضرتك به إكبارا لحضرتك عن الظهور لغيرك، ولا تختفي حضرتك عن حضرتك عبدا لك، متسعا بعلمك وما علمته لأسمائك وصفاتك، ولمعاني حضراتك.

جعلت من آدم معنى وجوهرا، ورسمها ووصفها، ومظهرها ومخبرا، وزمانا وعصرا ودهرا، فجعلت العالم مظهره، وجعلت من الأرض مخبره، وجعلت من الشمس علمه ومن القمر ولده، فجعلته معنى ومعاني، وخبرا ومباني، وجعلته فردا، وجعلته زوجا، وجعلته بيتا، وجعلته أباً وولداً، وجعلته مدينة وبلداً، وجعلته أمة وجنسا، وجعلته بشرية، وجعلته إنسانية، وجمعتة عنوانا على غيب لمعناك من ذاتك وروحك، إنسانا لمعناك في روحك وذاتك. وجعلته عالما لعبدك. وجعلته وجوداً لعبادك. وجعلته غيبا لمعاني غيبك في غيبك.

علّمته وأعلمته، وكثرته وجددته. قت به على أولاده فكنت القائم على كل نفس بما كسبت، وجعلت من أبنائه مظهره ووجوهه فكنت به من وراء كل نفس محيط، وأظهرت الكون بمظهره منك مظهرها له علما عليك فجعلت من مواجيد الكون ومظاهره وجوها لك بمعناه وجها لك، فكانت به وجوها لك، فكان الناظر أينما ولى فوجهك. قت به خليفة عنك على كل نفس وعلى كل ذات من أبنائه فكنت به أقرب لكل نفس من جبل الوريد، كنت عين معناها لأن كل نفس عين معناه منك على ما أوجدته لنفسك، وكبرّته لخلقك، وأعلمته وعلمته لرحمتك، ثم طورته لظهورك، وأخيرا كما كان أولا خلفته ولنفسك اصطفيته ونسبته، فكنت به الواحد الأحد الذي توحدت الأشياء فيه بوحدانيته فيك علما عليها بك، وإخبارا عنك به. وأنت الانهائي لا ظهور لك، ولا إحاطة بك، ولا غيبة منك، ولا انفكاك عنك.

جعلت منه بشرانا بالجديد لنا في أمر أنفسنا تسعدنا بكونه أن نكونه هيكلنا لك. وجعلت منا به أملنا ورجاءنا أن نكون هياكلك فنكون مظاهر أمرك وإرادتك، بدايات حية لكلمات طيبة لشجرة مباركة نامية تمتد في الأرض بجذورها، وترتفع إلى السموات بغصونها، وتغدق بثمرها كل حين بما تحوي نواتها. تتكاثر من وحدتها بعين واحديتها آحادا لك وهياكل قيامك. تشتتها بقدرتك وتجمع شتاتها في أمشاج تبثليها برحمتك، فتوحدها هيكلنا واحدا لقدسك، وآدما واحدا لموجودك تعطيه تكاثره بقدرتك في قدرته، وتعطيه تعدده بكرمك وجودك ليعرف نفسه بنفسه، ويتعارف إلى نفسه في أبعاض نفسه على ما أنت في تجلياتك وفي أزلي صفاتك، فيعلم عنك في علمه بنفسه عنه، ويعلم عنه في علمه عنك في قديمه في أزلي له منك، وفي جديده في أبدي له بك على ما أردت، فكان ظل إرادتك فيما يريد، وظل وجودك فيما يتواجد، وظل رحمتك فيما يفعل، وظل وحدتك فيما يتجمع ويتوحد، وظل صنعك وقدرتك فيما يتبعض. جعلت منه الحلقة الوسطى، والذات الوسطى، والكتاب الأوسط، والآدم الوسط، والأمة الوسط بين أزلية وأبدية، وجعلت من هذه الصفة فيه أكرم المعاني منك، وأعرف الكائنات بك. جعلته خير أمة أخرجت للناس تعرف وتعنون الله، وتؤمن وتتصل به، تعرف

الله في قديمها من الناس، وتعرف الله في جديدها باقيا بالله في الناس، وتعرف نفسها لله أناسي، فتعرف الله في الناس قديما لا بدء للناس ولا بدء له، وتعرف الله باقيا بالناس لا انتهاء للناس ولا انتهاء له، وتعرف الله قائما قريبا في الناس ولا تعدد فيه ولا شريك له، فتشهد أنه لا إله إلا الله، وتشهد أن عبده وخليفته ورسوله، ما هو إلا الحق منه، وما هو إلا وجهه، وما هو إلا داني حضرته، قيوما به قائما به على الناس بالناس في الناس للناس من الناس إلى الناس، فيشهدونه محمدا رسول الله في شهادة أنفسهم من روح محمد رسول الله، وفي شهادة محمد رسول الله من أنفسهم، يعلمون أنهم بدءا من آدم محمد عبد الله تواجدوا، وأنهم إلى محمد آدم عبد الله يصيرون، وأن محمدا ما كان إلا من عبد الله له، وما هو إلا إلى عبد الله منه، وأنهم في معناه لأنفسهم إنما هم في عين معناه لنفسه في الله، يعرفون فيه حجابا أعظم لربهم، ويعرفون فيه رحمة مدانية لخلقهم، ويعرفون به في أنفسهم منه حقا، به يتواجدون، وفيه في الله يسIRON.

إن محمدا لكل مؤمن محمده ومحموده من صفاته، وإن كل مؤمن بمحمد هو لمحمد بعثه وجديد ذاته، بإبراز محمد عبده ورسوله على ما أبرزه، وعلى ما أقامه، وعلى ما بعثه، وعلى ما قديما أوجده، وعلى ما في محدث جدده، وعلى ما في خلق أبدعه، وعلى ما بما أنزل عليه في الناس حقيقه ونشره، وجعل فيه ذكره ومعناه وخبره. به لم يبق للناس على الله حجة. لم تبق النبوة أمرا ذا موضوع في الناس بها يميزون، فكلهم الأنبياء والرسل لأنفسهم وليوتهم وجمعهم ما تابعوه، فقد ظهر في الناس رب الناس ملك الناس إله الناس بعبد له من الناس، يقوم بليل باطنه النهار في مدثر من ذات بحقائق وصفات، بعثا بالحق من الله ذي المعارج.

تداني ويتداني الله إلى خلقه كما عرج ويعرج الخلق إلى ربهم. بحث الرب عن عبده بعبده في الخلق فوجده ولم يقبره، وبحث العبد عن ربه في نفسه بين العباد فوجده ولم يهجره. وجده قاب قوسين أو أدنى، وجده لا شريك له، وجده لا إله إلا الله. وجده بفقد نفسه وبقيام معشوقه وربه، وجده في علمه عن نفسه علما عمن أبدعه، ومن سواه وإليه أرجعه، فتواجد فكانه، فوجهه ظهره، وفي مرآة متابع نظره.

لقد جاء محمد ودينه بوحداية الله في شهادة أن لا إله إلا الله. وقد كشفها رسول الله يوم قال للناس على لسان الله (ما ظهرت في شيء مثل ظهوري في الإنسان)^١. وهو الناطق بأناية الله أناية لله به بفقد ذاته لنفسه، وبفقد نفسه لعبده، وبفقد عبده لفعله، وقيامه بغيب أنايته، وقيام هويته: مَنْ محمد؟ إن محمدا فقد ورب محمد وجد بما أنزل عليه من الحق. ما ظهر الله.. ما ظهر قدس الوجود..

ما ظهر سر كل موجود في كائن مشهود مثل ظهوره في الإنسان. فهل كان محمد غير الإنسان، أو غير إنسان؟ ألم يقل ما عرفني غير ربي؟

إنه إنسان الغيب جدد نفسه في محدث من آدم هيكل بظهور غيبه بهيكل ذاته في فرد تواجده، انشق إلى نجديه وانشق إلى قديمه بقدميه في ولديه الأعز عليه، والأحب إليه، فكاناه وخلفهما بمعناه ثم جددهما على عينه، وتكنز عن الناس بهما وبجديدهما، ولم يغب عنهما ولا عن جديده منهما.

أبرز القديم من الإنسان ذاته في المحدث منه بذاته عليه السلام، وما صدر عن ذاته وصفاته. أبرز به آدم ينشق عن حوائه وحققه بجديد لآدم له اصطفاؤه لنفسه وقد اصطفاؤه ربه لنفسه، بعد انشقاقها منه جديداً لقديم لها، وبجديد لحواء منه، وبجديد لآدم له قام عماد بيته. جددتهما منهما شجرتين طيبتين لكلمتين دائمين به بآدمين.

ولم يفارق قبل أن يكمل بيته وبستانه فتجدد منهما لهما جديد معناه وعنوانه من معناهما لمعناه، في ولديه منهما ولدين له، ورثهما حلمه وجوده وهمته ونجدته فقام في الناس هيكل إنسان، وآدم إنسان، وكال إنسان، وقام في الناس آدم بيت، وهيكل بيت، وكال بيت.

ولم يفارق حتى علم الطائفين، وأسجد المستقبلين، وقوم المؤذنين، فطاف الناس بالبيت عتيقا قديما، وجديدا مسالما، وحقا قائما، مشتتا مجتمعا موحدا. طاف به الطائفون، وعكف فيه العاكفون، وصلى إلى قبلته المصلون، وسجد له الساجدون، وعرفه العارفون، ودخله الآمنون، وبذلك أوجد نواة مدينته، وهياً للهدائن قبلته، وبارك القبلة والمدينة، وجعل من أهلها للناس سفن نجاة، وأحواض ماء للحياة، وسرج نور للطريق، ورفاقا للسائرين في سبيل الله، كلما طلبت سبيل الله لمسير من الحائرين، أو طرقت أبوابها من السائلين، ما طُلب الله من العقول، وما طرقت أبوابه في النفوس عند من عرفوا الله بقربه، فطلبوه في قلوبهم، فلحقهم حقائق الله من مدينة رسول الله، فساروا إليها - رجالا وعلى كل ضامر من ذوات أنفسهم، ما تفتحت لهم آذان بسماع، وقلوب باستماع، وعقول باتباع، ونفوس بارتجاع. فكان محمد حق الهيكل، وحق البيت، وحق المدينة.

ولم يفارق حتى سلمت المدن واتبعت السبيل فتواجدت المدائن والأمصار مصلية إلى قبلته، حاجة إلى بيته، آوية إلى مدينته، فتجددته النفوس في هياكلها بقدس من قدس هيكله.

ولم يفارق الأرض بجديد بدء ذاته إلا بعد انتشاره في جديد ذواته وقد أقام الله به في الإنسان أمة، قامته وقامها، وعرفته وعرفها، فأكمل شريعته، ووضع معالم سنته، وأبلغ كتابه قانون فطرته، تتجدد به الأمم بتجدد الهياكل له، تتجدد بها البيوت فتجدد به المدن، وتتكاثر به المدن فتتواجد به الأمم،

فيقوم كتابه فتتجمع الأمم عوالمه وحجابه أمة بعد أمة.. ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله.

فهلا جدد الناس لأنفسهم هيكله في هياكلهم، ومدينته في مدنهم، وأمته في أممهم فعادوا بجديدهم إلى أحسن تقويم، وقد بلغ بهم أمر أنفسهم أسفل سافلين؟ هلا استيقظوا لأحسن التقويم فطلبوه مجاهدين، عاملين، غير وائين، ولأنفسهم بالله ورسوله منشئين مجددين، وإلى ما خلفهم غير ناظرين، ولآبائهم في غفلتهم غير آبهين، ومما ورثوه متخلصين غير مواصلين أو ناشرين؟ هلا تجمعوا على جديد من أمر الله بينهم؟ هلا اتجهوا إلى صعيد؟ هلا بعثوا في جديد؟ هلا قاموا في وليد؟ هلا غيروا ما بأنفسهم حتى يغير الله ما بهم؟ هلا أفرغوا ما بأنفسهم من ظلام، وقاموا فارغين في سلام، لله طالبين ولذكره ناصبين، فدانتهم من الله رحماته، وتكشفت لهم في أنفسهم ومن حولهم آياته، فعرفوا حيث أحواضه، وعرفوا حيث مهاده، وعرفوا الأرض سواها لهم ومهدا لهم ما دخلوها نفوسا مطمئنة في عباد للرحمن من بينهم، نفوسهم آمنة ساكنة مطمئنة، فكانوا في رحمتها منها لها برضاها أجنة، تدخل في ظلمات السكينة من بعد ظلمات الطمأنينة هي ظلمات ليل الله، حتى تجتاز بحار الظلمات في أمان إلى بحار النور في ضمان تسبح في بحار الرحمة وتنزل إلى أراضي الطاعة، فتعرف أراضي الحياة في سموات وجودهم وسموات معانيهم تفتحت لهم أبوابها بعباد الله بينهم، بحمد جنانا تنتظرهم ما بين قبر ومنبر في كل وقت وحين.. ما بين قبر نفوسهم إلى أرضها أرضا أرضا، ومنابر عقولهم بإشراقها سماء سماء، يقومون باسمه عبادا ويذكرون الله باسمه للناس عمادا، يذكر الناس في قيامهم رسول ربهم، ويذكرون في قيامهم أحواض الحياة من رحيمهم ورحمانهم، يذكرون في قيامهم منهم وجود ربهم بينهم مشرقا بوجه له، هو مرآة وجهه إليهم، لوجوههم إليه، إن تلاقوا عليه وآمنوا به لله ذاكرين، وعليه متواصين وله صابرين، فعرفوا المؤمن مرآة المؤمن من ربهم، وعرفوا المؤمن مرآة المؤمن من أنفسهم، فآمنوا الله من ورائهم محيط، وعرفوا الله من وراء مرآياه من مرآياهم من إخوانهم من روادهم من أنفسهم من ورائهم محيط، فبعين الله فيهم يرون وجه الله لهم في مرآة إخوانهم، وبنور الله في إخوانهم يرون مرآة وجه الله لهم يظهر، وجوها ناضرة لربها في الناس ناظرة، وجوها مشرقة لذي الجلال والإكرام، يرون وحدانية الله بوحداية الله، يرون الجلالة والكرامة في مجتمعهم وفي إنسانيتهم وفي جمعهم.. جمع لا يرى الفرقة ولكنه يرى الوحدة والاجتماع، رفاقا في الله، وجوها لله لا غيبة له ولا خوف منه، انتهى أمرهم فيه إلى أنس به، ورحمة منه، وجمال مسعد من طلعتة، ومن شهود وحدته وجلال حضرته؟

بهذا كله جاء الإسلام. وعلى هذا قام القرآن وعنه عرّف الكتاب لا يلبسه إلا المطهرون، ولا يدركه إلا المشرقون، لمس نور الله قلوبهم فرأوا القرآن نورا، ولمس نور القرآن عقولهم فرأوا في قلوبهم نور الله.

هذا هو الإسلام على ما جاء به من أسلم لربه فكان الإسلام له، ومن رأى وجه ربه في غيبه فكان وجه ربه في الشهادة له مرثيا من الناس رحمة الله لهم، ورثيا للناس دينونة الله عليهم بما يراه الناس لأنفسهم به.

هذا هو رسول الإسلام، وهذا هو كتاب الإسلام، وهذه هي سنة الإسلام، فهل أسلم الناس فسلموا؟ وهل سالم الناس فأسلموا؟

نسأل الله لنا وللناس السلامة بالإسلام رحمة مهداة، والمسألة للناس استقامة مرتضاة، حتى نكون في الإسلام، وحتى نعرف الإسلام، وحتى نقوم بالإسلام. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

اللهم إنا عرفنا عن محمد فطلبناه، وفي أنفسنا منك وجدناه، فذكرناه وعلّيناه. اللهم فانشره في الناس، عبدا لك. اللهم فانشره في الناس نورا منك. اللهم فأقه في الناس حقا لك. اللهم أشهدهم رسول الله على ما تحب وترضى، وعلى ما يحب لهم ويرضى. اللهم به فأشهدهم أنه لا إله إلا الله، حتى يشهدوا أن الله أكبر، وحتى يشهدوا أنهم لك عباد، وحتى يعرفوا أن محمدا لهم في أنفسهم عماد، وحتى يدركوا أنه الصلاة، وأنه الحج والزكاة، وحتى ينالهم منك به دواما رحمتك، وحتى يردوا حوضه من ماء الحياة منك بلا انقطاع، وحتى يحيا بنوره فيك في سلام، وحتى يعرفونك الحي القيوم، فيغادروا أوهام أنفسهم من عذاب ما ذكرته إلا تخويفا، وما جعلته إلا تنظيفا، ومن جنة ما ذكرتها إلا ترغيبا، وما جعلتها إلا تعليما، ومن دنيا ما جعلتها إلا دار كسب وزرع وعمل وبعث لبدء بقيام، ومن آخرة ما جعلتها إلا دار معرفة وحصاد وسلام ودوام، ومن شيطان ما ذكرته إلا بأدب إبعاد معانيم عن معناه تحذيرا من أوهام أنفسهم، إذ لا وجود له إلا ظاهر موجودهم، من جلايب خلقهم، ومن رحمن ما كان غير معانهم من حقائقهم بحقك، فما كانوا إلا محل رحمتك تفاض بك من بعضهم على بعض، ومن كلمة الله بموعد لقائه، ما كان إلا حقائقهم بالحياة بك ما قاموا باسمك، وما ردوا ذكرك، وما ذكر في ذكرهم، وما تواجد في وجودهم غيرك فكانوا لك وجوها يا ذا الجلال والإكرام، وياذا الطول والإنعام من ورائهم محيط، وبهم ظاهر أقرب إليهم لهم من أنفسهم، ما وراء فعلهم، وما وراء إرادتهم بحكمتك حتى يكونوا لك إرادتك، وحتى يكونوا أيدي فعلك. جعلت الإسلام لك ولرسولك دينك لهم، وجعلت غيره دين من كان فيك هالكا، لا وجود له ولا بقاء له. وجعلت دينك

باقيا تظهر أهلهم على الدين كله، وتظهرهم على الوجود كله، وتقيمهم فيك بالأمر كله، في فردوس عوالمهم من ذواتهم حضرة لك. فهل عرف المسلمون الإسلام؟ وهل دخل المسلمون الإسلام؟ اللهم فأدخلهم الإسلام، واجعلهم به في سلام من أمر أنفسهم، ومن أمر خصومتهم لهم منهم. اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا والسلم والسلام على أرضنا، وولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا، وعاملنا بعفوك ومغفرتك ورحمتك، لا إله غيرك سبحانه إنا كنا من الظالمين.

أضواء على الطريق

ما كانت رسالات الله إلا معنى الحق في الناس رسلا من أنفسهم من جانبي الحياة دانيها وقاصيها، فظاهر الناس بتواجد هو قديم الناس بوجود - وما حمل الرسل في حاضر الناس إلا من غيبهم من باطن الناس. حملوا رسالة السماء إليهم وإلى الناس، رسلا هم في سماواتهم ما حملوا الرسالة إلا من أنفسهم إلى أنفسهم من أهل الأرض - هذا أخوكم جبريل جاء يعلمكم دينكم - فاخلق الخالق لا بدء له، واخلق المخلوق لا انتهاء له - وما كملت الحياة في قاصيها إلا بأهل الصلاحية منهم في آحاد للحقيقة، تحولوا من مجال الخلق لمجال الخالق، فواصلت الحياة من عالم نشأتهم بتواجدها بهم وقد تواجدوا منها فتضاعفت الحياة في بيئة نشأتها بهم. وهم يضاعفونها في بيئة تواجدهم من بيئة نشأتهم على ما يضاعفونها في بيئة نشأتهم من بيئة تواجدهم، كالا للخلق وقياما له بوصف الخالق مع الخلق المتواصل دواليك إلى لا بدء يعرف وإلى لا انتهاء يتعرف.

حديث الروح المرشد السيد سلفريش أحد أوادم الملاء الأعلى:

(عندما سُئلت منذ عدة سنوات طويلة عما إذا كنت أرغب في العودة إلى عالم المادة، وأجد على الأرض جماعة تعمل معي على تسليم رسالة الروح، فكما سبق أن فعل كثيرون آخرون من إخواني، أجبت وقلت نعم فليكن. وسلت إلي مهمتي.)

(وقيل لي إنه عليّ أن أبحث وأجد جهازا، وأربط نفسي بهذا الجهاز حتى يمكن من خلاله أن أظهر الرسالة التي كلفت بتسليمها. وعلى هذا بحث في تقاريرنا ووجدت وسيطي.)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ عبارة صوفية متناغمة مع الآيات الشريفة التي جاء فيها أن الإنسان هو خليفة الله في الأرض.

(١٦)

الإنسان

لاهوت الروحية وكتاب الحقيقة من الأزلية بأبويه إلى الأبدية بولديه روح خالد لا نهائي

حديث الجمعة

٢٣ جمادى الآخرة ١٣٨١ هـ - ١ ديسمبر ١٩٦١ م

ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب.
ما كان لعقل في سجنه من كائنه المادي أن يكلمه الروح إلا وحيا أو من وراء حجاب برسول من
المادة في عالم المادة أو برسول من النور في عالم النور.
ما كان لبشر أن يكلم باطنه ظاهره إلا وحيا أو من وراء مرآة له من نوعه. وما كان لظاهره أن يرتفع
بكلامه لباطنه إلا تضرعا خفيا أو من وراء حجاب من نوعه من ظاهره.
إن البشرية هي انعكاس لعوالم النور وعوالم النار في سرايل من قطع الظلام.
إن الله قائم على كل نفس بما كسبت.
إن الله أقرب إلى كل نفس من حبل الوريد.
إن الله قاب قوسين أو أدنى من الإنسان.
هو معه أينما كانت نفسه، سواء أوجها في الأرض مكونا، أو أخرجها منها باعثا، أو عرج بها في
السماء معلما، أو ردها إلى الأرض مرسلا.
إن الذي خلق الخلق، يوم كان ولا شريك معه، هو على ما كان عليه لا خلق معه ولا شريك له.

إن هذا الذي جاء به الأنبياء جميعا بلاغا محمولا للناس، وقام به عباد الرحمن قياما مدركا لأنفسهم، مثلاً أعلى لله في الناس، مشهودين به من الناس قدوة لهم وبشرى لمآلهم، هو ما يعودون به مع من صلح من أمهم أرواحا وأقداما ليبينوه مرة أخرى للناس.

يقيمون الدين ولا ينفرون فيه. ويوحدون أنفسهم ولا يتشتتون بها.

إن الذي تأتي به الروحية في هذا الوقت، وقد كان في قديم عصر من الإنسان قاصراً على الحكماء والأولياء والرسل والأنبياء، أصبح حقاً منشوراً، وأمرًا للناس موفوراً، وعرضاً للناس يكسبونه ما كسبوا أنفسهم، ويعرفونه ما عرفوهم من ربهم، ويعرفونهم من ربهم ما عرفوا لهم بابا يطرقونه، وإماماً يقتدون به، وطريقاً يسلكونه. ولا يقوم رشادهم ولا يتبهاً استعدادهم ما لم يقيم لهم في أنفسهم عقيدة عن أنفسهم من التراب أو النار أو النور، وأنهم ليسوا لباسهم من جلايبيهم من مادتهم بذواتهم، وعرفوا أنهم أرواح وأن أجسامهم لباس من أشباح، وأن ذواتهم من المادة ظلال نفوسهم من النار، وأن نفوسهم ظلال عقولهم من النور، وأن عقولهم قيام أنوار أرواحهم، وأن أرواحهم قيام من الأعظم من روح ربهم، فعرفوهم وجوها وقياماً له، وعرفوا أن ظلامهم لن يغلب النور فيهم وأن حجبهم عن الظهور إلى حين، وأن الليل كما يعلمون بفجر يومهم سيسقط يوماً، وسيتحرر بسقوطه جلابب النور منهم دوماً، وعرفوا أنهم بظلام ذواتهم وبالتواء نفوسهم لن يعطلوا عمل الروح في معانيهم، ولن يحرّمه الوجود في مبانيهم، وأنهم بصفة العدم فيهم لا يستطيعون أن يقضوا على صفة الحياة لهم، فالموت لا يغلب الحياة، ولو غلب الموت الحياة ما وصفت الحياة بالحياة، إن الحياة إنما هي صفة الحي القيوم، الحي الذي ما أحياه حي من قبله، والقيوم الذي لا يقوم عليه ظلام ولا يتغلب عليه عدم.

إن الإنسان بجلابب قيامه لباطن معناه إرادة ومشئته. وإرادته فاعلة، ومشئته قادرة قابلة. وليس له في الوجود بقانونه إلا ما سعى. فلو وجه إرادة معناه إلى عالم مبناه لرأى الحياة. وليس له من الحياة أكثر مما يجمع لنفسه منها في نشاطه وعمله اليومي وفق النية المقترنة بما يصدر عنه من الآثار.

إن البشرية في حقيقتها إذا عرفت أنها إنما هي أقباس الحياة في سرايل العدم، أنها إنما هي أقباس النور في سحب الظلام، أنها إنما هي جذوة النار المقدسة في بواقها من الطين، أنها صفات الحقيقة في ظلال الخليفة، أن الظاهر بها مرآة الباطن لها، لكان للحياة البشرية على الأرض شأن آخر.

إن هذا الحق البسيط من أن الإنسان من الله متواجد، وأنه بالله قائم، وأنه إلى الله يعود.. هذه الحقيقة المؤهلة للإنسان، هذا الحق المقدس لمعنى الإنسان، هذا الحق المكبر لقيام الإنسان، هذه

الحقيقة البسيطة، أنك من الروح العظيم، وأنك إلى الروح العظيم، وأنك بالروح العظيم قائم، أمر جالب للسكينة داع إلى السلام.

هذه الفكرة، التي إذا وجدت لها محلا للغرس في العقل البشري لكانت مولد ثورة في الذات، وفي النفس، وفي القيام، وفي المعنى، لمن غرس هذا الصدق في عقله فأدرك أنه من ربه، فارتد ببصره من التقلب فيما حوله في السموات والأرض راجعا إلى أعماق نفسه، منقبا في ضميره ووعيه، ارتد إلى ذاته أرضا وليدة ودنيا جديدة من الأرض التي ولدتها وبخيراتنا غذتها، وهو على صدرها يدب، وبسمائها يستظل، ومن شمسها يستمد، تهبه الحرارة والنور والحياة.

إن الكائن البشري بين الأرض والشمس هو القمر الوليد، والعالم الجديد يستمد النور والحياة والإشراق من أبيه وشمسه، ويجدد أنسجته من أمه وأرضه. إن الأرض والشمس أبواه من الطبيعة، ومثالا عن الحقيقة. إنه اليوم إلى الأرض ساكن وراكن، وإلى الشمس راغب وطالب، فإذا ما نضج جلده ووعيه، وقطف ثمرة من شجرته فتحقق له الطلب، وقذفت به أمه الأرض قرا بمعانيه إلى شمس أبيه الذي يؤويه، فجمع الشمس والقمر، وكشف له الأمر والخبر، يومئذ يعرف أنه لا إلى مادة ينسب ولكن على نور يحتسب، وأنه قد وضع عنه حملة فلا وزر، وعتقت رقبتة وتحررت نفسه فلا ضجر. يومئذ يسبح في لا نهائي الوجود، متواجدا له، لا يعرف سجن ذاته، ولا قيود جنة عرضها السموات والأرض، ولكنه بسلطان الله في وصفه، وبوجه الله لمعناه، وبقبس نور الله سربال جلبابه لذاته وأناه، انطلق، عتق، عتقت رقبتة من تواجدته في سجنه وقيده، فأصبح بيتا عتيقا وقلبا طليقا، رفع على سفن لإنسانية الله في ظل قوانين وجوده، بيتا أذن أن يرفع وأذن أن يذكر فيه اسمه، بيتا لله، وكتابا لله، ووجها لله، وقلبا لله، وغرفة لله، وقياما لله، وعالما لله.

هذا الحق البسيط الذي تأتي به الروحية في هذا العصر، الذي يأتي به عالم الروح في هذا العصر لعالم البشر، وهو منه، وهو أصله، وهو قيامه، وهو روحه لذاته، وباطنه لظاهره، وغيبه لشهادته، وهو قيامه في وحدته، هو من هو أقرب إليه من جبل الوريد، هو من هو قائم على كل نفس، هو من هو محقق لكل نفس ما تريد، هو من هو على كل نفس شهيد.

هو بعث الحق في الخلق، هو قيام الخلق بالحق، هو علم الساعة لمن اجتازها وعلمها، ولمن يريد أن يجتازها ويعلمها، هو علم الساعة ييهت من لا يخشاها ولا يعلمها، ييهت من لا يؤمن بها، هو الدين الحق، هو الحق الذي قام وراء كل دين، هو الحق الذي أخذ بيد كل مؤسس لدين، هو الحق الذي قام به كل الدين، وقام به اليقين عند من قام عنده اليقين، هو لا إله إلا الله، هو لا موجود بحق إلا

الله، هو آدم الله لآدم خلقه، هو محمد الله لمحمد الناس، هو الناس، إمام الناس، وظاهر الناس، وغيب الناس، من رب الناس ملك الناس إله الناس.

هو رب الناس لمن عَشَقَ المثل الأعلى في الناس ضرب لهم من أنفسهم، ربا وإلهها وغيبا، يحمله من جهل فطرة الله، وصبغة الله، ورسول الله، ودين الله، والحق فيه من الله، ويعلمه من هو وجه الله، وكتاب الله، في تقيده بذات لعباد ذاته قريبا، وهو معنى الله في متابعة انطلاقه، وإطلاقه في عظمته بعيدا، هو لطيف الله روحا لطيفا لا يدرك إلا عند الأرواح التي سقطت عنها الأشباح، وقامت بالروح العظيم وآمنت بالأعظم، خلق فسوى وقدر فهدى.

إن هذا الحق البسيط من أن الإنسان من الله وبالله وإلى الله، من الروح العظيم وبالروح العظيم، وإلى الروح العظيم في إيمان وعلم بالروح الأعظم، وفي قيام ويقين بالروح العظيم في الأعظم الواحد المطلق، اللانهائي السرمد، اللانهائي إلينا، واللانهائي منا، واللانهائي بنا.

إن الإنسان هو سر الأحدية وجهها للعظيم وقياما للأعظم. إن الإنسان هو وجه الله يتكاثر، وآدم الله وعالمه يتوالد بذاته ومبناه، يتجدد ويتكاثر بلا انتهاء حول مبناه لمعناه، يتواجد بموجوده بحقي الحياة تعاليا وتدانيا في أناه، فهو العظيم لما تواجد منه وهو الأعظم لما تواجد عنه. بذلك كان الإنسان محدثا على صورة محدثه، فهو عبد ربه ورب عبده، وهو إله ظاهره وظاهر إلهه، وبذلك عرف الإنسان مولاه في معرفته بنفسه، في معرفته بما أودع مولاه فيه من الأعلام عليه، علما له، ووجها لطلعته بمعانيه من ورائه محيط، وعليه قائم أقرب إليه من جبل الوريد، أقرب إليه من نفسه، قاب قوسين أو أدنى حتى لهو، لذلك كان المصطفى لآدم أصله بلا بدء. كرم وشرف فرعه وجديده بلا انتهاء.

إن الناس من الإنسان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، فلا ينتهي بهم القول إلى كشف تواجد الحق فيهم، وها هو عالم الروح من الملكوت الأعلى الذي كان على مثالهم يوم كان على أرضهم، يعود إلى الأرض، ويحاول بعظمته أن يجعل وجوده في عودته لأهلها على ضآلتهم ظاهرا، وبينهم قائما مستخدما أرواحا من ملكوت أدنى حتى يكون وجوده محسوسا مدركا مسموعا مشهودا، فيجمع أهل الملكوت الأرضي على من يعرفون من سبقهم في الملكوت الأسمى من ملكوت قيامهم أحياء متواجدين مواصلين، حتى يزرع في أهل الأرض وأبنائها صدقه لعقولهم فيكشفوا عن أنفسهم حجب ظلامهم، بالإيمان بما يأتيهم به من أنهم من الله وبالله وإلى الله على مثال مما آل إليه أمر سبقهم، وحتى يعملوا لذلك في ظل عقيدة سليمة عن أنفسهم.

فإذا قبلت الإنسانية هذا الحق البسيط، وصدقت بما يحمل إليها، وصدق الناس في طلب هذا الحق لأنفسهم وعملوا له كانوا صديقين لله، وكانوا آباء لأبنائهم وأوادم لما يتواجد عنهم من عملهم ونسلهم، وأولية عذراء لمن يحيا بالحق منهم أو يحيا بالحق فيهم من نفوس بكر، تبدأ الحياة بامتدادهم، فتستيقظ من منامها، وتنفض عنها حجب غفلتها وظلامها، فتقوم من سباتها وتفتح أعينها على الحق الممتد منهم فيها، وهي تنعكس إلى داخلها، وهي تدخل بيوت الحق من قلوبها، فتوقظ عقولها من منامها، وتحررها من سجونها ومن ماديات تواجدها وماديات روابطها، فتنفذ من أغلفتها التي تغلفت بها عقولها، كما تتحرر من الظلام تواجدت به قلوبها، فتملأ عقولها بالحكمة، وتملأ قلوبها بالحياة، تمتلئ روحا وتمتلئ حياة ووجودا، ثم تنفجر عما امتلأت به فتنتثر نجومها، ويتواجد سديمها، وتتجمع مجرتها فتتسع السموات بجديد من خلق لها يملأ فراغها بالحياة، وتعمل يد الله، ويقوم عضد الله، ويتجلى وجه الله فيعرف الناس أن خلق السموات والأرض هو الأكبر من خلقهم في تطور ظواهرهم ونمو جواهرهم، عوالم الله بما كان لهم في أنفسهم منه، بالله فيهم حقا وربا، بالله فيهم وحدة وتعديدا، بالله فيهم ظاهرا وباطنا، بالله فيهم متجمعا متوحدا، أو متفرقا منتشرا، بالله فيهم موجودا، وبالله فيهم وجودا، وبالله فيهم تواجدا، وبالله لهم وجها سعيدا ووجها مسعدا، وبالله هم موحدين 'مُوحدا، وبالله لهم تعاليا وتصاعدا لله بهم ظهورا وتواجدا.

هذا الحق البسيط أن الناس من الله وبالله وإلى الله، إذا دخل في الحياة اليومية يغير نظمهم في حكمهم، ويغير نظمهم في اقتصادهم، ويغير نظمهم في روابطهم، ويغير نظمهم في علومهم، ويغير نظمهم في سياستهم، ويغير نظمهم في حياتهم الفردية، وفي حياتهم من الأسرة، وفي حياتهم من المجتمع، ومن البشرية ومن الإنسانية، فيما يشهدون وفيما يطلبون وفيما يعرفون وفيما لا يعرفون.. يقلب مدنية الحياة الأرضية في صورتها المادية الحاضرة رأسا على عقب، وقد بدأ، وقد فعل، وإنه لفاعل، وإنه لمتم لما بدأ.

إن هذا الحق البسيط، إذا أخذه الناس جادين، وعرفوه صادقين، وطلبوه عاملين مجاهدين، يغير ما على وجه هذه البسيطة فيما يشهدون مما ينكرون أو يقبلون، فيما ينشدون وفيما يفتقدون، فبه يحققون ما يفتقدون، وبه يعرفون ما يجهلون، وبه ينكرون على ما يعلمون، وبه لا يأسون على ما يفقدون، وبه تعلل لهم مفاجآت الأحداث من الطبيعة والناس على ما يرون ولا يعللون ولا يتعظون، إلا في حدود إدراكهم عن المادة مخطئين مستكبرين، أو مسلمين جاهلين مستذللين.

هذا الحق البسيط من أن الإنسان من الروح وبالروح وإلى الروح على بساطته، هو كل شيء، ولا يخرج عن دائرته شيء، هو كل الأمر ولا يخرج عن دائرته أي أمر، ما عرفه الناس استقامت

أمورهم في أحوالهم، أفرادا وجماعات، أما وبشريات، أطباقا من الخلق ومن الروح فوق أطباق وبعد أطباق، يخرجون من الأرض إنسانية بعد إنسانية، بعثا وخلقاً كالجراد المنتشر لا يتوقف لهم بعث، ولا يتوقف لهم خلق، ولا يتوقف لهم رقي ولا يتوقف عنهم جزاء.

إن الساعة، إن الأمر المجهول، إنما هي يوم يتواجد بينهم الداعي لا عوج له، ليس محلا لريبة وليس محلا لشك، وليس محلا لنقد، يوم تقوم الأرواح بالأشباح في عيان، يوم تقوم الأشباح حبا للرحمن بالبيان نفشت الأصوات للرحمن، لقاء مع الديان، وجه إنسان لوجه إنسان، وجوه ناضرة لربها ناظرة، يومئذ يجيبون الداعي لا عوج له، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا، يومئذ يخرجون من أجداث أجسامهم إلى ربهم ينسلون، يومئذ يتحررون من أجسادهم ويبعثون من مقابرهم من قلوبهم، ويخرجون من ديارهم من ذواتهم، يتخلصون من مادياتهم، يتجهون إلى كعبتهم، يصلون إلى قبلتهم، يسيرون إلى حقي وجهتهم، يقصدون إلى وجه ربوبيتهم، ينسلون، ينسلون، يتحررون، متسترين، تعتق رقابهم من مادياتهم من ذواتهم مؤمنين، فتطرح نفوسهم سارية يسريها الله ويسري بها إلى المسجد الأقصى لعقولهم، من المسجد الحرام من قلوبهم، سدرة المنتهى من موجودهم، في وجودهم من الله وبالله وإلى الله، من الروح العظيم يتواجدون، وبالروح العظيم يقومون، وإلى الروح العظيم يصيرون في اللانهائي الأعظم للانهائي معانيهم به، ولا نهائي عطائهم منه، ولا نهائي تواجدهم فيه.

بهذا الحق البسيط الذي تأتي به الروحية في هذا العصر يتغير وجه الأرض وكم تغير ببوارقه من قبل، وتغير معالمها وكم به تغيرت وبالعفلة عنه رجعت، في قائم وفي عاجل وفي آجل، إلى ما يريد الروح، ويرضي العقل، وتقبل النفس، فيرث الله الأرض ومن عليها بظهور عباد رحمته لعباد غفلتهم عنه، وبظهور حقه لحقائقه، وبظهور خلقه لخلائقهم به، وبظهور فعله لانفعالاته.

لقد جاء محمد عبد الله ورسوله بهذا الصدق وهذا الحق البسيط، جمع من شتات وشتت من اجتماع، جمع من الله وبالله وإلى الله، فكان بيننا بعثه، بقديم حقه وقديم إنسانه، بدءا لجديد له، على ما كان في قديم منه، فكان محمد بذاته، وبصفاته وبمعنوياته، وببيته، وبأسرته، وبأتمته وببشريته من قيامه، وإنسانية عصره عنوانا على معنى الإنسان في حقه البسيط من الله وبالله وإلى الله.

أرجع البصر كرتين فكان له ما أراد بما يراه في نفسه، ما كذب الفؤاد ما رأى كان وما يريد مع ما كان يجهل، كان وما يريد مع ما كان يرجو ويطلب، كان قاب قوسين أو أدنى من حقه لخلق، من ربه لعبده، من أزله لأبده، من غيبه لشهادته، كان القديم أو كأنه، وكان الآتي أو كأنه، وكان الحق

القائم على النفوس أو كأنه، به جاء الحق ومنه أمر، {وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً} ٢.

أخرج المكذبين له من أهل الكتاب من صياصيم لأول الحشر فكان أول الحشر وأول الساعة وأول القيامة، وكان الحاشر وعلم الحشر وعلمه، وكان الساعة وعلم الساعة وعلمها، وكان القيامة وعلم القيامة وعلمها، البدء على ما بدأ، والانتها على ما به بعث وإليه انتهى عند كل طالب للحق قائماً لا يغيب، عند المؤمن بالقيامة في قيام الله على كل نفس، عند المؤمن بالساعة في إيمانه بالله بالمرصاد سريع الحساب، سريع العقاب، سريع الإجابة لمناديه وداعيه، لا يحدث في وجوده حادث بجديد له، أو جديد فيه، فأمره على ما اتصف قائم بما وصف، في أزل وأبد وقيام.

أبلغ رسول الله هذا العلم على إجمال بإشارة، وعلى إفصاح بعبارة، وأقامه على إعجام في فعل أو تليح في قول، كما تخير للإيضاح والأمانة لهذا العلم من قومه في عصره القليل ممن تخير له، عترة لكتابه، ودواما لخطابه، وتجردا لوصفه، ودواما لوجهه، وجعل منهم عترة الكتاب، وصنوه، وأساس الدين وعماده وإقامته، فاختر لنفسه أعلاما لم يبح بها لغير نفسه، ضمانا لأمان أمره، وقيام رسالته، ومواصلة رحمته، عرف عن أحدها نفسه من بيته وأهله، معرّضا له للبلاء ومصطفيه للابتلاء، لتقوم به قدوة ظاهرة وأسوة صابرة، فيجعله باب مدينته، وكتاب كلمته، وترجمان مقالته، ومظهر أحواله، وحوض رحمته، ووجه حضرته، فواصل بالخير كله.

فارق الرسول ولم يأخذ معه شيئا من هذا الخير كله، فترك بيته وعترة وأمتة في البشرية الخير كله، ترك البسمة لأمتة لم ترفع معه، وهي تشريفه وشرفه، وبتركها لأمتة من بعده زاد تشريفه وشرفه، فعرف من أمتة ما في نفسه، من صار بحبته نفسه، فآله وبيته وكتابه وعترة، أعطى ما أعطيه مما احتفظ به من العلم لذاته وذواته من ذويه، وقام بما قام به من البسمة باقية في أمتة، بقاء فيه، فبقي الرسول للناس ببقاءها، وتجددت وتعددت ذاته بتجدد وتعدد أهلها، ممتدا بالنور الذي أنزل معه، وبالحق القائم به من ربه، وامتد صراط ربه مستقيما قياما به بامتداده في أمتة من صالحها من الناس والناس جميعا له أمة، امتدادا لسبيله على بصيرة، هو لا يغيب، ومن اتبعه يتجدد، نورا لله متزايدا، وظلا لله ممتدا، ورحمة من الله مهداة.

فكان ختما للنبيين وبدءا للعابدين، ومثلا أعلى للأولين وبشرى للآخرين، ما أعطيه فلأمتة، الخير فيه وفي أمتة إلى يوم القيامة، لا زالت طائفة منها قائمون على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى قيام الساعة القائمة في إيمان المؤمنين، والقيامة القائمة في قيام المؤمنين، ولا قيام لهما عند المكذبين، إلا يوم تبهتهم سطوة العارفين، الذين كانوا ببدئهم على الأرض هونا يمشون، وسلاما للجاهلين يخاطبون. إن

القيامة والساعة إنما هي يوم ينصر الله عباده على خلقه، فيولهم أمر الأرض، فبهم يرث الأرض، وبهم يقيم ملكوت السموات ممتدا إلى الأرض، فتبدل الأرض غير الأرض، ويعرف ويسود شعب الكتاب ونور الأمم.

لقد جعل الله المثل الأعلى في العوالم في السموات والأرض مثلاً له، فكان بذلك مطلوب أهل السموات وأهل الأرض لأنفسهم على ما هو مع المثل الأعلى منهم ليكونوا بجهدهم، فكان محمد هو المثل الأعلى من أهل الأرض لأهل الأرض، وكان ربه المثل الأعلى من أهل السموات لأهل السموات.

وكان وربه أعلاماً على الغيوب وعلماء بالغيب والشهادة لعوالمهم، فكان في تعالیه وترقيته في طريقه إلى معاني ربه وعالمه، وكان ربه في تدانيه وتقاربه من خلقه إلى معانيه وعالمه. ولذلك قال الرسول خلفت الله عليكم، وهذا أخي جبريل جاء يعلمكم دينكم. كما قال فاطمة ابنتي روجي من أغضبها أغضبني ومن أغضبني فقد أغضب الله. اتبعوني فيما أنا فيه إلى ما أنا إليه يحبكم الله، ولا تؤمنون حتى أكون أحب إليكم من أموالكم وأولادكم وأنفسكم. كما قال الله {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً}³.

فقال هو إذا كانت القيامة - من قيامه في معاني ربه لعالمه - انقطع كل نسب وحسب وسبب وصهر إلا نسبي وحسبي وسبي وصهري. أقربكم مني منازل في القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطؤون أكثافاً الذين يألفون ويؤلفون.

لقد انتهى رسول الله إلى مراده، وقامت في ملكوت الله الأعلى حضرة، وقامت بالله قيامته، وجلس في ملكوته يقول يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي فيما تقدم وتأخر من ذنبي وجعلني من المكرمين.. فأذن له الله أن يتصل بأمته وأن يعلمها بما آل إليه أمره.

وها هو يرسل باسم الحق أبواقه من ملئه في الملكوت الأعلى أرواحاً مرشدة. وها هي الأرض تنشق عنه نفوساً مستجيبة لنداء الروح العظيم. تكاثرت لطلعته للناس وجوهه، وتعددت لنجدتهم أياديها. وامتدت للفقراء موائده. ونصبت للراوين أحواضه. فسعت بين الناس أقدامه. ورفعت لهم بينهم في اجتماعهم عليه أعلامه في مشارق الأرض ومغاربها...

دوائر الروح، وهل يحيا المادة غير الروح؟ وهل يسعد المادة غير الحياة؟ ها هو روح قدس الله.. ها هو رسول الله، يعمل لخلاص عالم المادة من المادة.. ها هي المادة تتكشف عما فيها من الروح الأعظم بالروح العظيم.

ها هو الحق القائم على كل نفس يسفر بوحدايته في كل نفس لكل نفس.

ها هو الحق المرسل لرسله للناس من أنفسهم يتكشف عن نفسه في وحدة الناس، واجتماع الناس عليه، أقرب إليهم من حبل الوريد، أقرب إليهم من أنفسهم.

ها هو الروح الأعظم يظهر في الناس للناس.

ها هي المادة تخشع. ها هي المادة تجزع. ها هو الظلام ينقشع. ها هي النار في الهشيم تندلع.

ها هو النور في آفاق الظلام من النفوس يشرق.

ها هي جبال النفوس تدك قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمثا.

ها هي أرض النفوس تزلزل زلزالها وتخرج أثقالها، ويقول الإنسان في حيرته مالها، فتحدث للبصير السميع أخبارها على ما كان من سبق أخبارها، فيبصر ما لا يبصر، ويسمع ما لا يسمع، وقد عمها الوحي بما أوحى لها فعلت نفس ما قدمت وأخرت من أمرها، وقد تشتت بين أرضها وسماها، بين روحها ومادتها، بين ظاهرها وباطنها، بين منادياها ومجيبها من أمرها، فعلت ذراتها من الظلام والنور من أعمالها مردودة إليها.

ها هي حقائق الدين تتكشف للمتدين، ها هي وعود الدين تتحقق لأهل اليقين على إشهار، وقد كانت على إسرار، ها هي القدرة تتعدد للطالبين على سفور، وقد كانت بين القبور. ها هي الأسوة تظهر بين الغافلين بجهد واستشهاد. ها هي السماء تطبق على الظالمين. ها هي النفوس تتحرر في العالمين.

لقد بقي معنا رسول الله بقاء اسم الله في أمته، حيا في قبره من قلوب الناس نائمين، صائحا من منبره، بأحياء القلوب عاملين، ومع الله في الناس متعاملين.

فمن الناس آدماء، كان إلى الناس انطلاقه ليعم في الناس خيره، ويتحقق بدوام رسالته للناس اقتداؤه، وتبقى فيهم رحمته وأسوته، آدم أودمهم، وأب آبائهم، وابن أبناءهم، وحق حقائقهم، وثمرة حقهم وعين حقيقتهم، عبدا لعبوديتهم يحتذى، ورسولا لرسالاتهم يقتدى، وحقا لحقائقهم يرتجى، عبد الله ورسوله من أنفسهم...

ومن النور قبسا من نور الله، إلى النور كان انطلاقه، وإلى الرفيق الأعلى طلبه، فتوحد وتساوى ورفيقه وربّه ومعلمه، محققا الأعلى منهما لهما سؤلهما، فاستخلفه خليله وحبيبه وعينه على الناس، منطلقا إلى الأعلى من آفاق النور لخيرهما في سرهما وجهرهما، فأرسل من حضرته لحضرة الناس باسم ربه رسله، وقد دفن بين الناس بظلامهم أمره وخبره، وانطوى اسم الله في أمته على نفسه من

ذاته وجوارحه من بيته وطائفه، وحرمة وعاكفيه، ورفعت الأعلام في مشارق الأرض ومغاربها للشياطين، وتهامس الناس على وجل باسم الرحامين، فتوالت مواكب الروح تحف بها ملائكة الرحمن إلى الناس في مقابرهم موقظة، مبشرة منذرة، فاستقبلتها البسمة في أمته مرحبة، وصاحبها بنفوس مفتقرة مطالبة، على سنن مما كان يوم كان الرسول بنفسه على الأرض بين النفوس، فجاءته رسل ربه من الروح والملائكة، معينة جابرة، هادية راحمة، موفقة ناصرة.

إن الذي كانه محمد والذي آل إليه أمر محمد، هو في قديم له من أقدم كان، وإليه قبل أن يؤول إليه آل. وهو ما لم يعرف به، وما عرفه فيه إلا قديمه، هو له من ربه ربه، ولم يؤذن به لبيانه فيقومه في تكرار فقام فيه على سبق له لامتداد أزله في أزلية ربه، فكان ما أنزل عليه من ربه في مشهود ذاته من كتاب قيامه لكتاب دوامه، به يقوم وبه يبين، ومنه يستعين، إنما هو أصله منه آدم ذاته وجماع كلمات ذواته وبيت تدانيه، من بيوت رافعيه بدرجات معانيه، بيت مكثه بقيامه، وجديده بسلامه، ومتجدده لأعلامه، بمنابر لبيانه. ولكن الناس صرفوا حبه إلى تراب لاهوته مظاهرين غافلين عن دوام قدسي ناسوته بينهم قائم من أنفسهم، وفي أنفسهم، يتكشفونه لأنفسهم وفيها عاملين إذا طلبوه فلاقوه فتابعوه في الله مجاهدين وله في أنفسهم طالبين.

وها نحن في هذا الزمان وفي هذا العصر، وقد غفلنا عن ذلك وحاربناه المرة بعد المرة، حتى اختفى بيننا خبره، وتشابه علينا أثره، يقوم لبقية الحق المتواصل بيننا عنوان عليه معجم عبد الله بيننا يتكلم بجهاز مشهود، يحمل اسم المعلوم ووصف عوده المرقوم هو روح قائم قيوم باسم رمزي معلوم يحجب عنا حقيقة أسمائه، ويدعوننا بأخوته وأبنائه. يظهر لنا بوجه رمزي ثابت يحجب به عنا وجوهه في الحق الثابت، وإن كانت الحقائق لا يعنونها اسم ولا يجليها للظهور رسم، فعرفناه من نحب، وآمناه من نؤمن، ونعتناه على ما نرضى للمنوعات بكل ما نرضى. فلم ينكر علينا ولم يردنا عما إليه انتهينا. وأراد أن يزيدنا وضوحا فكشف لنا عن الدقائق مما يقوم بالحقائق، فعرفناه جديدا لرسول الله من جديده، وقديما لرسول الله من قديمه. جاء مع جديد رسول الله الحارث حارثا. وعوفي مع رسول الله إلى الرفيق الأعلى عافيا. كان في قوم رسول الله من قريش غريب قومه بأصله من اليمن رمزا لليمن والإيمان، رجلا من أمته عرف الرسول على ما يليق بالرسول، بموهوب أمره، روحا من روحه وسرا من سره، فقام به في سره وجهه. اقتداه محبا فهدى وحائرا فعوفي، فرآه منه في حاضره، ثم رآه منه في قديمه، ثم رآه منه في قديمه إليه في جديده، يحمل منه إليه، فعرف نفسه، وعرف ربه، وعرف أمره، وكرم سره، وأقام من أصحاب الرسول جمعه.

وها هو في هذا العصر يقوم بما قام به في ذاك العصر، على دقة في تقابل، وعلى استقامة في تعامل، وعلى حقيقة في توحيد، وعلى شريعة في تعديد، قديم من قديم، وجديد من جديد، وقديم لجديد، وجديد لقديم. كان للرسول وربّه لا شريك لهما منه، فكان له الرسول وربّه لا شريك لهما منه. أحب الرسول وآمنه حتى كانه، فكان منه من كانه. قرأه الرسول كتاب نفسه وهو إليه، وأقرأه الرسول كتاب نفسه وهو فيه. إنه أحد أصحابه الذين ما عرفوا في عصره ولا من بعده لما ظهوروا به من ضالة في شأن المادة ومتعلقاتها من أمور الدنيا. إنهم الشعث الغبر الذين إذا أقسموا على الله بمكانتهم عنده لأبرهم. صدقوا رسول الله فيما قال، وصدقوا الله فيما جاهدوا فصدقهم الله ورسوله بما وعد، فقاموا بهما وكانوهما.. وها هم اليوم في هذا العصر يظهر ونهما.

هؤلاء هم جماعة الأخوة البيضاء الذين يظهرن بأسماء مستعارة في عالم الغرب، والذين وعدوا برفع الحجاب عن معانيهم من حقيقة الحقائق الذي يظهرن به، وهو الروح الأعظم لهم بوصفهم أرواح عظيمة.

هذا هو قديم الحق البسيط وجديده كلما تجدد برسالة. جاء به محمد الفطرة يوم حمل للناس البلاغ - أن الله قائم على كل نفس بما كسبت - أقرب إلى كل نفس من جبل الوريد، مع كل نفس أينما كانت، مولجة في الأرض بتكوين أو خارجة من الأرض بتمكين، أو عارجة في السماء برقي، أو مردودة من السماء ببعث أو رسالة، ويوم جاء محمد الناس بتحذير الله لهم أن يضع الناس نفس الله من نوره لنفوسهم من الأرض بظلامها.

هذا الحق البسيط الذي تجددته الرسالة الروحية في هذا الزمان فتجدد الإسلام بكتابه، وتكشف الإسلام على فطرته، وتنفض الغبار عن عقائده، وهي تقول لنا أنتم بالروح العظيم، وأنتم من الروح العظيم، وأنتم إلى الروح العظيم، آمنوا بالروح العظيم أنتم فيه هو يشهد لكم في أنفسكم، وآمنوا بالأعظم قيام الروح العظيم منه خلقكم، وفيه عين معناه يعطيكم ما عملتم أن تكونوا به للانهائي فيكم. أنتم به فيه بمعناكم لمعانيه إرادة مطلقة لا تحد ولا تعجز. خلقكم أشباحا ونفخ فيكم من روحه أرواحا، وكشف عنكم غطاء مادتم فعرفتموه في أنفسكم بوحدايته فعرف، وأضيفتم به الدوام على كيان ذاتكم فقامكم فشرف فكنتم له وجوه، وصرتم به نجوم، وقامت بكم عوالم، فعرفتم الحق لا شريك له، وعرفتم الرحمة في غنى عن العالمين، وعرفتم الوجود ذات موحدة، وعرفتم الله روح موجودكم.

اللهم اكشف حجاب الغفلة عنا، اللهم ازرع في أرض ناسوتنا كلمة الحق لك، وتعهد غرسها ونموها وإثمارها وإغداقها وأبديتها وأزليتها وسرمديتها بك يا أرحم الراحمين.

اللهم اغفر لنا وتب علينا وتولنا في الصغير والكبير من شأنا، وأنزل السكينة والسلام على نفوسنا وأرضنا وقيامنا وإنسانيتنا.

اللهم ادفع عنا بلاء أنفسنا وبلاء الأشرار من خلقك، اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك. اللهم وفقنا وسدد خطانا واكشف حجاب الغفلة عنا حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، يقظين وغافلين. اللهم هيئنا لما خلقنا له باليقظة إليك، وقنا شر ما تهيئنا أنفسنا له بغفلتنا عنك، وأتمم لنا نورنا وأتمم لنا يقظتنا. وأتمم لنا سيرنا، وأتمم لنا يومنا في إشراقك، وأدخلنا في ليل رحمتك وسكينتك، ولا تدخلنا في ليل الغفلة عنك بما كسبنا.

اللهم إنا من ظلام أنفسنا قد تحررنا وتخلصنا برحمتك، اللهم فاعتق رقابنا من النار، وأطلق عقولنا في ملكوت جودك، وأطلق أرواحنا في سبحات وجهك الكريم. اللهم حررنا منا، وحررنا من الكون بسفليه وعلويه.

اللهم اجعل منا عبادا لك مخلصين لأمرك، صادقين في الوجهة لمرضاتك برحمتك لا باجتهادنا ولا بعملنا. اللهم أدخلنا حضرة رحمتك، وألحقنا ببيت عزك في بيوت عباد قربك وأهل رحمتك وقيام ذكرك.

يا أرحم الراحمين ارحمنا، يا أرحم الراحمين ارحمنا، يا أرحم الراحمين ارحمنا.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الأصلية المراجعة من السيد رافع.
- ٢ سورة الإسراء - ٨١
- ٣ سورة النساء - ٦٥

(١٧)

الإنسان الخالق في ثياب الإنسان المخلوق في اللانهائي بحقه وخلقه

حديث الجمعة

٣٠ جمادى الآخرة ١٣٨١ هـ - ٨ ديسمبر ١٩٦١ م

باسم الإنسان لنا نشهد، وبالإنسان علينا نبدأ، وإلى الإنسان بنا نرجع.
باسم الإنسان الأزلي في الأبدن لنا منه نستعين وإليه من علام الغيوب نستكين.
بالإنسان الرحمن الرحيم نقوم، إلى الإنسان الخالد بلا صاحبة ولا ولد في أبدي ولدنا لنا منا نتجه
لنتواجد خالدين.
بالإنسان في أنفسنا يقوم وعلى أنفسنا قائم، ومن أنفسنا يقيم، منه نستمد وبه نستعين، وإليه به
نتوسل.
إن الإنسان سرمدي في حقيقته، أزلي أبدي في أبوته وبنوته، بحضرتي الله له، من أزلي حضراته
بآحاده لا بدء لها ولا انتهاء لقيامها.
إن الإنسان في قيامه خلقا وحقا، عبدا وربا، ظاهرا وغيبا، يقوم بذكر الله، ويعلم الله، وبأعلام الله،
وبكتاب الله، وبوجه الله، في جماعه وفي اجتماعه بوحدايته. يحيا بمفرداته من حياته بجماعاته، ويحيا
في جماعاته من حياته في مفرداته في أبدي تواجده يتواجد، على مثال من أزلي وجوده تواجد، حتى
يكون ابنا وأبا، وعبدا وربا في آن واحد، وذات واحد بلا توقف لبنوته، ولا حصر لأبوته صفة
اللانهائي بحقه لوجوده في خلقه، لإظهار معناه وعلم وجوده لوجوده، خلقه لنفسه، وخلق له لإرادته،
وخلق له ليعرف في نفسه بنفسه من نفسه من أوجده لنفسه.

إن الإنسان هو أزلي الله، في ظهوره من كنزيتة، وهو قائم الله في شهوده من غيبه، وهو باقي الله في دوام الله في أبديته، من قائم ومحدث خلقه لنفسه.

إن مفردات الإنسان من الإنسان وجوهه وأعضاؤه، وأبعاضه تقوم في وحدته، حقاً كبيراً وأمرأ خطيراً، وحضرة حية قائمة، عنواناً لحضرة مقيمة دائماً، وحضرة ظاهرة عنواناً لحضرة باطنة، حضرة أرضية عنواناً لحضرة علوية. إن عوالم أعضائه أو أعضاء عالمه تقوم في صور أعضائه سماوات علوية لمفرداته.

إن الظاهر من الإنسان مرآة الباطن من الإنسان، علماً على الحق فيه، وعلى الحق به، وعلى الحق منه، وعلماً على الحياة، وعلماً على الحي القيوم، خلق الموت والحياة ليلو مفرداته أيهم أحسن عملاً، خلق الموت لمفرداته لا يلحقه موت في جماعه وذاته. خلق الموت يطرأ على الحياة المعارة لمفرداته من أمانة وجوده، عند من أوتمن لها من خلقه. حملها الإنسان المخلوق، ليمثل بها الإنسان الخالق، ليفعل بها ما يفعل الخالق بفعله على ما فعل له، وقد أوجده على مثاله. بدأه من حياة جزئية تقوم في حياة عمومية ثم خلق له الموت، على جزئي الحياة العارية فيه ليسقط عنه الغفلة، وليحرره من الضيق، وليدخل به من باب العدم إلى طريق الوجود. باب ظاهره من قبله العذاب، وباطنه من قبله الرحمة، يبدو ثم الخياط، ينفذ الإنسان منه، على ما هو عليه، من مطية الحياة للحي القيوم إلى حياة الحي القيوم، من حيوانيته إلى روحانيته، من فيزيقيته إلى نجميته، ومن نجميته إلى معنويته من فكره ووعيه وإرادته، ينفذ من ثم الخياط كما تنفذ صور الكائنات من بؤرة عينه إلى صدفتها ومرآتها. ينفذ بوجوده من الله المطلق إلى إطلاقه من مقيد ذاته من بؤرة قلبه.

إنه نور منطلق لا يحجزه ثم الخياط من محدود ذاته، ولا يحبس حابس من غير فعله في عقر داره من بيته من جسده. إن الموت المخلوق له لا يقوم على حياة الخالق فيه. ولكن الموت المخلوق يقوم على جهازه ووجوده المخلوق له.

إن الكائن الإنساني من البشرية بمقامها، لا بقيام فطير تكوينها فيها، وقد نفخ فيه الروح العظيم من روحه، لا يطرأ الموت على روحه ولكن لها تتضاعف الحياة. ولكنه فيما خلق له من عالم صغير بجسد من مادة، فإنه قد يطرأ الموت على ما خلق له من جسده، ومن مادته، حتى ينطلق روحاً، ويعود إلى حريته، لا تحجزه السموات ولا تمسكه الأرض. ينفذ من السموات ويتحرر من الأرض، وينطلق في لا نهائي الوجود. يملأ فراغ الوجود بالحياة من حياته. حرره الله وعلمه الله وأقرأه الله كتاب نفسه، ومكّنه الله من عالم وجوده بذاته في مادياتها وفي نجميتها، وأمره وأذن له ومكّنه وخلّقه أن يوجد نفسه لنفسه بنفسه على ما كان له من الله، وعلى ما عرفه مرة وأخرى.

فأوجد لنفسه في نفسه آدمه بأديمه على صورته، وتعارف إليه، بعين معناه، فتعارفا. عرفه آدم باطنه لظاهره، وجعل من آدم باطنه لظاهره عنده في ملئه لا فرق بينهما. فأوقف الوجه ذو الجلال منه، من اللانهائي ظاهره بين يديه عقلا له، وعبدًا له، وأمره في أمره لنفسه، أدبر فأدبر، وأقبل فأقبل، فقال له لا فرق بيني وبينك، وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أعز عليّ منك.

ما كان ما نقل الرسول إلينا عن نفسه، أو عن ربه، أو عن أخيه ووحيه من بيت ربه من الأعلى من رفاقه، ما كان كله إلا تعريفا لنا عن الإنسان، في حقه وخلقه في ظاهره وغيبه، في تواجده وموجده، وفيما أوجد لنفسه. إن الرسول قد جمع المعرفة كلها في حياة الإنسان بظاهره ومنها عرف حياة الإنسان في غيبه، سواء في أزله من قديمه لا بدء له، أو في أبده من محدثه بباقيه لا انتهاء له، وهو ما جمعه في ثالث من كلمات، يوم قال لنا (الظاهر مرآة الباطن)^١. من طلب أن يعرف الغيب فعليه أن يتعلم ليعرف عن الشهادة، يتعلم من الشهادة بعلم الشهادة، ليستقبل العلم من الشهادة، وهذا ما عناه اللانهائي في بلاغه يوم حمله معناه في رسوله إلينا بقوله {الرحمن فاسأل به خبيرا}^٢. إن الخبير بالرحمن معنى يقوم بعباد الرحمن، بخلق الرحمن، بوجوه الرحمن، الرحمن من وراءهم محيط، وعليهم وبهم قائم، أقرب إليهم من أنفسهم، كشفوه لأنفسهم بوحدانيتهم، يوم طلبوه، وأسقطوا معاني الأنا عن فيزيقيهم إلى معاني الروح لهم ومعاني الروح فيهم ليعرفوه فقام الروح في قيامهم.

هذا الحق الصريح، هذا الحق الواضح، هذا الحق القريب، هذا الحق القائم، أن الإنسان روح من الأعظم من الروح، من الروح اللانهائي. إن الإنسان عالم صغير من عالم كبير في ذاته، ينمو ويكبر، على مثال من أبويه، من عوالم إيجاده في بيئة عوالم تواجده في الوجود الأزلي السرمدي الذي لا ينقطع اتساعه، ولا ينقضي ولا يزول ولا يحول وجوده، في آحاده من آحاده بواحدة.

إن أمة محمد إنما هم القيمة على الناس بدينهم، هم نور الأمم بأئمتهم، الذين هم شعب الكتاب بأناجيل صدورهم، عترة لرسوله، لا شرف عندهم لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، شعبا لله مختارا من سائر الأمم، أئمة للناس بما نفخ فيهم من الروح العظيم من الروح تعرضوا له حول محمد من أنفسهم، إماما لهم وبيتا موضوعا لمرفوع بيتهم لمعبودهم اللانهائي.

إن تحريف كلام الله عن مواضعه أضاع الناس في أوضاعهم، وحرهم من مواضعهم من التواجد فيه، أيدي الله وعضدا لله، وأقباسا من نور الله، ووجوها لله، وحضرات لله، وكلمات لله، وأسماء لله، وصفات لله، وبيوت لله يذكر فيها اسمه. ترفع وتوضع بسلطانه، وتعرف وتغيب بعنوانه أن الناس من الله تواجدوا، وبالله يقومون، وإلى الله يؤولون، وبيوتا لله يتواجدون، ووجوها لله سوف يظهرون، يوم يعلمون ويعلمون.

ألفاظا بألستكم تلوكون، واسما تذكرون، ثم معرفة بالله في هذا التردد تزعمون، وأنتم كالبيغاوات ترددون اسما، وتحددون وتُجهّلون لأنفسكم رسما. وأنتم في أنفسكم معناه، وبين جوانحكم ملكوته، وفي قلوبكم كعبته وهي لكم قبلته. فإلى أي قبلة تتجهون، ولن تصلون وحول أي معنى لبیت تطوفون، والله بينكم منكم، وفيكم لكم بوجهه ويده وبعينه، ينظر ويعمل ويقوم، وفي أنفسكم لخيرها يسعى، ومن أنفسكم لكم يتواجد، وبين أنفسكم فيكم منكم يظهر؟ هلا سألتوه بينكم خيرا؟ هلا عرفتوه منكم عبدا قديرا؟ هلا أدركتموه لكم معينا ظهيرا؟ هلا كنتم وجها لوجه فيه معكم بينكم؟ جاء الحق وزهق الباطل يوم أنزل الأعلى الحق منه على عبده وخلقه، فزهق باطله من خلقه، وقام حقه في صورته من ربه لا فرق بينه وبينه، ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان. فهل عرف الإنسان الحق لنفسه في نفسه يوم جاء الحق بالمثل المرضي له تحت عنوان الحمد من عباده لعباده باسم رسول الله في صورة محمد، وفي قيام محمد، وفي قول محمد، وفي فعل محمد، وفي معنى محمد، وفي آل محمد؟

هل ساس الناس أنفسهم في الله على ما ساس من كان اسمه محمد؟ فبقي وصفه محمد وانقشع عن اسمه وذاته محمد معناه من الخلق إلى الحق من ربكم، {والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم}،^٣ أذهب عنهم أوزارهم، وأسقط عنهم فيزيقيهم، ومحا باطلهم، وخلع عنهم موقوتهم من نجيمهم، كفر عنهم سيئاتهم، في أنانيتهم معزولة عمن أثبتهم بأمانته لأنانيته بهم.. وأصلح بالهم وقد أقلق بالهم، شوقهم لمعرفة خالقهم والخالق بين جوانحهم، ينبض بالحياة بيته في نبض قلوبهم، ويسري بالحياة أمره في سريان دمائهم، ويتواجد بالحياة ظاهره في تواجد ذواتهم، ظاهرا لباطن بأشباحهم لأرواحهم.

كيف قدم لكم الدين؟ وكيف توارثتم الدين؟ وكيف جهلتم الدين يوم جاءكم الدين؟ ليس الدين إلا أن يعرف المدين بالحياة دائنه بها، ومدينه عليها. إنك من روح ومادة. إنك بمادياتك من سلالتك وتطوراتك عبد روحك.. فأنت موصوف العبد بمادياتك، وأنت قائم الرب وموصوفه بروحك. إن روح الله فيك هي معاني الربوبية لك. وإن مصادرها من الروح من معناها لمعناها هي معاني الربوبية لها، ومعاني الألوهية لك. وفي معراجها إلى من هي منه لتكونها به يوم يكونها له، تدرك معاني الألوهية لها، ومعاني الألوهية عنك، فإذا قدرت أن الإله غيرك غائبا عنك فلن تعرفه حتى تؤمنه عينك قائما عليك، غير غائب عنك، في عين روحك، في حرية سبوحك، في عتق روحك من سجن ذاتك، تنطلق بأسمائه لك أسماء، وبصفاته لك صفات، خلقتك لنفسه، فلم تلعب؟ وبددا لم تذهب؟ وخلق كل شيء في الوجود من أجلك، فلم تتعب، وعلى أمرك لم تغلب؟

أيكما في خدمة الآخر العبودية بجسدتيك في خدمة الروح من ربوبيتك؟ أم أنها الروح في خدمتك عبدا لها وربما عليك؟ ألم يقل رسول الله (سيد القوم خادهم)؟^٤ إن سيادة الروح عليك إنما هي في خدمتها لك. وإن عبودية الجسد منك إنما هي في تقبل الخدمة منها لك. إن الإنسان ينحرف إذ يظن أن ربه في حاجة إليه يوم يطيعه، وأنه في حاجة إلى ربه يوم يلجأ ويجار فيحقق له سؤاله. إن الله محقق لك سؤالك وإن لم تسأله، وإن الله بروحك في خدمتك، وإن لم تستخدمه، إنه يدير الحياة فيك بلا سؤال منك. إنه يشفي مرضك، إنه يسد عوزك، إنه يدبر أمرك، إنه يدفع عنك من البلاء ما تعلم وما لا تعلم دون سؤال منك. إن روح الله فيك ترجوك أن تقبل منها فضلها عليك. فهي بغير الفضل منها عليك لا تعرف كيف تعلمك، ولا تعرف كيف ترشدك، ولا تعرف كيف تهديك، فلا تعرف هي عندك، فتفضل أنت فاقبل فضلها عليك متفضلا. تفضل فاقبل رحمتها إليك. تفضل فتفتح لندائها بسمعك، وهي تدانك من سماء معناها، سماء لك لأرض معناها قائمة فيك.

إنها تزاحمك على أرضك لتكونها وتدفع لك ثمنا سماءها.. سماء لك لتكونها. إنها تزاحمك على عبوديتك لتكونها، وتبذل لك معناها بربك لتكونه. ففي حياة العمل نمو الحياة. وفي حياة الجزاء فهم الحياة. ولا عمل في حياة الجزاء إلا ببذل الحياة المكسوبة، لانتظار الحياة الموهوبة. ولا نمو للحياة في حياة العمل إلا في استقبال فيوضات الحياة، بصفاء النفس، وارتواء العقل، واستعداد القلب، وطاعة القلب.

إن الرسالة الروحية التي تحيط بالأرض، وتطبق عليها في هذا العصر، تحيط بها إحاطة الحنان، وتطبق عليها إطباق الأمان، وتحتضنها بروح السلام، ترفضها المادة بما تنزع إليه في نزوعها إلى الخصاص، بما تزاحم عليه من أوهام.. أوهام في السلام ترجوه وهي تعمل لتقويض أركانه، وأوهام للسلم تفتقده ويدها إقامته، أو أوهام للسكينة، تشرب إليها النفوس وهي تعز عليها بفقدان السبيل، أو أوهام للسعادة تتخيلها في المال، والسلطان، والشهوات، وهي تجافي الدليل. إنها تفكر في السكينة والسعادة وهي معها، تفكر في الحق وهو بين جوانحها، تفكر في المال وهي مالكته يلحقها حيث كانت من حيث كان، تفكر في العزة والسلطان وهي لها وقد خلقت لها من العزيز الملك الجبار، لتكون لها به، ولا تكون لها بغيره، يوم لا تكون هي لغيره، فيذهب عنها حظها وما وجدت له.

يوم تفتقده فإنه يتواجد لها نفسها وما ضعفت عنه في عيان، فترى غفلتها وترى الحرمان وفيه عذابها، وترى الضعف وفيه ضعفتها، بينما يحظى به ممن تعرف من يحظى، ممن نافرت، وله كذبت وحديثه ما صدقت، وأمره ما تابعت من عباد الرحمن يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، آتاهم الله من لدنه رحمة، وعلمهم من لدنه علما، وأمر الله بما شرع من دين، ومن طريق،

ومن حكمة، وبما أودع في غريزة أن يرد الناس أحواضهم، وأن يسألوهم علمهم، وأن يستفيضوهم رحمتهم، وأن يستحيوهم أنوارهم، أنزل معهم النور يمتدون به في الناس ولكن الناس يرغبون في أهل الظلام منهم، يستمدونهم ظلامهم ويدخلون في ظلمات بهم بعد ظلمات، من ظلمات أنفسهم، يضيّقون على نور الله فيهم، ويزيدون أرواحهم أغلالا بعد أغلال، حتى يُحررها الحي الخالد، في دوام خلودها بسقوط قوالبها عنها، وتحريرها، وانطلاقها، بما تسمونه الموت فتمقتونه وتكرهونه، وتزعمون محبتكم للحي الذي خلق الموت والحياة ليلوكم. لقد أعطاكم مقياسا تعرفون به أنفسكم، ومدى كشف معاني الحق فيكم، ومدى انقشاع ظلامكم عن حقي معانيكم، يوم قال لكم {فتمنوا الموت إن كنتم صادقين}، إن كانت الدار الآخرة خالصة لكم من دون غيركم من الناس، بما اعتقدتم لكم وقد عبدتم أنفسكم لرَبكم بوهمكم.

إن الإنسان الكبير في خدمة الإنسان الصغير، فلا ترفضوا خدمات الله لكم، وتخلقوا بخلقه كما هديتم، وكونوا كبارا في خدمة الصغار منكم، واجعلوا دينكم في استرضاء الكبير بالعطف على الصغير، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، واتقوا الله واعلموا أنه بكم لطيف، وعليكم قائم، ولكم بالمرصاد. فاتقوه أيها المؤمنون به، واعلموا أنه ما من صغيرة أو كبيرة إلا أحصاها بقانون خلقكم في كتاب وجودكم، تكتبونه بأيديكم وتقرأونه بأنفسكم، وتشهدونه بعيونكم، وتسمعونه بأذانكم، وإن شئتم.... ساءتكم في حاضركم تشهد لكم، فالأمر لكم. لا تسوفوا الله ولا تسوفوا قضاءه، ولا تسوفوا حسابه ولا جزاءه، ولكن اشهدوا الله فيما هو مشهود لكم، واشهدوا الله في أنفسكم، تشهدون أنه لا إله إلا الله مشهودا لكم، فتعلموا وتشهدوا أن محمدا رسول الله، من الله له، ومن الناس لكم، فتشهدوا وتعلموا أن الله ورسوله إنما هما أبويكم، في قديمكم من أزلكم لكم يتواجدان، ولولديكم في أبدكم بكم لكم تتواجدون في اللانهائي وبه، فاعلموا واعملوا أنه الله، وأنه لا غيره، وأنه لا وجود لغيره، وأنه لانهائي لا يدرك في لانهايته، وأنه قريب لانهائي في قرب، لا يجحد في وحدانيته. لا إله إلا الله. محمد رسول الله.

اللهم كن لنا فيما علمنا. اللهم كما لنا فيما جهلنا. اللهم كن لنا في يقظتنا. اللهم كن لنا في غفلتنا. إن كنت لنا لم نحرّم شيئا، وإن تناسيتنا لم نكسب شيئا. اللهم وحدنا وتوحدنا. اللهم إليك فوجهنا. اللهم منك فجددنا، اللهم بك فأقننا، اللهم عنك لا تشغلنا. اللهم شهودك لا تحرمنا، اللهم وجودك لا تمنعنا. اللهم أنزل السكينة على قلوبنا، اللهم قنا شرور أنفسنا وشرور الأشرار من خلقك، وادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم. وولّ اللهم أمورنا خيارنا، ولا تولّ أمورنا شرارنا بما كسبنا، وبغفوك فعاملنا، وبمغفرتك فأوصلنا.

لا إله غيرك ولا معبود سواك، اللهم إنا ظلمنا أنفسنا فبيد رحمتك ممتدة في دوام فأنتقدنا.

(لقد تكلمت مع كثيرين ممن عبروا من عالمكم إلى عالمنا، ولم أقابل بعد واحدا يقول لي، بعد أن رأى بعيون الروح، أن الروح الأعظم لم يقدم له أجل الخدمات.

إنكم جميعاً أجزاء من الروح الأعظم، إنه يقول لكم - ها هي قوانيني وها هو جزء مني فيكم. وكل ما يمكن لكم استخدامه لعمل صالح ها هو بجانبكم. وقد أعطيتكم كل الآلات والإمكانات فيمكنكم الاختيار بين المسلك الصحيح بها والمسلك الخاطئ لاستعمالها بالسير على ما عرفتم من قوانيني أو ضدها.

وقد ضل الأطفال وساروا بعيداً جداً عن قوانين الروح الأعظم حتى أصبحوا عمياً عن أمور الروح، ولا يفقهون إلا أمور المادة، فكان على السادة في عالم الروح أن ينسخوا في عالم المادة أناساً مترغمين مع ذبذبات الروح الأعظم، حتى يمكن أن ينفذ عمله خلالهم).

السيد الروح المرشد سلفريش.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ من مقولة من خطبة للإمام عليّ - كرم الله وجهه -: "...أعلم أنّ لكلّ ظاهر باطناً على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه..." . بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.
- ٢ سورة الفرقان - ٥٩
- ٣ سورة محمد - ٢
- ٤ حديث شريف. أخرجه أبو القاسم الشهرزوري في ((الأمالي)) كما في ((سلسلة الأحاديث الضعيفة)) للألباني.
- ٥ سورة البقرة - ٩٤

(١٨)

محمد بن عبد الله مسيح الله وإنسانه، وظاهر الحق وعنوانه مثالية للرضوان للناس وكافة للأجناس

حديث الجمعة

٧ رجب ١٣٨١ هـ - ١٥ ديسمبر ١٩٦١ م

بسم الله الرحمن الرحيم، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وبغيرها لا شهود ولا وجود (البسمة).

أرسل الله محمدا وجعل له السلام وبه السلام بالهدى ودين الحق، ثم أظهره على الدين كله وقد بعثه من قديمه في أحسن تقويم، بحاضره في أحسن تقويم إلى مستقبله لأحسن تقويم، ليعرف قديمه بقادمه في حاضره فيعرف رب العالمين للعالمين.

بعث من قديم إنسانه في إنسانية الله الأزلية، بدءا لإنسانه في إنسانية الأبدية بالله، حقا حاضرا في حاضر إنسانيته أمة المؤمنين.

بعث حاملا لكتاب، وقائما بكتاب، وباعثا لكتاب، ومغلقا لكتاب، وبادئا لكتاب، خاطب الناس على قدر عقولهم فيه، أعطى كل ما يستطيع، وهبها لما سوف يستطيع، وأتمن من استطاع على ما حملة مما استطاع.

أتمته تزداد في تجددتها قدرا، وتمتد بنورها في الأمم روحا ودهرا، عترة قرآنه، وشعب كتابه وبيانه. يمتد فيها بنوره من نورها، وتمتد في الأمم بنورها من نوره. إنها نور الأمم وهو نورها، الله من ورائها بإحاطته. إنه مفرداتها وجماعتها للمثل الأعلى الذي وعده الله، إنه لكل من أحب الله ولكل من أحبه الله، ما أعطيه فردا وبيتا وأمة فلائمه جماعتها ومفرداتها.

إنها أمة محمد أناجيلها في صدورهم، وعذابها في قبورها. تبقى في الأرض شهداء، عذابها في دنياها، تتجدد فيها جلودها كلما نضجت حتى تستوي وتنضج بيد من خلق فسوى في منامها. ونعيمها في آخرها، تنطلق من الأرض ملئها الأدنى مجتازة السموات إلى ملئها الأعلى في قيامها، ثموت في نيامها، وتموت قيامها، وتبعث بدءاً، وتعود مرسلتها، وترفع بيوتها بذكر ربها، وتوضع بيوتها باسم مرسلها. أمة عاملها الرحمن برحمته، وأعطاه من قدرته ومشيتته، وقومها لإرادته باستقامة إرادتها على مراده، {والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم}، تلتئم حول محمد ما عرف له فيها امتداده، وتستمد من نبعه لحياتها ما ظهر لها بينها منه رشاده، لا ترفض الحكمة ولا تفقدها، لا ترفض الحياة ولا تفقدها.

أمة أحيها الله بالحق أنزل عليه، وعلها بالنور الذي أنزل معه. أمة خصها الله بالأمر بالمعروف الذي عرفت من الحق فيه أنزل عليها منه بالحق نزل، بعث بالحق ومات عن نفسه من الظلام، تدعو إلى الخير وتقوم بالعدل، ولا ترهب قدرة الظالم فربها أقدر منه، ولا تجور على الضعيف والله أحق عليه. أمة جعلها الله خير الأمم إذ جعلها أمة وسطاً. أمة تعرف لها بدءاً، تعرفه لنفسها وتعرف أن الله لا بدء له. أمة تعرف أن لها انتهاء في أمر نفسها يوم تنتهي إلى معناها على ما أريد بها من قيام الحق، على وصف الحق عندها، من قيام الروح على المادة، من قيام الغيب على الشهادة، من كشف ما بين جوانحها من غيب الصدور، ومعلوم الحياة، وتعرف أن هذه النهاية لها إلى الحق بها ولا نهاية لمعبودها، كما لا انتهاء لعطائها، لا يحصر ولا يجز. تشهد أمرها وربها في اليوم الآخر ظهوراً لأمرها وربها لليوم الأول. وإنها بقديمها وجديدها في لمح بالبصر من اللانهائي في موجودها لمعبودها.

أمة تعرف أن الخير فيها جديد لقديم، بلا بدء لها ولا بدء له، وأن الخير فيها في جديدها من قديمها بلا انتهاء لجديدها ولا انتهاء له. أمة تعرف الله، وتعرف أن الله لا يحده وصف، ولا يحده مكان، ولا تحده ذات، ولا تحده تسمية أو أسماء، ولا تنقضي لصفاته معارف أو أعلام. الله عندها سرمدى أزلي أبدي، يقطع الزمان ولا يقطعه الزمان، ويخلق الزمان ولا يخلقه الزمان. الله عندها يملأ المكان ويخلق المكان، ولا يحده المكان ولا يخلقه المكان، ولا يملأه المكان.

أمة عُرِفَ لها الله برسوله، بوجهه، بحقه. عُرِفَ لها الله على ما يليق أن يعرف الله، وعلى ما يصح أن يعرف الله، وعلى ما يجب أن يعرف الله.

أمة لا ينقطع وجودها، وكيف ينقطع وجودها وهي تقوم برجلين {وخلقناكم أزواجاً}؟ رجل عرف ورجل طلب أن يعرف. لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها، رجلان هما الناس جميعاً. أمة نتعدد بتواجدها في مشارق الأرض ومغاربها كلها قام رجلان في الله يتناحيان

وبالله ينشغلان. تعدد ظواهرها في زوج من إنسان لله سره ونجواه، وتوحد في جوهرها بجمعهم جوهر الإنسان في حقيقة رسول الله وعبد الله ووجه الله وحضرة قدس الله من حضرات الله، لا انتهاء لها ولا بدء لها ولا انقطاع لها.

إن الأناية في الإسلام بالمادة وبالروح، أما بالمادة لمن أسلم فهي معاني الكون بالعبودية، وأما بالروح فهي معاني النور بالربوبية. والكائن البشري في الإسلام عبد ورب توحد في عالم من ذات، كان الروح فيها هو الرب لها، وكانت المادة لها هي العبد له، قائما على كل نفس أقرب إلى كل نفس من حبل الوريد، معها أينما كانت. إن الربوبية في الإسلام أمر مدرك للمسلم قائم به، قائم عليه، قائم له. إنها قضية ما بين ماديته وروحانيته. إن الله عند المسلم لا يغيب أبدا، ولا يحتجب أبدا، ولا ينفصل عن عبده أبدا، به يستعين وإليه يجأ، وهو له يسمع، وبه يأتنس، وإليه يأنس، ومنه يستمد، وله يخضع، ولذاته يستجيب. إن نداء الله عند المسلم من أعماقه من ضميره.. استفت قلبك وإن أفتوك وإن أفتوك وإن أفتوك.

إن في المسلم ضمير حي بصير، بل الإنسان على نفسه بصيرا.

إن فيه ضمير لا يخطئ أبدا، عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به، الحلال بين والحرام بين. إن الإسلام دين ميسر، هو دين العقل، هو دين الضمير، هو دين المنطق، هو دين الوعي، هو دين استقامة الغريزة، هو دين الكسب، هو دين الجوارح، هو دين القلب. لا يخرج من الإسلام كائن بشري على الأرض أو في السماء أو تحت الثرى لأنه دين الفطرة.

أما الإسلام كتابا فأمر آخر، أما الإسلام رسولا فشأن آخر، أما الإسلام رحمة مهداة وسبيلا ميسرة، وكتابا يأخذه الإنسان يمينه بما عمل فشأن آخر، أما الإسلام إنجيل في كل صدر، ورسول يبعث بكل مسلم، فشأن آخر، وأمر آخر. إن بداية الحياة لأهل الكتاب يوم يطلب العبد المخلوق الحياة بربه الخالق في معناه، فيكشف عنه غطاؤه، ويسقط عنه رداؤه، ويقوم بما فيه من روح الله، ومن نور الله حجابا لله، من ورائه رحمة الله عاملة، ومنه معرفة الله مفاضة. مات قبل أن يموت فكان الحق منزلا، والبيت موضوعا، والأمر مرفوعا، ووجه الله معلوما. هذا هو الإسلام الكتابي الذي غفلنا عنه، وجهلنا أن الكتاب وحامل الكتاب إنما هما شأن واحد، وأن الرسول وما يحمل الرسول إنما هما حق واحد، وجهلنا أن الرسول وهو الحق لا يموت أبدا، ولا يغيب أبدا، ولا ينقطع عمله أبدا - قل جاء الحق - فكيف ينقضي الحق؟ وكيف يغيب الحق؟ وكيف يموت الحق؟ إن الرسول وهو الحق من ربه أعلمنا وعلمنا لنعلم أمر أنفسنا في متابعته أنه يولج في الأرض حيا والله معه - أنا حي في قبري - من حج ولم يزرني فقد جفاني - وأنه يُرفع في السموات حيا يرى بالله ما يرى الله، ويستمر في حمد الله وفي

شفاعته لأنه عند الله - عند الرفيق الأعلى - وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون.. تعرض على أعمالكم فإن وجدت خيرا حمدت الله وإن وجدت شرا استغفرت لكم. كما أنه بالتكاثر لا ينقطع له وجود بيننا فهو الذي امتد ويمتد بما أنزل عليه من نور الله، أفمن جعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها! وأوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب وما الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء، نور السموات والأرض. وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد. هو الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين. إنا أعطيناك الكوثر. نعم أُعطي التكاثر خلقا وحقا، فكان كوثر الحياة وهو يقول لنا: (بيننا أنا نائم أطوف بالكعبة...)³. إنه الناس في نيامهم، وإنه الناس في يقظتهم وقيامهم، وإنه الناس في هاويتهم. (لو ألقينا بحجر على الأرض السفلى لوقع على الله)، (إن الملائكة الأعلى يطلبونه كما يطلبونه)⁴. إن الله لا نهاية له، وإن العبد فيه لاحق بربه، لا نهاية له في نشأته، ولا نهاية له في كمال خلقه، فهو عبد لا نهاية له لربه اللانهائي.

لقد رضى رسول الله، لا بل طلب وألح في الطلب أن لا يكون في الله إلا عبدا، سماءً كان فيه أو أرضاً، يدرك في عبوديته منه وصلته بربوبيته له، أن لا نهاية لمرتقاه، ولا نهاية للرحمة به، فيبقى في عبوديته متجددا منتشرا متعددا أمة لله، لا نهاية لها، فيملاؤه ربه بعبوديته فراغ الوجود بالحياة، خلقنا السماء بأيدٍ وإنا لموسعون. ما كنت متخذًا المضلين عضدا. وقد جعل الله من محمد يده المبايعة، العاملة، الممتدة عن قديمه مغفورا في جديده مشكورا.

إن محمدا هو العبد الذي شرفت العبودية به لأنه أراد أن يشرف بالعبودية على ما عرف العبودية، وعرفها غاية تطلب وحظا ينال. لم ير في العبودية للربوبية ما يكره وما يمج، وما يمقت، لقد جعل من العبودية أمرا يشغل صاحب العبودية وطالبها ولا ينقضي له فيها طلب ولا يجز له فيها عطاء، ولا تنقضي له بها مشغولية، عبودية نامية، متسعة، منتشرة، مرتقية دونها السيادة لأنها تطلب ربوبية لا نهائية لا يشغلها ما ترب عنمن تحب من حبيب ورب.

لقد جاء محمد شرف البشرية، وحظ البشرية، وسعادة البشرية، وسكينة البشرية، وسلام البشرية، وكان في قيام متابعته ساعة الصادق، وقيامه الصديق، وعبودية الموحد، وقدسية الساري. لقد كان محمد شرف وجود كل موجود ما تواجدده، ما طلبه، ما عرفه، ما كانه، ما تابعه. إن الألوهية والربوبية عند محمد أمران للإنسانية، فيها يقومان، وبها يقومان. إن الألوهية والربوبية عند محمد هما حالان علويان للإنسانية، يوم ترتقي مرتقاها، فتتحجب بحجبها من تعدد معناها عن نشأتها بمعناها، فهي غيب الإنسانية لشهادتها بمعناها، ويوم يداني مدانيها لمن يسعد بها فيها ارتدادا منها فهي الرحمة والربوبية، ويوم يتوحد بها الموحد ويعرف أنه في عبوديته عين من سبق من أحسن تقويم للانهائي

بمعنى الإنسان يتعدد ويتجدد فيه، وفيمن تابعه حتى لا يستعلي عليه مرشداً على من يرشد، ولا يقوم ولا يعلو ربا على من به يرشد. إنه الإنسان، إنه لا يفكر إلا في كسب العبودية، إنه لا يفكر إلا في نمو الحياة الإنسانية، إنه لا يفكر إلا في كسب العبودية، إنه لا يفكر إلا في نمو الحياة الإنسانية، إن اللانهائي أقرب إليه من حبل الوريد، هو ومن في ريادته وولايته من عباده وأنداده، بعبودية سبق يعرف أن الربوبية فيه دونها فالعبودية في الإطلاق لا نهاية لها، والغيب والشهادة للحق إنما هما وصفان في عبد الحق ووجه الحق.

إن كل وصف لعبودية اللانهاية من قبل محمد لم يكن مدركاً ولا موفياً، ولا يمكن أن توصف العبودية على ما وصفها محمد، وعلى ما عرفها محمد بخير مما عرفها به. إن محمد عرف العبد بالكائن الطليق الذي لا تقله أرض ولا تحده سماء، عرف العبد متسعاً لما لم تتسع له السموات والأرض، متسعاً لأقداس الله، متسعاً لعوالم الله، متسعاً لموجود الوجود له من الله. إنها إنسان الله بظاهره والله باطنه، عبداً لرب ورباً لإله، وإلهاً لغيب في إنسان الله، قام ذلك كله في العبودية على ما قامها، وعلى ما طلبها للناس يطلبونها في متابعتها من ربه، وحقه من اللانهائي، متابعة لا تنتهي في لانهاية مرتقاه ورقيه هو من اللانهائي عليه في اللانهائي له، باللانهائي منه.

ما أجمل العبودية على ما عرفها محمد! ما أسعد العباد على ما قام في العبودية محمد! ما أرحب الأمل وما أدناه في طلب العبودية، لا ينقضي طلبها خلف محمد! يطلبها لنفسه، لا ينقضي طلبها، اللهم أحييني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرنني في زمرة المساكين. وما أجمل الربوبية وما أكملها وما أقربها وما أحبها على ما عرفها وعرفها محمد أقرب من حبل الوريد!

هل عرفنا محمداً عبداً لله؟ هل طلبنا ما بعثه به؟ هل تابعناه موجوداً حقياً أو كائناً أرضياً؟ هل حددنا آمالنا أن نكون عباداً لله على مثاله عبداً لله، على ما بشرنا لنا بنفسه يوم قال (ما أعطيته فلا أمتي)^٦؟ هل طلبنا بحقه لنا حق الله بنا في متابعتة بيننا حقاً وخلقاً؟ هل آمناء حياً تحت الثرى؟ هل آمناء حياً عند الرفيق الأعلى؟ هل آمناء يرى وربه والمؤمنون في دوام أعمالنا، يشكر عنا ويستغفر لنا؟ هل آمناء في متابعة كوثر الحياة فينا وكوثر الحياة بيننا بشعورنا بافتقارنا؟ هل حقيقة نحن جديرون بأن نسمى أمة محمد؟ إن محمداً لا يرفضنا، (أمة مذنبه ورب غفور)^٧. إن محمداً يعتبرنا أمة على قدارتنا وعلى ظلامنا، وإني لأنجّل وأذوب حياء من الرسول أن أزعّم أني وقومي أمة له. ولكن هل رضينا نحن الأقدار أن تنفض عنا القذارة لنكسبه نورا بين جوانحنا من سرج قلوبنا مشعلة بجذوة الحياة مفاضة من الروح الأعظم لأرواحنا في انتسابه إلينا بشراء، وانتسابنا إليه أبناء لآدمه؟ هل تخلقنا بأخلاق الله

في التخلق بخلقه بيننا حتى نتخلق به بهمة أنفسنا، فينبثق من قلوبنا نور الله بإشعال جذوة الحياة، بتعرضنا لنفحات الله في أيام دهرنا، برجال منا وجوه قيامه، وأعلام سلامه؟

ماذا نعرف اليوم عما جاء به محمد؟ يجادلون في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. إذا قيل لهم أنتم في يوم من قيامة بمحمد ورسالته، وأنتم بقيام الله عليكم بالحي القيوم منه تقومون، قائما على كل نفس، وما القيامة إلا إدراك قيامه على النفس وبها، انفضوا غبار الغفلة عنكم، وانقلبوا بالبصر إلى أنفسكم تشهدوا قيام الله عليكم، إنها إلى ربه منتهاها وهو لكم ما كنتم له، استكبروا بأنفسهم منقطعة عما بها من الله استكبارا على من هداهم، حتى تأتيهم سكرة الموت بما كانوا عنه يحيدون من الحق، وظلوا يرددون ألفاظا كالبيغاوات حملت إليهم من سفهاء آبائهم وسلفهم الطالح، ما أدركها حاملوها، وما وعاهها مدركوها فاقرين مما كان عليه السلف والخلف الصالح، حتى إذا جاء البيان بروح العيان يقوم للإنسان بالإنسان من الإنسان، لجوا معاندين، وجمدوا متكبرين خشبا مسندة، أو حمرا مستفزة فرت من قسورة.

إن الرسالة الروحية وهي تظهر بوسطائها غائبين عن أنفسهم أو يقظين، إنما هي قيام الغيب على الشهادة وامتداد ملكوت الحقيقة إلى ملكوت العقيدة. يقوم بها الفعل كما قام في حديثها القول الحق من الله، فقد جاء بها الداعي لا عوج له، جاء ويحيى بها الدعاة لا عوج لهم، ويحيى بها أمر الله، ورسول الله، وروح الله، وقدرة الله. جاءت بالبيان وتجيء به، جاءت بالحق وتجيء به، جاءت اليوم بالعيان، ها هي وجوه ناضرة لربها ناضرة، وها هي وجوه عليها غبرة ترهقها قترة، وقد وضعوا أصابعهم في آذانهم حذر الموت إلى الحياة، وأيديهم على أبصارهم حذر البصيرة من البصر. لا يريدون أن يبصروا نور الله مشرقا حتى لا يذهب عنهم عمى القلوب وهو الحبيب إليهم بوهم دين لا عقل ولا روية فيه من تحريف، بأنفسهم وضعوه وإلى الله نسبوه. وما قام دينهم وأديان من قبلهم إلا على وصلة الروح وحديث الروح لمؤسسي الأديان، وأبوا إلا أن ينسبوه إلى الأبدان، ويجسدوا لعقولهم كل معنى لعنوان. ولكن الله يريد على ما عرف أمينه ورسوله، يريد أن يبرز على ما عرّف قائما على كل نفس، ورسولا بنفسه من قائمه على أي نفس، محققا ما حمل رسوله يوم قال الرسول للناس (خلفت الله عليكم)^٨، ويوم أعلم الناس {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان}^٩. فإن النبوة ليست كالبيان، والفكرة ليست كالعيان، وفي العبودية شرف الإنسان من الرحمن، وإن الله في هذا الزمان يأتي بالبيان والعيان، فسيظهر على كل نفس قائما معنى الحياة في الإنسان، وضعف الحياة للإنسان، فكيف تكون القيامة أيها الناس؟ هل ينظرون إلا أن تأتيهم

الملائكة أو يأتي ربك؟ كيف يأتي ربه أيها الناس، وقد جاءت الملائكة في عباد الرحمن يمشون على الأرض؟ {ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا} ١٠، فما قبلوا لأنفسهم معناهم، وما عبدوا معهم مولاهم.

أهلكم ألفا ونصفها من السنين في يوم القيامة والدين بمحمد الأمين لتعوه، ووعاه من بينكم واعون، وقام به من بينكم قائمون، جددوا الدين بينكم على رأس القرون، في قرون كل نفس، وبكل مكان. وتواجد بينكم ملائكة الرحمن من عباده ممن عزلتهم عنكم وقلتم: إنهم القوم لا يشقى جليسهم ولم تجالسوهم، وإنهم الصوفية صوفوا ولم تصافوهم، وقال قائل منكم إنهم أهل الخيال وأنتم أهل الواقع، وإنهم أهل المواجد وأنتم النفوس الرواسي، وزعتم السنة لأنفسكم في إبلاس، وزعتم لها الإيمان وما دخلتم بها الإسلام. سالوكم مسألة لما عرفوا من روح الله بكم، هم له ملائكة تواجدوا بينكم طائفة بعد طائفة في كل أمة منكم وعند كل جماعة لكم وفي كل مكان، على ما أنبأ الرسول قياما للحق وتعريفا به وحنة للدين والديان. ما خلت منهم الأرض، وهي لا تخلو منهم أبدا، ولكنها أغمضت عنهم العيون بزعم انتظار منتظر يظهر للنفوس، والحق لا يظهر إلا للقلوب، وهؤلاء بعثوا بينهم بقلوبهم، ففي أجداثهم استكفوا وسكنوا، وعن الناس بقوالهم احتجوا، وبقلوبهم عنهم ترفعوا. يمهّدون لظهور أمر الروح وهم بها قائمين، وهم لها عاملين، وهم منها مرسلين. وها هي الروح تظهر من قرن ويزيد من الزمان، وثبت وجودها للعيان. ها هم الجاحدون بها يتناقصون والمؤمنون بها يتزايدون. تخضع نفسها وظهورها لعلم أهل المادة رحمة بهم. تخفض لهم جناح الذل من الرحمة. ها هم علماء الأرض يدخلون ساحتها ويدرسون بالبحث قضيتها، فيؤمنون ويتابعهم على إيمانهم من بالعقل يؤمنون، وللعلم يتابعون. ها هم العلماء وقد آمنوا ازدادوا علما. وها علم الروح ينتشر بين الناس، وها هي الروح تسرى في أجساد الناس فيتابع بعضهم بعضا. وها هي الروح تنتشر من بعضهم لبعض فيتوحدون، ويتحابون فيشهدون، وعلى الله وذكر الله يتلاقون، وعلى علم يتناجون، وبحق الله يتكاتفون.

ها هي ظلمات محترفي العقائد والأديان تنقشع. ها هو سلطان الأنبياء الكذبة يتبخر وينكشع. ها هو الإنسان بعظمة قدسه وألوهيته يظهر في جلاب عالمه من مادته. ها هي أوثان الأوزار من الأجساد تسقط عما بها من نور الله. ها هي الظلمات وأهلها تستमित دفاعا عن آخر معاقلها ولا تلبث أن تزول.

إن الناس هم الناس، يخاصمون النبين للحق بغير الحق، ويقتلون النبين للحق بغير الحق، ويتبعون النبين لغير الحق بغير الحق من باطل نفوسهم. ولو أنهم يخاصمون على الحق لتحابوا. ولو أنهم تصارعوا على الحق لوصلوا للسلام. ولكنهم يتصارعون على الدنيا ويريدون أن يمتطوا أهل الحق إلى أهدافهم من المادة بلاء وابتلاء من الله، فإذا امتنعوا عليهم وأعوزهم لحكم العامة رجال للدين يمتطونهم لأغراضهم،

اصطفوا أولياءهم من المنافقين ورفعوهم درجات باسم الراسخين. ماذا يريد الناس من طلب المعرفة عن الساعة أو طلب المعرفة عن القيامة، والأمر بينهم أصبح قائماً؟ من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. ولكن أولياء الطاغوت ما زالوا في غيهم من تسويق الحقائق وإبعاد النظر إلى الحق الذي لا غيبة له، باسم لا نهائيته عند موصليه وعارفيه وقائمه.

يوم تأتيهم سكرة الموت بالحق مما كانوا عنه يحدون، ويتكشف لهم مفارقة الحق لهم بما كسبوا مما كانوا يعملون فإنها قيامة العذاب.. قيامة الحرمان من الحق. أما قيامة السعادة.. أما قيامة الجنة.. أما قيامة المعرفة فهي لمن زحزح عن النار وهو فيها وأدخل الجنة وهو فيها فقد فاز جنة عرضها السموات والأرض. إن الرسول إذ يقول لكم موتوا قبل أن تموتوا، وإن الله إذ يقول لكم ولمن خاف مقام ربه جنتان، إنما يعني القيامة بالسعادة. إن القيامة بالسعادة إنما هي لمن يشعر بعد إيمان أن الله قائم على نفسه. إن الشعور بقيام الله على النفس أمر لا يوصف، وشأن ليس محلاً للعبث، وهو أيضاً أمر يستسيغه العقل ولا يستعصي عليه تصوره أو اعتقاده، ورجاحة العقل في العمل لكشفه وتحقيقه. وساعتك يوم ينكشف الروح بك لمادتك ووعيك فتقوم بالروح في تدبيرك وفي هذا قيامتك. فإذا عم الوعي قوما كانت ساعتهم. فإذا سادت الروح مجتمعهم كانت قيامتهم.

هذا هو الدين لمن أراد أن يكون على دين. وهو أمر غريب على الناس أصبحوا عليه كما كان غريباً على الناس يوم جاء به كل مؤسس لدين. فمن أراد اليوم أن يجدد دينه، ويجدد إيمانه، ويجدد إسلامه، فليجعل من الروح قبلته، ومما تأتي به اليوم شرعته، وليربط نفسه بجمعها، وليسر وراء روادها، فما تأتي به الروح في هذا الزمان لا يختلف عما سبق أن جاءت به في سائر الديانات في صغير أو كبير عن ما جاء به الكتاب الجامع وما جاء به الرسول الإمام الآم للمرسلين عن كتاب الفطرة ورسالة الفطرة، بدين الفطرة، رق كتابها بالكون منشور، وبالإدراك في قوانين الوجود مسطور، العقل في العقلاء مجسداً أمامنا، وفي الالتقاء رائدنا. لا تنقطع له رسالة، ولا يتوقف له المزيد من المؤمنين في كل مكان، وفي كل زمان، وفي كل أمة. في الأرض نباته وفي السماء جمعه. وإلى الأرض بالجمع عوده، حتى يكون يوماً في الأرض كما هو في السماء، يعلو جمعه وتعم به كلمة الله، للناس أخوة بالحق قيامهم وإمامهم.

نسأل الله أن يقيم لنا قيامة سعادتنا به في حاضرتنا، وأن يقينا شر قيامة أنفسنا من دونه بعملنا بعيداً عنه. كما نسأله تعالى أن يخرجنا من دورنا بأجسادنا سعياً إليه قبل انقضاء عملها وموتها وتوقف السعي إليه بها. كما نسأله أن يميت نفوسنا عن أوصافها قبل أن تموت بظلمها فنصبح ولا نفوس لنا، ولا نصيب لنا من دنيانا.

نسأله أن يجعل ساعتنا بهذه الحياة منقضية في طاعته وذكره، لامعة في موصول الحياة بين ما تقدم وما تأخر لأرواحنا ونفوسنا لمغفرة ما سبق لما هو آت، وكسب ما تخلف لما هو قائم.

اللهم اغفر لوجدتنا فيك من حاكم ومحكوم، وأصلح أمورنا، وارفع حجاب الغفلة عنا، وخذ بنواصينا إلى الخير، وقنا شرور أنفسنا وقسوة قلوبنا. وعاملنا بعفوك ورحمتك.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة الفتح - ٢٩
- ٢ سورة النبأ - ٨
- ٣ من الحديث الشريف: "يَنِمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أُطَوَّفُ بِالْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمَ سَبَطَ الشَّعْرَ، بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَنْطَفُ رَأْسُهُ مَاءً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا ابْنُ مَرْيَمَ، ثُمَّ ذَهَبَتْ أَتَفَتُ، فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ، جَعَدُ الرَّأْسِ، أَغْوَرُ الْعَيْنِ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الدَّجَالُ، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبْهًا ابْنُ قُطَنِ". أخرجه البخاري ومسلم باختلاف يسير.
- ٤ حديث شريف ذات صلة: "لو أنكم دليتم أحدكم بجبل إلى الأرض السابعة لهبط على الله تبارك وتعالى". أخرجه الترمذي وأحمد والبيهقي.
- ٥ حديث شريف ذكره الشعرا في "لطائف المنن" مشيراً إلى أن الحكيم الترمذي رواه في نوادر الأصول، كما جاء في الفتوحات المكية لابن عربي، وكذلك تفسيرات بعض الصوفية للقرآن الكريم بنص: "إن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وإن الملائكة الأعلى يطلبونه كما يطلبونه أنتم".
- ٦ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٧ حديث شريف: "دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِي عَارِضَتِي الْجَنَّةِ مَكْتُوبًا ثَلَاثَةً أَسْطُرٌ بِالذَّهَبِ - لَا بِمَاءٍ الذَّهَبِ: السَّطْرُ الْأَوَّلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. وَالسَّطْرُ الثَّانِي: مَا قَدَّمْنَا وَجَدْنَا، وَمَا أَكَلْنَا رَجَحْنَا، وَمَا خَلَفْنَا خَسِرْنَا. وَالسَّطْرُ الثَّالِثُ: أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ وَرَبُّ غُفُورٌ". أخرجه الرافعي في تاريخه (٩١ / ٣) ، الإمام أبو القاسم في تاريخ قزوين، وابن النجار في تاريخ بغداد عن أنس ابن مالك.
- ٨ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٩ البقرة - ١٨٦
- ١٠ سورة الأنعام - ٩

(١٩)

كلمة القيام النور المدثر بالظلام أزلي رحمته الإنسان الأول والآخر في النشأة والقيام

حديث الجمعة

١٤ رجب ١٣٨١ هـ - ٢٢ ديسمبر ١٩٦١ م

أعوذ بالله من شرور نفسي، ومن شر ما خلق، وأستعين بالله معيتي يوم أحيا وأصدق. ويوم أستيقظ وأصدق. ويوم أتححر وأخلص. ويوم من شر ما خلق أتخلص.

أما بعد فهذا نحن نتلاقى في مثل هذا اليوم من كل أسبوع في دورة الأيام. تقطعنا الأشهر والسنين، أو نقطعها. فإذا كسبنا من هذا اللقاء؟ وماذا نرجو أن نكسب من هذا التلاقي؟ وماذا نأمل ونرجو لأنفسنا من الله في مواصلة هذا الاتصال بمعاني السعي إليه والمجاهدة فيه؟

إن الإناء المليء لا يتقبل المزيد، فهو مليء، ولكن الفارغ هو المتقبل للمزيد والامتلاء. فإذا فرغت فانصب والى ربك فارغب.

إن الماء القدر يملأ الإناء لا يصلح للإناء الكريم، أو لا يصلح الإناء الكريم له، اللهم إلا أن يتطهر هذا الماء من قذارته. فالقدارة غير الماء، ولا طهارة للماء من القدارة إلا بتخيره، فإذا بخر من إنائه، وأستقبل التكاثف في إناء آخر فقد الإناء ماءه، وأصبح من الماء فارغا، وأصبح بالقدارة محتفظا. ولكنه إذا تخلى عن مائه القدر دون تخيره لإناء آخر يخر منه، واستقبل التكاثف للماء من الإناء الآخر يحمل عنه أوزاره، لاستقبل هو طاهر مائه وغيره معه واحتفظ به طاهرا مطهرا، وتخلص مما كان به من القدارة. وهذا ما قصد من مصاحبة ومؤاخاة الدليل في الله، في قانون الفطرة، وهذا ما قصد بمعاني الخلاص والشفاعة، وركوب السفينة، والدخول من الباب في الأديان القديمة.

هذه هي طريق الامتلاء بماء مصدره غيره بعد التخلص من ماء قدر مصدره عينه. ولكنه إذا قام هو بالاحتراق ابتداء بسوء عمله تبخر ماؤه طاهرا، وبقيت القذارة لإنائه، وأخذته معاملته من الغير طاهرا لنفسه وترك له القذارة في إنائه، فإذا جاءه ماء غيره طاهرا في معاملة بظلم الآخرين له اختلط كسبه من الماء برواسب قذارته فأصبح قدرا. فليست هذه هي الطريق السليم لامتلاء الإناء بالماء الطاهر، ولكن الطريق السليم هي التخلص من الماء الموجود بقذارته وطهارته إلى يد أمينة، إلى إناء محترق، إلى إناء مشتعل بنار الله الموقدة في خدمة الآخرين، ثم استقبال تبخر الماء الطاهر من هذا الإناء إلى إناء الذات نفسها، طاهرا متخلصا من رواسبه. والله المثل الأعلى في السموات والأرض.. قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تفكروا.. هو الذي أعطى كل شيء خلقه.. من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره. إن الله لا يظلم الناس. إن الله لا يظلم الخلق. إن الله لا يظلم العباد، ولكن الناس.. ولكن الخلق.. ولكن العباد كانوا أنفسهم يظلمون.. سيد القوم خادهم.. ليلة القدر خير من ألف شهر.. والليل إذا يسر.. سلام هي حتى مطلع الفجر.

إن الذي أعطى كل شيء خلقه تفضل فهيأ لكل نفس هداها. هداها نعيمها وشقواها. هداها فجورها وتقواها. هداها طريقها وسبيلها إلى جنة فردوسها أو إلى نار معناها ومأواها.

هذا الذي أقول، وهذا الذي أضرب له مثلا، وهذا الذي ندور حوله كلما تلاقينا، وهذا الذي نريد أن نزيده بيانا ووضوحا وقربا للإدراك كلما تناجينا، إنه الدين إن أردنا أن يكون لنا على الدين مدخل، وإنه طريق اليقين إن أردنا أن يكون لنا إلى الحق مسير، وإنه حوض الحياة إذا أردنا لأنفسنا من ماء الحياة ارتواء. إن هذا الذي تأتينا به السماء بالرسالة الروحية في هذا العصر، إنما هو تجديد لما سبق أن جاءت به السماء من قرون عديدة، وتراكم عليه دخان أبناء الأرض يوما بعد يوم، وجيلا بعد جيل، وقرنا بعد قرن، حتى عبد الناس تراب اللاهوت أصلا لهم، ونسوا ما وراء التراب، وما تحت التراب. إن الحي في قبره تحت التراب ووراء التراب بمنشق الأرض عنه نسيه الناس وغفل عنه الناس، وهو قابع في مقابر قلوبهم حيا في قبره، ولو أنهم دفنوا أنفسهم في أرض الخمول من أنفسهم، ولم يشغلهم عنه شاغل من الدنيا، هذه الدنيا التي يحونها في مادتها ويطمعون في الظهور فيها والجاه بها، لو أنهم دفنوا أنفسهم تحت الثرى من ذواتهم، لتلاقوا بالحي المدفون تحت الثرى في أنفسهم. من حج ولم يزره فقد جفاه. ومن لم يزره جفاه فقد قلاه، ومن قلاه فلا حج له، ولا قبلة له، ولا بيت طواف له، ولا بيت لله يُعمر في قلبه، ولا عرفات له، ولا منى تتحقق له، فما عرف، وما طاف وما ازدلف.

إن البيت المعمور إنما هو القلب الذاكر والقلب المذكور. إن القلب الذي أشرق فيه النور فأثار مشكاة وجوده، وقبلة عالمه لحواسه، وعالم عوالمه بجوارحه، وسراج أعلامه بوجه الله له، هو المقصود بزجاجة المشكاة من الصدر. وقال الصدر قلب يقصد قبلة عوالمه، وسراج أعلامه من التزاوج.

إن بيت الله المعمور في الإنسان إنما هو قلبه وعقله. إنهما بيتان. إنهما بيت مذكور وبيت ذاكر. إنهما بيت رقيق وبيت عتيق. بيت سجين وبيت طليق. بيت مرفوع وبيت موضوع. خلقناكم أزواجاً. ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم. إن الله قائم على كل نفس. إن الله يبدأ الكون مع كل كائن. إن الله يبدأ الحقيقة في كل قلب ما طلب القلب الحقيقة فعمر بالحقيقة، وما احتفظ القلب بالحقيقة فقام بالحقيقة. أما القلوب التي جافت الحقيقة وأنكرت على الحقيقة وهي تعمرها، انطلقت منها الحقيقة متخلصة حرة طليقة، وقد فقدتها القلوب إذ لم تحيا بالقلوب القوالب، فأظلمت العقول ولم تشرق بنور الحرية والانطلاق في السماوات والأرض داراً معدة لها، يتواجد بنورها في عالمها ببيتها بالقلب والرأس وجهها لمن هو من ورائها محيط، وعليها قائم، إذ اختارت طريق الفناء بفقدانها إلى معنى وجهه لمعناها، ولم تسلك طريق البقاء بالعدم بالحرص على معاني وجهها لمادي مبنائها في مآلها ومأواها. اختارت اليتيم بالانقطاع عن المادة لأصلها وهي منها وبها أدركت أنها واختارت الروح، وهي منها حية، لأصلها وفرعها ومعناها. آمنت أن كل شيء هالك إلا الشيء الذي أصبح وجهه والذي حرص على معاني وجهه لشيئته، إذ ما ظهر الهو في شيء مثل ظهوره في الإنسان ما حرص الإنسان على معناه وعرف أنه لن يترك سدى فحرص على الحياة. فإن لم يحرص على معناه لما أريد له واختار أن يكون إلى سدى بما أراد فقد اختار لأنانيته مصاحبه من مادته من الطين، وجعل مشيئته إلى الطين فشاء الطين لسيادته فطان، فردَّ إلى الطين حيث كان وقد فقد معناه وجهه للرحمن وعبدًا للديان ومعنى للإنسان في كريمه، وحرص على معنى الإنسان في رجيته وزنيه، إذ لم يتخلَّ عن رجيته من نشأته ليكون إلى معنى كريمه برحمته فطانت مشيئته، وأظلمت ذاته، فهُدِّي مباعدًا، وبعث مخاصمًا، وكان الله من ورائه مضله ومضل به من يشاء.

هذا الذي تأتينا به السماء اليوم، هو ما جاءتنا به بالأمس على تمام مع من غاب بنفسه تحت الثرى، فغاب عنا كتابه، وقام منا عنه حجاب، فلم نشهده جديد قديمه، ومعنى مستديمه. ورأيناه مفقودًا، ولم ندركه مستوفيا ووليدًا. لم نقدره بطأره تحرر إلى ما فوق السموات والأرض، ولم ندركه بظاهره تكرر في الذات والعبد، أمة المؤمنين وأمة الناس ببيته وأهل بيته وعترته وآله. وخاصمناه كلها ظهر، وتابعا تراب لاهوته كلها قبر. وتكاثف الظلام على المقابر جبلاً شامخة بأسمائه فتابعنا جبال الظلام من الأرض منارات، وطفنا حول المقابر مزارات وتمسكنا تراباً للاهوت نذكره اسماً ولفظاً، ولم ننظر إلى

دائم المدثر في الدثار، نور سوادنا، وماء حياتنا، وروح قيامنا، ووجه ربنا، وحق إلهنا، والحي القيوم لحياتنا. التفتنا عنا عن المدثر شعلة حياتنا، أولى بنا من أنفسنا. التفتنا إلى موقوت الدثار لنا من التراب وظلامه، فعبدنا معانينا للجلباب لأنفسنا وعبدناها للجلابيب بيننا، فتواجد بنا لنفسه الشيطان، وتخلّى عنا حقاً لنا الرحمن، ففقدنا العز بالمدثر. وقنا في الذل بالدثار.

غابت من مجتمعنا عن نواظرنا مرايانا بالمؤمنين، كما فيها نرانا على أي الأحوال. وما غابت عن وجودها لنا، ودوام تواجدها منا بيننا، ولكنه العمى لحق البصائر والأبصار، والصمم لحق السميعة والأسماع، فغابت عن النظر والطرق الأبواب، والتوى لنا منا الطريق فسرنا إلى عكس ما نريد بانعكاس ما نرى عما نريد. فباعدنا بيننا وبين الدار، وعبدنا أنفسنا للبعد عن المزار، فجيفنا وطفنا حول الجيف، ومتنا والتزمنا المقابر، وانتظرنا القيامة والبعث، والساعة والشفاعة، وفي السماء كما في الأرض تحقيق الوعد والوعيد، أمر لا يدرك فيهما للدثار الجديد، وإن كان الظاهر مرآة الباطن للنظر الجديد، كتاب يقرأ فيه الطالب فيهما ما يريد، فيعلم أنه الحاضر من الغيب القديم والجديد، ويعلم أن باطن الحاضر هو على ما هو الحاضر، يطلب ييقظته من قديمه لنفسه عودا للعالم القديم الجديد، عند من يبدأ ويعيد بمن يبدأ ويعيد، بدءاً مبدوءاً من جديد، وعوداً مشهوداً من القديم بالجديد...

يعلم بالمدثر به يقوم وبالحق يسفر، أنه به ليلة قدر، ومظهر أمر، وحوض حياة، وشمس حقيقة. تشتعل منه مصابيح القلوب، فتشرق بين الجوانح، فتمحو ظلام الصدور، وتجلي لطالب الأمر الأمور، فيستقيم في الله أمره، ولا ينفرط عن الله عقده، فيسود بالله نفسه، ويبلغ بالله رشده، ويعطي الحكم صبيهاً، ويبعث بالطريق فتياً، ويبعث بالحق كهلاً محموداً مرضياً. يعطي الحكم كما أعطي يحيى وقد أعطي الحكم في سلام مولده فحكم نفسه، وقهر نفسه، وبعث من رسمه في ذات نفسه وجسده وحسه يوم مات عنها في سلامها، فبعث بالحق حياً بقيامها، فقام عقله مشرقاً بنور الله على غريزته متطورة بأمر الله، فاستقامت على أمر الله وعلى نهي الله أقواله وأفعاله وأحواله، ولو أن يحيى كان قد أعطي الحكم على ظاهر الناس، وكان هذا هو المقصود من قول الله، ما جز الناس بيت عتيقه من قالب العقل موضوعاً برأسه، وما تلهو برأسه ظاهر نور الله مرفوعاً، وما عبثوا بجدته ظاهر وجود لحي لا يموت، وقلب عالمٍ لسموات وجود.

إن الناس الذين يجعلون هواهم في حكم الناس والسيادة على الناس، والأمر والنهي في الناس، والقيام في مقام الربوبية والألوهية على الناس، وفرض سلطانهم وإرادتهم ومشيتهم ووعيمهم أرباباً على الناس وآلهة لهم، لا يستقيم لهم أمر، ولن يرفع لهم في الناس ذكر. فسيد الناس، خادم الناس.

إن الذي جاء به دين السماء قديماً، والذي يأتي به دين السماء جديداً، إنما هو الخدمة للناس، إنما هو الإيثار مرضاة لرب الناس ملك الناس إله الناس. أما ما تأتي به الأرض من دين فهو دين الظلام وأهله، دين الغفلة وأهلها، دين الطين وأهله. إن التوحيد والوحدانية إنما هي رؤية الله من وراء الناس، وجوه إحاطته وحكمته، لعين الرأي المؤمن به في نفسه، الطالب من ربه معه أن يجعل منه له عبداً، وهو يعلم أنه الغني عنه وعن عبوديته، فليقترب إليه في الضعفاء والمعوزين والفقراء من خلقه، متصدقا بالكبر على أهل الكبر من قومه، متحملاً في سبيل ذلك غضبة الطاغوت وعبء الإيثار.

إن الله لا يجعل من عباده سادة على الناس، وهم في دثر الخلق، وهم في ثياب المادة، وهم في جلباب الطين.. اللهم إلا خلقاً من طين يتحكم في خلق من طين من شيطان وأبنائه من الشياطين. ولكن الله يجعل ذلك لقلوبهم يوم تحيا هذه القلوب بأمر ربها في خدمة الناس، وذلك حتى لا يجعل من أبدانهم مشاركة لفتنة الشيطان، وضنا بشرف وحظ الوصلة بهم عن الابتذال، فيداول الله أيام الله وهي عديد القرون بين الناس من الأحياء بعضهم لبعض، بين يوم من خدمة ويوم من سيادة، فمن أعطى الناس في يوم حاجتهم عرفهم بالله عليه لضعفهم وجهلهم كان في آخرته مظهر سيادة الله عليهم بضعفه معه وقدرته فوقهم يحملون عرشه بصالحهم، ويقومون ملائكته بعارفيهم. وهو إذ يكون سيداً فإنه لا يفارق وصفه من الغناء عنهم تخلقاً بأخلاق ربه، ويبقى الراعي لهم، الموفي لحاجتهم كما يبقى المفتقر إليه منهم.

إنها قضية آدم وأبناء آدم المكرمين، وآدم وأبناء آدم المهانين. إن الصالح من يرى فيهم اليوم وجوه أبيه أيا ما وجدهم، وسوف يتكشف له فيهم وجه أبيه في يومه أو غده عند قيامته بحقي الحياة، فليتمل من من بينهم يخال ليتكشف له الطريق إلى أبوة الشيطان، أو إلى أبوة الرحمن، وهو ما نسميه في الأديان القديمة إبليس وجنوده، والله وملائكته، ولا تقوم العلاقة بينه وبينهم، أو بينهم وبينه في هذه الحالة من الأبوة لهم والبنوة له أو البنوة له والأبوة لهم، أو الأبوة له بيتاً لفريق، والبنوة له في بيوت لفريق في حال طريق الرحمن، إلا على أساس من روابط المحبة والحرية والاختيار، {لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها}، ولا تقوم في طريق الشيطان إلا على أساس الغلبة لبعضهم فوق بعض بسلطان القهر والسيادة والجبروت.

إن إنسان اليوم، أو إنسانية اليوم، إنما هم أبناء إنسانية الأمس وأحفاد من قبلهم في الأمرين أو الآدميين. وإن إنسانية الأمس، ما لم تمسكها يد الله بتوفية وتمام فسترد خلال إنسانية اليوم، مبعوثة في إنسانية الغد. وعلى هذا المثال كانت الإنسانية، وبه هي كائنة، وعلى نسقه سوف تكون في دوام، فنحن أبناء إنسان الأمس، وآباء إنسان الغد، فإذا كان لكم في الغد خلال أبنائكم بعث، فإنما هو بعثكم

بمعاني الأبوة التي هي لإنسانية الأمس عليكم مفاضة منها لكم على إنسانية غدكم بكم، قيام آبائكم في الأبناء، وقيامكم أبناء بالآباء كلمات لله لا أول ولا آخر لها، يوم يتم لها وتوفى في معنى الإنسان فيه الابن مثل الأب في الله، والأب مثل الابن في الله. إن الذي فاتته التمام في أمسه ليتوفاه الله، لن يفوته التمام في غده أن يتوفاه الله، ما سعى إلى كسب معناه من الإنسان لمعناه بحاضر البنيان من طلب أنانية الحق للحق بالحق ذاته، أو طلب التواجد بحقية نفسه مضافة لربه، فالإنسان ما بين قلب وقلب، وما بين قديم وحاضر، وما بين حاضر وقادم يتزوج بقديمه مع حاضره، ويتزوج بحاضره مع قادمه ممن يتحاب معه بمعنى بيته وزوجه وولده وصحبه. وذلك إذا تزوج مع قلبه بقلبه، إذا تزوج بعقله مع نفسه، إذا تزوج بغيبه مع شهادته، إذا تزوج بمعلومه مع مجهوله، إذا تزوج بروحه مع ذاته.

إن الإنسان لا يعرف طريقه إلى رحمة الله قائمة به، وقائمة عليه، إلا يوم يرحم بما ملك من رحم مستحقا لها، فيزداد بإيثاره مما ملك، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء. الرحمن علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان. هو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى. خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين. وكان الإنسان أكثر شيء جدلا. فإذا رجع عن مخاصمته انقلب حبيبا لأمر ربه له به يبين، وعن الله يتحدث، وبالحق يقوم، فيصبح لله كلمة ولله بيان. أما بنعمة ربك فحدث.

إن الإنسان تتخلق فيه المحبة من المخاصمة، ويتخلق فيه العلم من الجهل، ويتخلق فيه القرب من البعد، ويتخلق فيه اليقين من الكفر، ويتخلق فيه الإسلام من المجانبة، ويتخلق فيه الوجود من العدم، ويتخلق فيه النور من الظلام، وتتخلق فيه النار من الخمود، وتتخلق فيه الحركة من الركود.

إن الإنسان أمره في الله عظيم، وأمره في الله عجيب، ما طلب الله وما آمن بالله في نفسه. فلا تؤمنوا بالله بعيدا عن أنفسكم، ولا تنكروا على أنفسكم من الله، وفي أنفسكم أفلا تبصرون. فلا تكونوا ممن في أنفسهم لا يبصرون. أنظروا وتأملوا فيما حولكم وفي الآفاق، وردوا النظر من الآفاق ومما حولكم بما عرفتم وبما تألمتم، ردوا النظر إلى ما في أنفسكم مما تملكون وتقدرتون، ومما لا تملكون ولا تقدرتون، وهو ما في الله تقومون. ارجعوا البصر كما أمر رسول الله بإرجاعه فأرجعه. ارجعوا البصر كرتين، ارجعوا البصر إلى ماضيكم وكيف تواجدتم، وارجعوا البصر إلى مستقبلكم فيما أوجدتم، وارجعوا البصر إلى أنفسكم في حاضركم، إنكم إن صلحتم لأن تكونوا لله ظلال، كنتم ظلالات ذات ثلاث شعب.. انطلقتم إلى الماضي عارفين، وانطلقتم إلى المستقبل عاملين، وانطلقتم في الحاضر مشرقين بنور الله وقد جعل لكم نورا تمشون به في الناس.

هذا هو الحق من ربكم فلا تكونوا من الممترين. لا تذكروا اسم الله تلوكونه بألسنتكم ولا أثر له في قلوبكم، ولا تذكروا اسم رسول الله لفظا تلوكونه بألسنتكم ولا تقومونه فيه بمعانيكم. إن اسم الله يجمعكم في حاضرکم من بدئكم من دنياكم، ويكشف لكم عطاءً من الله بآخرتكم في آخرتكم. إن اليوم الأول هو الله، وإن اليوم الآخر هو الله. فإذا قيل لكم آمنوا بالله وباليوم الآخر، وقد جعل اليوم الآخر قرين اسم الله، فهذا معناه أن اليوم الأول من الله أمر له بإنسان من حقه توفاه وأكمله، وأمسكته يده علما عليه، ووجهها له، وأصلا لكم، إنسان أحسن تقويم واللائهائي هو الذي ما ظهر في شيء مثل ظهوره في الإنسان، وأن هذا الوجه لله، الذي هو موضع إيمانكم بالله بوصفه القديم يجب أن يقرن إيمانكم به بالإيمان بأنه سوف يتواجد مرة أخرى بينكم ومنكم وسيكون هو اليوم الآخر لكآل آدمكم من ظاهر آدميتكم الباطن إنسانكم يتواجد على أرضكم آدمآ وبيتآ لله مستخلفآ، على ما كان في أزلية الله لكم بآدم الله لبدئكم، وهذا ما عنآه رسول الله وهو يصارحكم في عبارة خالية من الإشارة يوم قال (بينآ أنا نائم أطوف بالكعبة رأيت رجلا آدم، قلت من، قيل ابن مريم، ثم رأيت رجلا أحمر بدين، أعور العين، كأن في عينه نبقة، هو أشبه الخلق بفلان "رجلا سماه"، قلت من، قيل الدجال، والله ليس بأعور)^٢. ولا أخالني بعيدآ عن الصواب إذا قلت إننا في زمانه، وإن إرهابات الأحداث تهيئ الأسماع لصوت بيانه.

إن الذي قال لكم إن الله ما ظهر في شيء مثل ظهوره في الإنسان ما كان غير كائن إنساني عبر عن معنى الإنسان، رآه في أبيه آدم الله اليوم الأول للخلق بالحق، وهو ما عرف عند نفسه آدمآ من تعبير آدم عن نفسه من الله وجهآ له عند أبنائه، وربما لهم لا فرق بينه وبينهم في الله.

وإن محمداً عليه السلام والصلوات، وبه السلام، وبه تكون الصلوات، ما كان في حقيقته المدثرة بمظاهر الثياب من المادة، ما كان في حقيقته إلا آدم في دورة آدم في الله، سبق بدورات ويلحق بدورات ليست غيره، وهذا ما عنآه بتبليغ الكتاب يوم بلغ إلينا في قوله {قل إن كان للرحمن ولد [فأنا] أول العابدين}^٣ وفي قوله {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم}، وفي قوله {وتمت كلمة ربك}^٥، فهو ابن إنسان رحمة الله، وإنسان رحمة الله، وروح قدسه، وكلمة الله التامة الجامعة لكلمات الله.

إن لله الأمر من قبل ومن بعد، وفي حاضر. إن لله الأمر، في أول الأمر، وإن لله الأمر في آخر الأمر، وإن لله الأمر في قائم الأمر. إن الذين يؤمنون بالله قديما ولا يؤمنون باليوم الآخر متجليا ظاهرا.. إن الذين لا يعرفون أن آدم في تمامه وكآله هو وجه الله، وأن من كان كلمة لله بمعاني الابن له هو وجه لله فالأب وجه أزلية الله، والابن وجه أبدية الله في تمام لأبيه، فلا يؤمنون بظهور هذا الأمر في قابل لهم من حياة الإنسان، وقد آمنوا بهذا الأمر في قديمهم من حياة الإنسان فييأسون من روح

الله لأنفسهم كافرين، لا يقبل منهم إيمان. ألم تر أننا تأتي الأرض ننقصها من أطرافها.. هؤلاء لا يعرفون الله، ولا يؤمنون بالله لأنهم يباعدون بينهم وبين يدي رحمته تقلهم وتظلمهم وترعاهم في حاضر، وتسفر لهم في قابل بإنسان الله في أنفسهم.

الدنيا والآخرة يومان لله، حاضر الإنسان بدنيه يوم أول، وقابل الإنسان بداني أخره يوم آخر، وحيثما وجد الإنسان كانت دنياه، وحيثما صار كانت أخره. فإذا وجد الإنسان في حياة الروح كانت حياة عالم المادة آخرته واليوم الآخر له، إن قدر له أن يكون له بها عمل. وإذا وجد الإنسان في حياة عالم المادة، كانت حياة عالم الروح آخرته واليوم الآخر إذا قدرت له فيها إفاقة ومواصلة عمل. ولا تختلف حياة عالم الروح عن حياة عالم المادة عند الأحياء بالله فيهما، فهم بين حياتين لعالمين من المادة والروح، هم فيهما بين الكسب والجزاء، وغيرهم بين اليقظة والغفلة في العالمين حتى يدركوا من الجزاء الرغبة في الكسب، ومن الكسب الأمل في الجزاء. إنهما حياتان تتبادلان الإنسان، ويتبادلهما بين ظاهر داني وباطن متداني، بين حاضر مدرك وغيب غير مدرك، بين معلوم ومجهول، بين ميسر له وممتنع عليه. إن كان في حياة عالم الروح يقظا مدركا فهو في دنياه بها يطلب آخرة له، ويراهما حياة عمل له على ما ترى حياة عالم المادة. وإن كان في حياة عالم المادة فإنه لا يفارقه وصفه بالروح، ولكنه في حياة الكسب والمجاهدة والتحصيل، أما الحصيلة فينتظرها في حياة عالم الجزاء. فالإيمان بالآخرة أمر يقترب بالإيمان بالدنيا. لحياة الروح دنيا لمن يؤمن بها داني حياة. فالدنيا أيضا في حاجة لأن يؤمن الإنسان بها، سواء في حياة عالم المادة، أو حياة عالم الروح، وإيمانه بها يوم يعرفها ما هي وما تكون، فإذا عرفها ساعة في سرمدى الحياة ولحمة في دهر الوجود، وعرف أن الحياة لطالها هي في الارتباط بالحى من الإنسان في بارقة من الحب، عرف قوله تعالى {وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر}، أو هو أقرب، وأدرك عبارة رسول الله - إن الله في أيام دهركم لنفحات فتعرضوا لها - وما عنى رسول الله بالتعرض للنفحات إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فإنه إنما يشير إلى لمحات وبارقات تخفى على العمي، ولكنها تبرق أمام عيون تعرضت لرحمة الله، وتفتحت بنور الله. إنه يعني يوم الجمعة، إنه يعني الداعي الذي كمل في الله أنه ومعناه، وأشرق سراجة وزهبت الغيوم عن شمس.

فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر، وظهر من كانت الشمس عليه دليلا في شمس حقيقته، وابن الإنسان داعيا إليه بإذنه وسراجا منيرا، داعيا لا عوج له ضرب له ابن مريم مثلا، إذا أجيب دعوته كانت الإجابة لله، وكان الاجتماع عليه اجتماع على إنسان الله، إذا نودي للصلاة وما الصلاة إلا الصلة بالله، إذا دعي للصلة بالله ممن فُتح له فتحا مبينا، فأبان للناس أن الله لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية، وما الطاعة إلا لصاحبها، وما المعصية إلا عليه، إذا نودي من هذا

الذي لا عوج له، فَتَقَبَّلَ القلب نداءه، ولبس القلب رداءه، ولقى النفس جزاءه وعلم العقل ما قدمت يده وأخرت، وعرف القيام موقوت قيامه في ساعة قيامته، فندم على ما فاتته، وطمع فيما هو آت، واستقام فيما هو حاضر، عرف نفسه بفنائها مادة، وعرف نفسه ببقائها بربها روحا، عرف الله من ورائه، ومن وراء من يرى محيطا، وعرف الله بينهما، وعرف الله بهما، وعرف الله قبلهما، وعرف الله بعدهما، وعرف الله فيهما، وعرف الله هما فيه، وعرف الله من ورائهما بإحاطته، دخل في حصن لا إله إلا الله فشهد محمدا رسول الله حقا وصدقا، لا يغيب أبدا، ويتجدد سرمدًا، كما كان في أزله هو في أبده، وهو في قائمه عبد الله ورسول الله، يمتد نور الله فيمن ارتضاه ربا لمعناه، وسيدا عليه من مولاه، فرآه منفردا في معناه، أمة عديدا بمبناه، لا عن تعديد لمعناه بل وجوهه في ذاته وبيته من تقييده، لا عن قيود فهو المدينة، وهو الطليق المتسع، وهو السفينة. لا ينفرط له عقد، فلا تفريق فيه، ولا فُرقة معه، فهو أحدية آحاد الله يوم يظهر بأحدثه، وهو واحدية الله يوم تعلم به وأحدثه، وهو كتاب الله يوم يُقَرَأُ من يقرأ، وهو وجه الله يوم يشهد الله من يشهد، وهو أذن الله يوم يسمع الله من يسمع، وهو لسان الله يوم ينطق الله من ينطق، وهو يد الله يوم يجعل الله من الإنسان يدا له وعضدا له، يخلق بها السموات والأرض ويوسع بها في قائم السموات والأرض.

ماذا عرف أدعياء الإسلام عن رسول الإسلام؟ وماذا عرفوا بالإسلام عن أنفسهم؟ وماذا عرفوا في الإسلام عن الربوبية لهم وعن الألوهية عليهم؟ وعن الحقيقة قريبة منهم؟ وعن تقدير الله متعاليا لا يدرك على ما يجب أن يعتقده المسلم في الإسلام في جلال عظمته، وقريبا لا يشارك بوجوده أقرب من حبل الوريد عند الموحّد على دين الإسلام وتعاليم الإسلام؟ وماذا عرفوا عن الشيطان يجري من أنفسهم مجرى الدم؟ وماذا عرفوا عن تبديل أمثالهم أو عن منقلبهم؟

إن الذي يأتي هذا البيت بيتا للروح، ودين الروح، وأمر الروح، ومحبة الروح، وفي عقله ذرة من القديم يحتفظ بها لا يصفو ماء إنائه بورود إذ هو لم يرد، فهو لا يصلح لأن يستقبل ماء هذا الحوض وفيض هذه الدار، ليس أهلا لأن ينعم بنعم الروح تُبذل بلا مقابل، وبلا إجهاد، وبلا مطالبة بشاق من عمل، لن يتعرض لنفحة الله من روح الله تداني أرض الناس من سماء الناس في بيت من بيوت الله موضوع، لبيت من بيوت الله مرفوع. اقدفوا إلى خارجكم بكل وعي حمل إليكم، فما حملت إليكم ما حمل يد أمينة، بل حملته إليكم أيدي منحرفة. حرفوا الكلم عن مواضعه، وحرفوا الدين عن أهدافه، فأبعدوا طالبه عن مراجعه وأبعدوا الكلم عن مواضعه، وقاموا على الناس بظلمات أنفسهم، بظلامها يمتدون باسم النور، ويعلمون باسم التقوى كل أنواع الفجور. أين الدين فيما تقرأون أو فيما

تسمعون؟ اللهم إلا منقول ألفاظ البلاغ من كلمات ترتل في تنغيم، يختار لها الصوت الوسيم، فيظهر للأذن التنغيم، ويخفى على العقل المراد والتعليم.

يتحدثون بلغة الإكبار لمحمد والتميز له، بنفسية الصديق الجاهل، وليتهم نقدوه. وما أكبر محمد نفسه وما ميزها عما يتقبل الناس له، وما قدم نفسه للناس بما تقبلت له، إلا ليعرف الناس ما تتقبل له نفوسهم في الله يوم يصلحونها لربهم معبدين. ويوم يزعمون إيماناً بالله، يرون محمداً على صورتهم، ولا يدركون أن الدين يطلبهم ليكونوا على صورته. ولو كان على صورتهم لكان إخراج الله له قدوة وأسوة عبثاً منه وعبثاً بهم.

إن الذي أسرى بمحمد من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، يسري بكل عبد له من مكان إلى مكان، وإن الذي عرج بمحمد، يعرج بكل عبد له من سماء دنياه إلى سماء وسما. وإنه إن أسرى بإنسان أو سرى به، أو عرج بإنسان أو أعرج به، إنما يكون ذلك في ظل قانون لله ثابت يلحق كل عبد له، وينفذ في كل متقبل له، ويقوم به كل صالح له، ويعمل مع كل طالب له.

إن شرف محمد، وكرامة محمد، وقيمة محمد، وعظمة محمد أنه طلب فمكن أن يتعادل مع طالب ربه معه قاب قوسين أو أدنى مستعينا بالرفيق الأعلى قائماً به، ليقوم بنفسه مع طالبه بمطلوبه ثالثاً لإنسان بيت الله، المؤمن بالرفيق الأعلى ولده وكلمته، وهو له وصلته وروحه ورحمته، وهو للقيوم عليه الحق آدمه ومعناه. إنها الحقيقة على ما عرفها عيسى لنفسه بقيومه في قائمه، بإنسان سيادته على إنسان مسودته.

إن الذين ينكرون على تثليث وتخييس وتسبيع وتعدد حقائق الإنسان في رقيه بوحدانيته، لا يفقهون في فقه التوحيد عن الدين شيئاً. إن ثالث حقائق إنسان الله وعبده الحقي، إنما هو ثالث الإنسان في معنى بيت الله، وهو ما عناه تبليغ رسالة الإسلام ببيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وأنه لا إله غيره ولا معبود سواه، وما أشار إليه من بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه بأهلها عباده وحقائقه من الأب والأم والابن والبنت والأخوة والأخوات أهلاً لبيت الله من بيوت له. استمع للرسول يقول هؤلاء أهل بيتي، كما يقول سلمان منا أهل البيت، واسمعه وهو يقول من آمن بما آمنت به فكان مني وكنت منه، وليس مني ولا أنا منه من خالف سنتي. إن الوحدانية لله جميعاً، وإن الوحدانية معي هي معراج الوحدانية مع رحمة الله، وهذا هو معراج الوحدانية إلى رحمة الله. وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها.

إن الذي بدأ إيمانه ودينه منتسباً إلى الحمد له أب وأم وأصل وكلّ، فأواه محمده، وقد أدرك يُتَمُّه عن سواه، متخلقا معه بما تخلق ربه به معه، كان يتيماً فأواه، وقد أمر أن اليتيم لا يقهر، فلما رأى اليتيم

معه متحققا له فلم يقهره بل احتضنه وأحبه وآواه، وسرى فيه بنوره، وقد أمر أن يصبر مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه به، فصبر وما كان الوجه المراد إلا وجهه عليه السلام. جاء به الحق إلى حقائق الخلق، ألم يكن الله من ورائه محيط! ألم يكن الله قائما على نفسه، وهو القائم على كل نفس، والمحيط من وراء كل نفس! ألم يقل لكم الرسول: والذي نفس محمد بيده! ألم يقل الله أنه يتوفى الأنفس حين موتها، وقد بعث بالحق رسوله بعد موته! ألم يعرفكم الله أنه يدا الله وهو يقول لكم إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله! يا يد الله، يا وجه الله، يا ذكر الله، يا اسم الله، إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، وأنت في معنك من يد الله فوق أيديهم. فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ولا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما. إن الذين يقولون إنهم آمنوا بي ولا يؤمنون بك لا أقبل إيمانهم، لا أقبل منهم إيمانهم بي لأنهم إن صدقوا في الإيمان بي لاستجابوا لأمرى من الإيمان بك وبمن على سننك أولى بهم من أنفسهم، مقدرى بإمامهم حق قدرى، وأنا المعروف لعبادي بعبادي، يوم أتوفاهم قيامهم، فأدعوا كل أناس بإمامهم، أمة هي فرد وفرد هو أمة ملة إبراهيم حنيفا وقد جعلته أمة هي إبراهيم قانتا لي.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله كما أمركم، وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته. إنكم إن لم تؤمنوا برسولي بينكم منكم لم ينلكم أي الكفلين من رحمتي، فإن الذي يؤتكم الكفلين من رحمتي هو رسولي، ما قدرتموني حق قدرى. إن إيمانكم بقربى لا يختلف عن إيمان الأرض التي تطأونها بقربى. إن الجهاد يؤمن بي وإن النبات يؤمن بي وإن الحيوان يؤمن بي ويسبحني، ويعجب من إنكار الكافرين منكم. إني لا أطلب لكم بي إيمانا فيكم كإيمان الجهاد، ولا إيمانا كإيمان النبات، ولا إيمانا كإيمان الحيوان، فأنتم في هذا الإيمان قائمون، وإن جهلتم بجهلكم أنفسكم بي منى روحا خالدا، ولكني أطلب لكم بي إيمانا آخر. إني أطلب إلى نفوسكم وعقولكم إيمانا بها لي فأخاطب عقولكم ونفوسكم، وهما منى ومن واسع وجودي، جعلتهما لكم من رحمتي وجودي، عقلان أو نفسان يتقبلان لأمرى في نظامي وفعلى، كلاهما خاضع ساجد لمرادى، ينأى ويقرب في، ويجانب ويصالح بحكمتي وإرشادي في ظل هدي وإرادتي ومشيتي، أوجدتهما لنفسى وليعرفا ويتعارفا ويتحدا ويفترقا بحسهما من عين حسى في إدراكهما لوحديتي في عين وحدانيتهما. هما عني لا يغفلان، وللوجود الذي أوجدتهما له عين معاني يقومان، وبه لما أوجدت لهما يمتلكان، وبه ينعمان، وله يشغلان، وبه لا يشغلان، ولا يمتلئان، ولا يأبهان. فلا الوجود يملأ موجودهما مما خلقت لهما ولكنهما تخليا عن التواجد بما جعلت لهما ليتجليا بما خلقا له من معاني العبد وربى، أو الرب وعبدى ظهورا لنفسى كتابا لي ينشر، وقد خلقت كل شيء بإحاطتي ووحدانيتي ظهورا بوجهه من كنوز غيبي.

إذا لم يقيم الدين، ويدور الفكر، وتقوم الحياة اليومية للناس حول هذه المعاني مشهرة مشرقة مُجربة، تدرس وتبحث، وتُعلم وتُعلم فلا دين ولكنها الضلالة، ولا يقين ولكنه الموت، ولا طريق ولكنها الهاوية، ولا صدق ولا صديق ولكنها مصاحبة الشيطان.

لا تضيعوا أوقاتكم سُدى. إن الذي يأخذ منكم حديثاً واحداً من هذه الأحاديث المتعددة المتكررة يسمعه فيستقبله بآذان قلبه، لكفاه هذا الحديث في دنياه وفي أخراه، وكان له كتاب يمينه يوماً، بل في يومه يوم يعمل فكره، ويشغل تفكيره به، ويحاول الاستقامة عليه، والعمل به، والتواجد فيه في حدود حاضر وعيه متطلعا إلى مزيد من الفهم فيه، والقيام به، والنشر له.

هذا حديث يخرج من القلب بروح المحبة والرغبة في الخدمة والإيمان بحقيقة الناس، لا تستقبله الآذان ولكنها بظلام النفوس تكفره، ولكن تستقبله القلوب، يوم يتواجد للقلوب صفاء، ويوم يتواجد للعقول وعي، ويوم تهجع النفوس فلا تستعلي ولا تستكبر بعروس ظلامها. هذا حديث عن الخلود للخالدين في الخالد. لا يضيع ولا يفقد فهو خالد بطبيعته عن الخالد.

إن الذي يستمع لهذا الحديث فيتقبله بصدق، تنهار دنياه من أسفله، ويسقط تاج ظلامه عن رأسه ويتفكر في الله مدركاً له، أقرب إليه من حبل الوريد حقاً وصدقاً، ملكوته بين جوانح العباد فعلاً ويقيناً وحساً. من ورائه ومن وراء الكل بعظمة إحاطة وحدانيته، الناس وجوه الله في الله يُنظر، وهو وجه الله بالله يقوم، لا فضل له فيما وعى، ولا فعل له فيما خدم، ولا استقامة له فيما تواضع، ولا همة له فيما فعل، ولا ملك له لما بذل. فالأمر من الله وبالله وإلى الله.

هذه هي حقائق الدين لمن يريد الدين. فأسأل الله لي ولكم أن نكون من أهل الدين. وأسأله لي ولكم أن يجعلنا من أهل اليقين. وأسأله لي ولكم أن يجعل لنا يقيناً فيه غير مجذوذ ولا متوقف، وأن يجعل معرفتنا به، ومعرفتنا لأنفسنا فيه، لا ينقطع به مزيدها، ولا يتوقف فيه جديدها، وأن يرفع عنا حجاب الغفلة ليقم فينا به أصل اليقين ببركة سيد المرسلين وإمام العابدين، وأول الساجدين، ورب العالمين من رب العالمين، برحمته علينا يقوم، وبربه لنواصينا بالخير والهدى يأخذ، وبحقه فينا يتجدد، به نسعد، وبنا لله يشكر فيحمد، لا إله إلا الله محمد رسول الله.

اللهم إنا نسألك أن ترفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم. اللهم ولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا، وارفع حجاب الغفلة عنا، وقوم سبيلنا حكماً ومحكوماً، قادة ومقودين، مجاهدين ومتابعين، يقظين وغافلين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

وأَنْزِلَ اللَّهُمَّ سَكِينَتَكَ عَلَى قُلُوبِنَا، وَالسَّلَامَ وَالسَّلَامَ عَلَى أَرْضِنَا، وَعَافِنَا مِنْ شُرُورِ أَعْمَالِنَا، وَلَا تَوَاخِذِنَا بِمَا فَعَلْنَا، وَعَامِلْنَا بِعَفْوِكَ وَرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

أضواء على الطريق

عن السيد الروح المرشد (سلفبرش) الروح الإنساني القديم، وعبد الله المجرد، والروح القدسي المبارك، رسول الروح الأعظم لمعناه، يتحدث عن مهمته ومهمة الأرواح المرشدة التي تتصل بعالم البشرية من الجانب الآخر لعالم الحياة.

(إني أحاول لكي أفسر قوانين الروح العظيم بلغتكم، والذين يقرأون كلماتي قد لا يرضون أحيانا بتفسيراتي. ولكنني في عالم مختلف عنهم وعن عالمهم، فأنا أحيانا محدود بلغتكم وبوسيطي، فلا أستطيع القيام بينكم ظاهرا بإمكانياتي. فإذا فشلنا في الاتفاق، فإما أن النفوس في عالمكم لم ترتقِ لكي تفهم ما نقدم من الحقائق الأعظم، وإما أنني لا أقدر على الإبانة عن كل ما تكنه نفسي والذي هو أكبر من أن تسمح بتفسيره وإبانتته لغتكم الأرضية، أو تعجز نفوسكم عن تقبله مفاضاً بالإلهام الروحي على نفوسكم المادية. فمن الأفضل.. ونحن مستعدون دائماً للخدمة وتعليم القانون.. أن نقبلوا منا ما نقدمه حتى يحيا سكان العالم المادي على ما أراد لهم الروح العظيم أن يحيوا. أليس من الأكرم أن تبصروا بدلاً من أن تكونوا عمياً؟ وأن تسمعوا بدلاً من أن تكونوا صماً؟ وأن تستيقظوا بدلاً من أن تكونوا غافلين؟ حاولوا أن تفتحوا نفوسكم للروح العظيم. جاهدوا أن ترثوا نفوسكم مع قوانينه حتى تتوحدوا معه ويتوحد معكم، فتصبح قلوبكم ونفوسكم في سلام، ويختفي النشاز من حياتكم، وتبدأون في حياة لم تحيوها من قبل قط.

لو أن الذين أوتوا المعرفة منكم كانوا أمناء على المعرفة.. فما أعظم ما كنا نؤديه! الذين استمعوا لصوت الروح والذين شاهدوا نفوذ القوانين الروحية في الظواهر التي تربط عالمي الحياة سوياً.. لو أنهم تناسوا أنفسهم وتابعونا إلى عليين لأمكننا الحصول لكم على الكثير).

السيد الروح المرشد (سلفبرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

- ٢ إشارة إلى الحديث الشريف: "بينما أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة، فإذا رجل آدم سبط الشعر، بين رجلين ينطف رأسه ماء، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا ابن مريم، ثم ذهبت ألتفت، فإذا رجل أحمر جسيم، جعد الرأس، أعور العين، كأن عنه عنب طافية، قلت: من هذا؟ قالوا: الدجال، أقرب الناس به شيها ابن قطن." أخرجه البخاري ومسلم باختلاف يسير. وعبرة "إن الله ليس بأعور." جاءت في حديث آخر للبخاري ومسلم أيضا.
- ٣ سورة الزخرف - ٨١
- ٤ سورة آل عمران - ٥٩
- ٥ سورة الأنعام - ١١٥
- ٦ سورة القمر - ٥٠

(٢٠)

في السلام يولد وفي السلام يموت وبالسلام يبعث

حديث الجمعة

٢١ رجب ١٣٨١ هـ - ٢٩ ديسمبر ١٩٦١ م

أعوذ بالروح الأعظم، وأطمع في كرم الذات الأقدس، وأستعين بالأكبر الرحمن الرحيم. وأشهد أن لا إله إلا الله، به أطمع أن أشهد أن محمدا رسول الله، فأدخل به في رحمته وفي عبوديته.

عباد الله، على ما أسأل الله لي ولكم أن نكون له عبادا وخلق الله، على ما أعرف أني وأنكم أن الطريق إلى الله كما رسم رسل الله، وكما علم الله، وكما أبلغ الله على لسان أنبياء الله، حملوا نبأ الله بذواتهم، بأنفسهم، بعقولهم، بأرواحهم، بمقوتهم، بدائمهم، بقديمهم، بحاضرهم، بما تجدد لهم مثلاً للناس ارتضاها الله أن يكونها عباد من خلقه، ليكونوا عبادا له ممن خلق، عند من به تخلّق، فجدد نفسه من فعله، وقام حقه بأمانة الحق معه، خلقه وما صنع فكان خلقا له، وحفظه بما رضي فكان حقا له، وأظهره بما شرف فكان وجهها له، وكبره بما عرف فكان عالما له، فعرف به رب العالمين.

إن المعركة المشبوبة بين الخالق والخلق، بين الباطل والحق، بدءا من عالم الظلام بأرضكم، معركة مرادة، معركة اتسع لها حلم الخالق اتساعا بمغفرته لجفوة المخلوق، معركة اتسع لها علم العالم بجهل الجاهل المبدوء، معركة مقدسة، خلق الإنسان فيها من نقطة فإذا هو خصيم مبین. فلن خاصم ومن الخصم؟ إنه خاصم الأبوة الخالقة، وما خاصم اللانهاية المستغنية. خاصم الأقدس من ذاته، خاصم الأقوم من جنسه، وما خاصم الأكبر من قدس الله. خاصم الخالق الذي خلقه وما خاصم من منه خلق خالقه. إن الخصومة إنما هي بين الفرع وأصله، بين البدء المبارك وما صدر عنه، بين آدم اصطفاؤه الله وأبناء آدم محل كرم الله، بين آدم وآدمه له، بين آدم وأوادمه منه.

أما مصدر الحياة، أما قانون الحياة فلا خصومة معه. ضرب بينهم بسور ظاهره من قبله العذاب وباطنه من قبله الرحمة. إنه مصدر الحياة يختبر الناس على ما هم عليه حتى يسلكوا بفعلهم، وبمشيئتهم، وبإرادتهم، سبيلهم إلى النار ليصلصلوا أوزار نفوسهم، أو سبيلهم إلى النور لأواني عقولهم به تشرق. هم بين النور والنار يتواجدون، بين نار الله مشعلة بين جوانحهم مطلعة على أفئدتهم، بل الإنسان على نفسه بصيرا، فيه ضمير لا يكذب، فيه حق لا يخرف، فيه نار الله موقدة، وفيه نور يهديه سبيله، ويأخذ بيد الظلام وليله من غلاف نفسه. فالإنسان في تكوينه من الظلام بين يدي رحمة من النار والنور، يتقلب بين اليقظة والشعور، يأخذ الله بناصيته شاكرا وعاملا، يأخذه في طريق الشكر ليحمد ربه غنيا عن حمده، ويعرف ربه غنيا عن معرفته، ويأخذه في طريق العمل أن ليس له إلا ما سعى، وقد أعطي خلقه وهديه فيتخلق بأخلاق ربه، محمدا محمودا أحمدا، في نفسه، لنفسه، بنفسه، من نفسه، فيعرف من ليس كمثله شيء... يعرف المتواجد في تجليه بصنعه، لا عن صاحبة ولا ولد... يعرف ربه في نفسه، ويعرف اللانهائي في معراجة للرفيق الأعلى فالرفيق الأعلى إلى الرفيق الأعلى إلى ما لا نهاية له...

فيداني بذلك آدم وأوادم تواجده في نفسه، عن طريق بعث سبقة منهم بجديد لهم من خلاله ولداً له، الأقرب فالأبعد، ليصلح آباؤه ويرتقون ويولدوا بجديد منه للتعارف بقديمهم إلى جديد أنفسهم، هو روح قدس لهم وحلقة وسطى بينهم، ويفعل به ويفعل به، فيداني قديمه بالآباء الوجود الظاهر المتجدد بالأبناء من خلاله المرة بعد المرة، في سلام يولد وفي سلام يموت، وبالسلام يبعث على جانبي الحياة، فيظهر في ظاهري الحياة بحاضر رسولا منه إليه، الكرة بعد الكرة، في فعل يصبح من صنعته، يقوم فيه ويدوم عليه بلا نهاية، فيحيا ككأبا بنفسه، فردة وجمعه، بيته وأهله، قديمه وجديده، بحاضر له، يقرأه وينشره في العالمين، ويعلنه كتاب يمينه، عند عوالم تواجده من فعل يمينه، كلتا يديه يمين، ليس على الغيب بضنين، لمن طلب المعرفة منه، فقصده وجهه لله، ويصاحبه طريقا لله، ويطرق بابَه بابا لله، ومدينة لله، وعوالم حضرات لله، علام الغيوب، كلمة تمت لله، وأمة وسطا من الشهداء على الناس في جديدهم وجوه قديمهم رسلا من أنفسهم. شعب الكتاب ونور الأمم.

هذا الذي أقول وهذا الذي أبين هو ما جاء به كتاب الله مع محمد، وما جاء به بيان الله في حديث محمد وفعله، ما نطق عن الهوى، وما تفكر في ذات الله وقد شاهدها وعرفها وقامها، فقد آمن ذات الله ذاته، وذات الناس، وذات الوجود مما حوله، ومما لم يدرك. عرف أنه أينما ولى فثم وجه الله في يومه وأمسه وغده، إذا نظر في نفسه وفي داخله، ما كذب فؤاده ما رأى، وإذا قلب وجهه في السموات ما زاغ منه البصر وما طغى، وإذا نظر في الناس وفي أمر الناس وفي حكمة الله في الناس قرأ كتاب الله

له عن نفسه من الناس، كما قرأ في الوجود كتاب الله له عن نفسه من الوجود. فإذا انعكس بصره في بصيرته قرأ كتاب الله له عن نفسه، وكيف تشهد، وكيف تعرف، وكيف توصل، وكيف تشهر، وكيف تقوم، وكيف تتجدد، وكيف تتكاثر، وكيف تتناثر، وكيف تتوحد، وكيف دار الزمان بها على هيئته كيوم خلق الله السموات والأرض.

لم يعرف محمد عبد الله ورسوله عن الله ورسوله إليه، إلا ما عرف في نفسه عن نفسه منهما. عرف أن الله ما ظهر في شيء مثل ظهوره في الإنسان لأنه عرف أن الله قد ظهر به، وهو ما زال في وصفه من معنى الإنسان، وجهها له وحقا منه بعثا بالحق وموتا عن وصف الخلق.

ما عرف محمد من الله حقا متصلا إلا ما قام به فكان به حقا. فأمر أن يقول قد جاء الحق لنفسه، قبل أن يقوله إلى الناس. عرف أنه عين رسول الله إليه، من الإنسان من الروح، فطالب لنفسه وقد شهدت أن تشهد أن محمدا رسول الله بيقين لها مستقر عندها، قبل أن يقول للناس ها أنذا رسول الله بينكم. قال له رسول الله إليه ما أمنت مكر الله إلا بمصاحبتك يا رحمة الله، فقال له ما رُحمت من الله إلا بك أنت يا رحمة الله لي، ويا رسول الله إليّ، فإني لست غيرك يا أخي ولست إلا أنت، وما عرفت لي إلا معنك فأنت لست غيري، وستبقى لقومي يدعون بدعوتي على ما أنت لي تجمعهم علي، أما قيامي ببشريتي بين الناس وهو سابق وقائم قيامك فقد كان منه قلقك كما يقوم منه قلقي، حكمة من الله ورحمة، فقد كنت كما أنت قبل وجودي كما أنا فشعرتني قبل شهودي، وها أنا وإياك نبعث، ها أنا رسول الله بين الناس، وها أنت أخي ورسول الله لي، فإن كان في الأرض وجودي وفي السماء مجالي، ففي السماء وجودك وفي الأرض مجالك. فإن كنت لي رسولا بوجودك، فأنا بوجودي رسول إليك في مجالك، فالأمر منك وإليك كما علمته بك مني وإلي.

إن الذي جاء به محمد، قولاً أو فعلاً أو بلاغا عن الله فيه الغنية للناس عن كل ما سواه، لو صدق الناس أنفسهم، ولو قوم الناس أمورهم، ولو جمع الناس أمرهم على أمره، وجمعوا كتبهم على كتابه، فعرفوا كيف أصلح هو نفسه بنفسه بما فيه من عقله وإدراكه وحسه، فما دانت هداية الله مسفرة، إلا تتم له ما بدأ هو بنفسه من نفسه، بما أعطاه الله من قدرة ومن إدراك، ومن بصيرة، ومن هدي، وهو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

إن الله الذي أسعف محمدا بالروح لتتحقق له ما أشرفت إليه نفسه وما أدركه عنها بحسه. ما منع الناس أن يسعفهم بالروح ما كانوا فيما كان، وهو الذي هدى الناس ابداً بنفسك يا صاحبي ثم بمن تعول، ولأن يهديك الله فيهدي بك رجلا واحداً كان لك ذلك خيرا من الدنيا وما فيها، وكنت بك أو كنت بي رسول الله، وكنت بذلك أمة لله.

إن يهديك الله فيهدي بك رجلاً واحداً، فإن في ذلك نواة الحياة. خلقكم أزواجاً وكان لكما ظاهر الحياة وباطن الحياة، كنتما الظاهر والباطن لله، الله من ورائكما محيط، الله من وراء الداعي إليه محيط برحمته، والله من وراء المدعو إليه المحيى محيط برحمته بتزويجهما بقيامهما مثني في الله وواحداً فيه، يداني أحدهما الداني للناس منهما ويعلو المتداني منهما بجديد لهما في رضائهما ومحبتهما، وما تداني الداني من علوه للحاضر من أخيه إلا لأن الله لا اتجاه له. إن الله ليس عالياً على عالمك يخشى أن تعلوه بهمتك، وإن الله ليس دون عالمك ويخشى أن تذهب إلى ما دونه من بعده. إن الله قريب منك، وهو المتواجد بك لا خصومة بينك وبينه، ولا عداً بينك وبينه، ولا حساب بينك وبينه، ولا عقاب بينك وبينه، إنما الحساب والعقاب، والوهاب والجزاء، والمنع والعطاء إنما هو منك لك، بما هو فيك منه، في ظل نفاذ قوانين إرادته لا تخطيء، ولا تكسر، ولا تغلب، ولا تخفى. لا تنفعه طاعة وكم حذر، ولا تضره معصية وكم عفا وبشر. غلبت رحمته مشهورة، وقيام قدرته لا يجحد ولا ينكر ولا يقاوم. إن الإيمان به هو في الإيمان بك منه، وإن التوحيد له هو في الإنكار على عزلتك عنه والإنكار عن عزلتك عنه لنفسك عندك، والشرك به هو في قيامك مستقلاً عنه. فلا تقم نفسك إلهاً مع الإله باستقلالك عنه، ولا ربا على الناس بوجهه لك دون وجهه فيهم، ولا تعلو بعبوديتك له فوق عباده ممن تشهد. عليك نفسك فقوماً، وعليك أمرك لا تفرط فيه ولا تفرطه، فإن كان لك منه الهدى وأدركت منه باليقين، فأحب لأخيك في البشرية ما تحب لنفسك، حتى يكمل به إيمانك ويتزايد به فيك حسك، ما من مقام إلا وعند الله أكبر منه، وما من قرب إلا وفي الله أقرب منه، وما من رشاد إلا وعند الله أكل منه، عطاءً غير مجذوذ، وأجراً غير منقوص، ونمواً غير موقوف، لا يحصره حد بوجوده، لا ينقطع له تواجد في الموجود، أكبر وأكبر، والله أكبر، والله أكبر.

إن الإصلاح إنما هو في أن تصلح نفسك. المسلم من سلم الناس من يده ولسانه. لا تفسد أرض نفسك باسم الإصلاح، ولا تصلح أرض غيرك باسم الأمر بالمعروف لم تعرفه، هل شهدت الله؟ هل عرفت الله؟ هل خلّفتك الله؟ إنه مستخلفك على أرضك وعلى نفسك وبيتك، فهل أحسنت خلافتك على عالمك من نفسك حتى تقوم على عوالمه في غيرك؟

إن نهاية الفساد أن تكون فاسداً فلا ترى فساد نفسك، ونهاية الفتنة أن تراك في فسادك صالحاً، فتنتشر ما في نفسك من فساد باسم الإصلاح لغيرك. إن الشقي من شقي بنفسه، والأشقي من قام على الغير بشقائه. كيف يرحم من لم يرحم؟ وكيف توجد الرحمة عند من يفتقد الرحمة؟ إن الرحمة بمن في الأرض، تستجلب الرحمة ممن في السماء. ومن لم يرحم نفسه، كيف يرحم غيره؟ ومن لم يعرف ربه في الناس على ما هو به، كيف يهدي إلى الرب في النفس عند من يطلب ربه؟

عباد الله.. اتقوا الله في أنفسكم، في اتقائكم الله في الناس، لا تجعلوا من أنفسكم مثلاً علياً لغيركم، ولكن انشدوا في الناس مثلهم مثلاً لكم، فيما تشهدون فيهم، مما ترون بهم، بما تدركون وتبصرون بمقاييس الحق. من عرف الحق عرف أهله. اطلبوا متابعتهم فيما تشهدون من حسن الخلق، وتكبوا بأنفسكم ما تشهدون في الناس من سوء الخلق فالعادل من اتعظ بغيره، واحمدوا الله أن منع ما ترون عن أنفسكم.. اجعلوا من وجوه الناس لكم - من حسنت أخلاقهم - وجه الله إليكم، ورسول الله عندهم، فإذا كنتم تفتقدونه في هذا المجتمع المضطرب اليوم فردا فإنكم لن تفتقدوه في الناس غداً. وإذا كنتم قد جهلتموه أنه في الناس عداً، فلا أقل من أن تطلبوه بين الناس في المثل من حسني الخلق فردا. اعتقدوه فردا وجمعاً، واطلبوه فردا وجمعاً، فإنكم إن فعلتم لن تفتقدوه فردا وجمعاً. وقد تكفل لكم الله إذا ما جاهدتم فيه أن يهديكم السبيل القائم بقيامه والدائم بدوامه. لقد جاءكم كتاب الله وبلاغه بهذا الوعد وهذا الهدي، يهدي به من اتقى، ويضل به من بغى وطغى.

إن الناس في هذه الدار من عوالم الظلام بين النار والنور. يبدأون بأنفسهم شقاءهم أو سعادتهم، فريق للجنة وفريق للسعير. كان على رب رسول الرحمة حتماً مقضياً في قانون الوجود. لا النار تأكل الحق، ولا النور يطغى الصدق. ولكن الذي يأكل الناس إنما هو الظلام. إن الذي يطغى الناس إنما هو الظلام، إنما هو ظلام تواجدهم وظلام وجودهم حجاباً على ما جعل الله لهم، في باطن الظلام، من كنوزه، من رحمته، من عنايته، من نوره وناره، من كتابه وهديه، من خلقه وحقه، من ظاهره وباطنه. هم في أغلفة الظلام عالم ما قبل الحياة في رحم عالم تواجدهم، يولدون بالحياة بعملهم ما طلبوا الله ليتواجدوه إليه المصير. إن السير إلى الله إنما هو تواجد الكائن بالله، تواجداً لله، جديد القديم، جدلاً لا عن صاحبة ولا ولد.

إن الذي أنزل على محمد، وهو الحق من الله، وهو الحق من ربه، كان به محمد جديداً لقديم، جديداً للحق القديم، ما اتخذ الله به وبإنزاله لنفسه معاني البشر من صاحبة والولد، ولكنه جدد كائنه المخلوق بموته عنه وبعثه به إلى وصف الحق الخالق بالإنسان، فجعله يد فعله ويد رحمته، الأرض جميعاً قبضته في قيامه، زويت له الأرض. الذين يباعدون عن أنفسهم مسلمين له إنما يباعدون الله. الذين يضعون أيديهم في يده، إنما يضعون أيديهم في يد الله، ويد الله فوق أيديهم. إن يد الله خلق بها السموات يوماً، وإنه بها للسموات لموسع. إن يد الله خلق بها الأرض يوماً، وإنه بها لجديد من الأرض لخالق، لا ينقطع فعل يده، وما يده إلا الإنسان، يوم يصبح به فيه إنساناً، فيعنونه ويظهره، فيظهر الله به وجه طلعه ويد رحمته وقانون قدرته.

هذا ما يجب أن يكون عن الفهم في الدين، وما يكون إليه الطلب بالسير في طريق، أو بالقيام في هدى، أو بطلب للحق مع رفيق. هذا مما جاء به الكتاب ومما جاء به محمد، وهذا قائم في الناس كتابا لله، وكتابا لأنفسهم بحمد الله، فيمن حُمدت خلقه بينهم فتوبع منهم.

إن الله معنا، وإن الله جامعنا، وإن الله فارقنا، وإن الله مجيبنا، وإن الله مهلكنا، وما الحياة إلا بمن هو معنا، نحياه ونسمعه على ما يحيانا ويسمعنا. في وحدانيته دليلنا وسيلنا، وماضيها وقائمتنا ومستقبلنا.

هذا جاءنا به الكتاب، كما سبقت به الفطرة، وقام به الكتاب، كما تقوم به الفطرة. فهلا استيقظت عقولنا فأفاقت من نومها نفوسنا، فحييت به من مواتها قلوبنا، فانتشر النور نبعا من قلوبنا في عالم قلوبنا، فعرفنا عوالم الله، وعرفنا في رسولنا ورب عوالمنا، وعرفنا به في اللانهائي، ربه هو له عبد، وهو لنا به رب، ونحن معه في وحدانيته، على ما هو في وحدانيته مع ربه، نسير في طريق الهدى وفي طريق الرشاد، فندخل في حصن لا إله إلا الله ونشهد أن محمدا رسول الله، بقيام باسم الله الرحمن الرحيم له ولأئمة من الله جئنا، وبالله نكون، وفي الله نعمل، وبالله نقوم؟

اللهم وحدنا مع من توحّد مع ربه. اللهم وحدنا فيك عبدا واحدا لك، بحبكتك متحابين في النجوى عنك في سرنا وجهرنا. اللهم اغفر لنا ما تقدم، واغفر لنا ما قام، واغفر لنا ما تأخر من ذنوبنا بغفلتنا، وقوم فيك طريقنا من ماضينا بحاضرنا في مستقبلنا.

اللهم خذ بنواصينا إلى الخير على ما وعدت وعلى ما ذكرت وبشرت.

اللهم جنبنا طريق الضياع والضرر والهلاك. اللهم كن لنا في الصغير والكبير مما جعلت لنا، ولا تجعل لنا من هوى أنفسنا ومن أغيارنا نصيبا يضلنا عنك، إلا ما قدرت بحكمتك لهدايتنا، ويقظتنا، وتعريفنا، وتعليمنا، وتوجيهنا.

اللهم إنا آمنا بك واحدا لا شريك لك، في وجودك وفي سرمدك، وفي أزليتك وأبدك، وآمنا أن من أبرزت منا رسولا من أنفسنا هو عبد لك ورب لنا من رحمتك، أولى بنا من أنفسنا. أنت ربه وأنت مشهوده وشاهده، آمنا به ليكون لنا نورنا وحياتنا، فنكون فيه بك فناءً فيه عنا لنبقى به لك، مبعوثين منه باسمك كلمات لك، قائمين فيه لوجهك، نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمدا رسول الله فيستقيم طريقنا في الدهر، ويقوم بنا العصر، وتحيا عوالمنا بذكرك، ونبعث في الناس بكلماتك. لا إله غيرك ولا معبود سواك.

أضواء على الطريق

(لقد تعلمت منذ زمن بعيد أنه (سوف يقودهم طفل صغير)، ولن نتقدموا في عالمكم أو عالمنا قبل أن نتعلموا كيف تقذفون في اليم بالحكمة الجوفاء عن جهلاء سبقكم، وترجعوا إلى براءة الطفل وهي لكم في مولدكم على الفطرة. إن حاضر عالمكم يميز بين الذين لونت جلودهم شمس الروح الأعظم. إنهم ينظرون لجلودهم، وينسون أن أرواحهم جميعا واحدة، وأنهم جميعا من الروح الأعظم، وإليه يعودون، وفيه يسبحون.

هل من الحكمة إذا عاد إلى الأرض مبعوثين بالمعرفة من كانوا عليها ذوي جلود ملونة عملوا في براءة الطفل، يحملون مشاغل الحق والحياة والإصلاح أن يقول لهم أبنائهم فليغرقنا الطوفان إذا لم يساعدنا أناس من ذوي الجلد الأبيض؟

نحن نسعى لتعليمكم بما تعلمناه في ممالك الروح، كما نسعى لتشرب كل معرفة تعطينا لنا. إن السماء الجديدة سوف تأتي في عالمكم خلال قانون المساهمة هذا. فإن فيما اكتشفتموه في مدنيتكم، غير القليل مما يعيننا وفيما نأتي به، الكثير مما كان عندكم وتركتموه فأصبح مجهولا، وها نحن نأتي به أضعافا مضاعفة هذه المرة وبعزيمة البقاء به فيكم).

عن الروح المرشد السيد (سلفربرش)

(٢١)

ليل لا عوج له ويوم لا ريب فيه رجال هم أيام الله ولياليه عصور وأزمان يقومها إنسان

حديث الجمعة

٦ شعبان ١٣٨١ هـ - ١٢ يناير ١٩٦٢ م

إن الله جامع الناس إلى يوم لا ريب فيه.
إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فذروا البيع واسعوا إلى ذكر الله.
وما يأتيهم من ذكر محدث إلا استمعوه وهم يلعبون، لاهية قلوبهم.
يومئذ يجيئون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا. إن ناشئة الليل
أشد وطأ وأقوم قيلا.
إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا.
يوم ندعو كل أناس بإمامهم. إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا.
إن الذين يطيعون الرسول إنما يطيعون الله. وإن الذين يجانبون الرسول إنما يجانبون ذكر الله.
أشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب.
هذه العبارات وما لها من المعاني المحمودة بما وردت به يجمعها معنى واحد، وأمر واحد، نعبر عنه بأيام
الله بتمام كلماته وليالي الله بأوادمه وآياته.
إن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون.

تخرج إليه الملائكة والروح في يوم كان مقداره خمسون ألف سنة مما تعدون.

والعصر إن الإنسان لفي خسر. فالإنسان هو الزمن بظهور مولد ذات له يتحدد بها الزمان وبها يتلون، وبها يعرف شيطاننا كان أو رحمانا قام. عام الفيل، أو مولد عيسى، أو هجرة محمد.

إن أيام الله ثلثا، وإن ليالي الله ثلثا، وإن أيام وليالي الله تتداخل، يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل. إن أيام الله تبدأ مع لياليه في الناس، سواء في ظلام خلقتهم، وظلام نشأتهم، وظلام مواصلتهم لحياة الظلام، وبعثهم بحياة الظلام.. فرعون يقدم قومه يوم القيامة. كما أن أيام الله تبدأ بأيام الناس في عالم الظلام بإشراق مشكاة صدورهم بنور سرج قلوبهم مشعلة، يبدأون بها حياة النور في داخلهم، ويواصلون حياة النور بعملهم، ويبعثون في عوالم النور، في تمام نورانيتهم، أرواحا مرشدة لدوائهم، ثم يعودون للظلام بمجالاتهم لمواصلة تجددهم وورقي ذاتهم ومعارفهم، بجديد لهم يعرفهم رسلا لعوالم بدئهم. أما المردودون إلى الظلام من ظلام قديمهم فيطلبون النور لدخيلتهم، كلما تواجدوا في عوالم بدئهم.

إن النور يغلف الظلام ويلججه، كما أن الظلام يغلف النور ويلججه. لكل نور ما يلد من تواجداته في جلباب من ظلام في عوالم الظلام من عمله وتكوينه، ولكل ظلام ما يلد من عوالم النور بعمله وتكوينه من تواجداته في عوالم النور في جلباب من النور. إن الظلام والنور إنما هما ستر الإنسان المتكسر بحقيقته في جلايب خلقه الظاهر من عالم تكنزه وخفائه بحجب عماؤه، لا النور سلامه، ولا الظلام قيامه، يدرك الظلام ويدرك النور لا يدركانه. ولكنه إذ يحجب الظلام ويحجب النور، إنما يحجب خلقه من الظلام وخلقته من النور فيعرف لهما بكونهما. تعالى الحق عن النور وعن الظلام. تعالى الله عما يصفون، سواء بمقدر السر المكنون، أو بالوجه المكنون المعلوم. إن الله لا يظهر بغيره، ولا يظهر لغيره. إن الله يظهر لأهل وحدانيته بوحدانيته. إن الله يظهر لموحيده بتوحيده. إن الله يظهر للناس في أنفسهم بكنه الحياة، وإنه على ما هو عليه لظاهر، والناس فيه وهو فيهم بما هم عليه، إنما هم ظاهره من تعبيره عنه بصفاته، وبحكمته، وبآياته، وبجوهه من الظلام والنار والنور، بجوهه من الإقبال على مركز لهم به، وبجوهه من الإدبار عن مركز لهم فيه، رحامين كانوا بإقبال أو شياطين كانوا بإدبار إلى باطنهم من النور بظواهرهم من الظلام والنار، أو بظواهرهم من النور والنار عن باطنهم من الظلام. وهم في الحالين إنما يعنونون مظاهر له تكشف عن مخاير منه لمقدره ومعتبره.

إن قرآن الفجر كان مشهودا. إن قرآن الله لقارئه، إنما هو الوجود بظاهره وباطنه على ما هو عليه. فمن قرأ القرآن، من أقرأه الله القرآن، من علم القرآن من علمه الله القرآن، إنما هو من علم نفسه، من أقرأه الله كتاب نفسه، من شرح له الله ما في صدره، من عرفه الله ما في قلبه من أمر قلبه، من فتح الله

فؤاده للنظر فنظر، وللبصر فبصر، فنفسه أبصر، وعينه أبصر، وعقله أبصر، ما كذب الفؤاد ما رأى، إنجيله في صدره وهو في ربه، فالله لا يُعرف إلا في وحدانيته بفناء عبده، فصعق نفسه ودك جبل ذاته. أما طلبه للمشاهدة شاهدا يشاهد مشهودا، وإنما هو طلب رحمته، إنما هو طلب من وحده معه وحن لرؤيته في مرآة نفسه من بقاء بخلة لرفيق أعلى في عين معناه، إنما هو طلب من عليه جمعه ثم عنه ببقاء فرقه، إنما هو طلب من نحره فوصله ونزلة أخرى بعته، إنما هو طلب من صلى ونحر، طلب من بُعث فذكر، طلب من استجاب للأمر فأمر فأمر، إنما هو طلب من عنده العلم والخبر، إنما هو طلب رسول الغيب للأرض والسماء والمدبر إنما هو طلب عبد الله عرف الله فطلب عبدا عرف ربه على عين معناه، وكان في الله عينه بمعناه، ما رآه من رآه إلا وقد وحده في مجلاه، ما عرفه عارف إلا بعد أن فقد نفسه وأناه بردها إلى ربه ومولاه. ما عرفه إلا بعد أن نحّره فقبره ثم بعّثه فنشره، فكان بالحق خبره، وكان القدم أثره فطلبه ووجده نزلة أخرى، فالله أكبر.

كل من عليها فان ويبقى وجه ربك. ما رأى وجه ربه إلا من وحد ربه فكان وجهه، فرأى الوجه وجهه، فكان المؤمن مرآة المؤمن، وما رأى المؤمن وجهها لله نفسه، إلا بعد أن رأى وجهها لله ربه. وما كانت سبيل المؤمن للإيمان إلا أن يصاحب المؤمن المؤمن، ويتفانى المؤمن عن نفسه، مع أخيه ومرائيه، ورائيه، والله من ورائهما بإحاطته، فكان المؤمن مرآة أخيه وما وراء أخيه.

هذه تعاليم جاء بها يوم من أيام الله بدأ معنا من ليله في انتظار فجره، بدأ بمن عرفناه محمدا، ليلة القدر، ولا ينتهي ليل محمد، إلا بعد قيام يوم لمحمد، على ما كان من أمر آدم، قام ليلة لله بأديمه، لم تنته إلا بمستديمه من فجره بتمام كلماته بقديم محمد روح قدسه وكلمة تمت له ليلة قدره بيننا تتجدد، وبكلمات نتعدد حتى يتوفاه، ويبعث محمودا يتبناه، وبالحق مشهودا يتوفاه، فيعرف آدم اسم الله، ويعرف إنسانه وجه الله، ويعرف بيته ذكر الله، قلب الوجود وقلبه، وفؤاد الشهود، ووجه السعد لكل مسعود.

إن يوم آدم قد كمل بليته، فتكنز في يد الله أمسكته يوم دار الزمان على هيئته كيوم خلق الله السموات والأرض بإبراز أديم محمد، تجديدا للسموات والأرض على ما كان في مولد يوم آدمه، خلقت له السموات والأرض بجديد من قديم ليتيأ لما خلقه الله له من خلقة له لنفسه، خليفته ومعناه، إنسانه وروحه، ووجه ذاته لمبناه، ووجوده في سفوره من كنوز عظمتة، ما ظهر في شيء آية له، وآية عليه، مثل ظهوره في إنسان ذاته، وروح أسمائه وصفاته، ومصدر ومحل بروز كلماته، وكتاب علمه، ويد رحمته، وكنوز جوده، والعلم على أزلي وأبدي موجوده، وسرمدي وجوده الظاهر ببديته، في قدسية دمه بآدمه، والمستكل لمعناه بجديد من معناه، على مثال من قديم لمعناه، أوجده في

ذات وجوده، محدث لقديم على عين معناه، فكان الجديد للقديم في الله، وكان القائم للأحدث المبعوث علما على من بعثه من المعروف باسم الله، في دوام فعل القائم القيوم بناموس وجوده في المطلق اللانهائي.

إن الله في فعله يغير أفعال الخلق، يوم يفعلون لأنفسهم، ولكن الخلق يوم يفعلون لغيرهم متخلقين بخلقه، فيتشبهون به، ويعنونون معانيه وفعله في التخلق بأخلاقه. إن الفرد، أو الجمع، أو الفرد والجمع القائم بمعاني الحكم والخدمة لمجموع من الناس على بقعة من الأرض، بما نسميه دولة وأمة، إنما يحاكي الأزلي لأن فعله وإرادته تتمثل فيما يصدر عنه من قوانين ومن تشريعات، وهو ومن معه يمثلون حقائق الوجود من الله وملائكته أو الطاغوت وجنوده. إذا تأمل الإنسان هذا الواقع من أمره، مما يعقل هو بذاته تحت سلطان قوانين اجتماعه، أو سلطان إرادته، أو فقد سلطانه، وتأمل ما في هذا من حكمة الموجد في حفظ النظام في مجتمعه، وقيام الأمان له بقوانين اجتماعه، لعرف كيف يسوس الله ملكه، وكيف يخدم الرب عباده، وكيف يتواجد المستوي على كرسيه في عوالم كراسيه، وكيف يعمل صاحب العرش فيما يقع تحت سلطان عروش. إن الظاهر من الإنسان مرآة الباطن من أمره من الرحمن أو من الشيطان في وجود الله.

إذا قلنا يوما لله، أو قلنا أيام الله نتعاقب في كتاب الله، وجب أن نأخذه في وعينا على ما نبينه حتى يفتح الكتاب لعقولكم، وحتى تفتح العقول لأنوار كتابكم، تأخذونه إن شئتم بأيمانكم، وتغفلونه إن شئتم إلى جانبكم من يسارك. إن أيام الله هي العصور الإنسانية تبدأ بعنوان من رجل أو رسول، يحمل بلاغا أو حكمة، تقطع رسالته زمانا عبر قرون هي أبعاض يومه. إن أيام الله هي رسالات الله، يرسل الله، من عباد الله، بعضهم لبعض أرباب بالله. إن لآدم يوم يستكل الألف ويزيدها من سنى حسابكم لرسالة فردة والآلاف لأفراد بيته، فلا آدم يوم وأيام، تنتهي بمولد جديد له، بوليد منه، يكون سفينة نجاة لآبائه من مادي أصله، وسفينة نجاة لبنيه بجديده من فرعه يمتطيها أو يتخلف عنها الراكبون، وهم يبصرون أو يعمهون الله مع كلماته في قيامهم. وما كانت سفينتهم إلا أنفسهم يمتطونها في بحار معرفته بما يعلمهم. وما كانت سفينتهم إلا بيوتهم يدخلها آبائهم وأخوتهم وأبنائهم بإذن منهم.. لا تدخلوا بيوتا غير بيتكم حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا، فليس من حقكم وليس لكم في البيت مكان إن لم تبنوا لأنفسكم فيه مكانا من عملكم. يا أيها النفس المطمئنة ادخلي في عبادي وادخلي جنتي.. لا دينونة الآن على من دخل في قلب يسوع.

إن نوحا كان جديدا لآدم، وكان ولدا لآدم، وكان يوما من أيام بيت لآدم. وما سمي نوح بنوح إلا لأنه كان حقيقة عصره وقد أظلمت الحياة في زمانه، وضاعت الأرض على أهلها بما رحبت بضيق

نفوسهم، وقد أظلمت فارتفع نواحهم وقد مستهم البأساء والضراء لعلهم يجأرون، فكان عصر نواح جأرت فيها النفوس من شدة ظلامها إلى الغيب مؤمنة به بعيدا عنها وعن حياتها اليومية، فبعث لها يد رحمته نوح، يحملهم في سفين نفسه إلى معارج قدسه، فيخلصهم من أنفسهم وهو أولى بها منهم، فتابعه القليل لمركبه وتخلف الكثير بحكم قانونه، وتوالى بعد نوح.. نوح.. ونوح، وآدم.. وآدم، أظهر الله بهم قضاياه وقلب أمام العيون ألواح كتابه، فأبرز من النبيين من خصه بكلامه، فكلبه، ولم يخصه بقيامه ليعلمه، ثم أظهر عيسى الذي خصه بقيامه في قانون سفوره على دوام، على مثال من قانون سفوره بآدم على تمام، وجعل منه كلامه، فتكلم عيسى إنجيله في صدره، مشروح الصدر، ظاهر الأمر، وجه أبيه، وعين أبيه، ومثال أبيه المتواجد بنفسه وباصطفائه فيمن لا أب له، ولا مثال له، ولا إحاطة به، المعروف بالعلم عنه. فما كان عيسى إلا عبدا لحقه عبدا لعلام الغيوب، عبدا لمن لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، المتواجد فيه الكثير من كلماته من مثال آدم وعيسى، وكلهم عباد مكرمون، وما تجدد فيه العباد إلا باصطفائه، وما وقع عليهم اصطفائه، إلا بيطمئنه عن الأب والأم والنفس من مادة الوجود، من الظلام والنار والنور مما قام به بناء هياكلهم، وظاهر معالمهم، تحجبوا فيها بها عن يظهرون بينهم بسرايل الظلام أو النار أو النور بمن يختارونهم لأنفسهم لوصفهم عبادا للرحمن، وعبادا لله يمشون على الأرض أو في السموات في عزة بالله وانكسار له، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، لأنهم ما كانوا ليتحدثوا عن أنفسهم، ولكنهم يتحدثون عن هو ربهم، وعن هو إلههم، وعن هو معبودهم، وعن هو هواهم، وعن هو معروفهم، وعن هو فهمهم وإدراكهم وعلمهم، ورحمتهم، وعن هم منه كتب وله وجوه، مجانبين الحديث عن أنفسهم وقد جعلوا هواهم أن يتحدثوا إلى الناس عن معناه في الناس ليكون الناس على معنائهم منه، فيصبح هواهم ومرادهم وبقاؤهم لمعناه في معنائهم.

هؤلاء الرحامين من رحموت حضرته في عظمة وجودهم من عظمة موجدهم بدأوا ويبدأون بآدمهم، ويواصلون بأوادهم على أرضكم، ومن أرضكم أرضا لآدم، فيبدأون أيامهم كلها بدأوا بآدم لهم فكان في ذلك بدء يوم جديد لله قرين ليلة جديدة من ليلاته بهم. إن الله جامع الناس إلى يوم لا ريب فيه، أي إلى إنسان لا ريب فيه، أشرق الأرض بنور ربها في اليوم ما كان اليوم. إنما الريب عند الناس، وهم لا يؤمنون بالأيام مشهورة لهم في رسلهم من أنفسهم. إن الريب عند الناس إنما هو ما في أنفسهم وهم يرتابون فيمن يظهر الله لهم. أفكلها جاءكم ذكر من الله.. أفكلها جاءكم ذكر محدث.. أفكلها جاءكم بدء ليوم.. أفكلها جاءكم أب.. أفكلها جاءكم آدم استكبرتم بما تهوي أنفسكم على ما جاءكم مما لا تهوي أنفسكم، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون؟ يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون. لو أن ملائكة يمشون على الأرض مطمئنين لأرسلنا إليهم ملكا رسولا، وإنا إذ نفعل لكم

فعلنا وها ونحن فاعلين، وقد جعلناهم رجالا، ولبسنا ما يلبسون، وإن موعدهم الصبح، فأهل الكافرين أهلهم رويدا. هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة، لا بل هل ينظرون إلا أن يأتي ربك، إنهم لا يؤمنون بالملائكة أنفسهم وإن ظهروا في سربالهم بينهم بكل صفات الرحمة، ولا يؤمنون بربك يمشي على الأرض في سرايل عباد رحمته بينهم، لا يقدر الله حق قدره، ولا يعلمون أن ربك ليس إلا الرفيق الأعلى لك كما علمت وكما علمت، ألم تعرف، ألم تر، ألم تشهد، ألم تبلغ أنا نأتي الأرض؟ ألم تعلمهم عن تواضع الله ورحمة ربك؟ ألم تقل لهم رب أشعث أغبر يمشي على الأرض لو أقسم على الله لأبره؟ ألم تقل لهم أن الصدقة تقع في يد الله؟ ألم تقل لهم إن الأئين اسم من أسماء الله والمريض وجهه؟ ألم تقل لهم إن كل من عليها فان ويبقى عليها منهم من كان وجه ربك، عبادا للرحمن يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما؟ ألم تقل لهم على لساني بك من آذاني وليا فليأذن من الله بحرب؟ ألم تقل لهم إني آخذ من كل أمة بشهيد هو لها رب وآتي بك عليهم شهيدا في قانون دائم، وأن العصر والزمان من حساب عصورهم، وزمانهم بأيامي من عبادي بينهم، لا يخلو من شهدائهم، وإني لأضع فواصل الزمن لأيامي في دهري بشهادتهم عليهم يظهرهم برسالاتهم، وأدعو كل أمة بإمامها، هم آحادي يقومون بجديد ذواتهم، تتعاقب بين ظاهر خلقي على أرضي، وباطنهم في سماواتها، وتحت ثراها؟ ألم تقل لهم إني رادك إلى هذه الأرض ورافعك منها، وراك إليها في نظام من صورة بدء وعود في معاد لا ينقطع في دورة دائمة متصلة، وإني آت بك في دورات أخرى بنظام آخر، دورات متصلة على تباعدها، في عود بمقام محمود يوم آتي بك شهيدا على الشهداء، مبعوثين معك في حضرتك؟ ألم تعلمهم هذا كله فيتعلموا عن أيام الله ويعلمون فيك يوما لله، جامعا لأيام له بلياليها روح قدس جوامع كلماتي لأهل السموات والأرض حيث أقتك، وحيث أبرزتك، وحيث أظهرتك، وما أرسلتك من كنوز حضراتي إلا رحمة للعالمين؟ ألم تقل لهم إنك بي وجهي، ورب العالمين من متابعيك، ومسلميك، ومؤمنيك، وموقنيك، ومتحديك، وموحيدي فيك، وأنهم لك عوالم؟ ألم أمرك أن تأمر بالصلاة أهلك، وعليك نفسك، ومن دخل بيتك، فهو أهلك وهو منك وأنت منه؟ ألم أقل لك إني لا أسألك رزقا من عباد فأنت عبدي وقد ارتضيتك لنفسي، ولكني أرزقك من فعلي عبادا لك، أولف بين قلوبهم حتى يألوك مولى وربا لهم أولف بين صديقتهم حتى يصدقوك، وأجمع نفوسهم فارقة بين الضلال والهدى في فاروقهم وفارقهم طورا على أشكالها، كما أجمع مجاهديهم أمثالا على أمثالها، حتى يتابعوك فيكونوا عبادا لك من رزقي لك ورحمتي بهم تصلهم فتمحو باطلهم من قيامهم لحقيق من قيامك، فعن أنفسهم تبعدهم ومن حيوانيتهم تخرجهم، وفيك بي في إنسانك إنساني تبعثهم، فيعلموك المبعوث فيهم فيعبدوني بك إذ يشهدوهم وجها لك تقوم وتقلب في الساجدين،

فيشهدوك وجها لي، أنت يومي الجامع لأيام لي وما أيامي إلا عبادي ورسالاتي؟ فما تكون القيامة وما تكون الندامة، وما القيامة إلا في قيامه، وما الساعة إلا إلى ربه وسلامه.

إن القيامة قيامتان، شتان بين قيام الرحمة على أهل الإحسان، وبين قيام أفعال الخلق بردها عليهم، وكشف البهتان يوم ترد إليهم أعمالهم يوم يبرز لهم سوء فعلهم، يوم تأتي آجال الأمم أهلكتها الطاغوت من أنفسهم وفعلهم، كما هي ظاهرة آجال الأفراد، جعل الله لكل أمة أجلا، فإذا جاء أجلها لا تستقدم ساعة، ولا تستأخر. قضاؤه في الأمم عين قضائه في أفرادها للحياة والعدم.

إن للأمم قيامات بنشأتها وبعثها، كما لها قيامات بذهاب سلطانها، وذهاب أمرها، وتفريط جمعها، وإذلال أهلها.

هذه هي قيامات الأمم بزوالها أو ببعثها، وكذلك الأفراد في أمر أنفسهم أما من ورائهم برزخ من آبائهم إلى يوم يبعثون من خلالهم، فيتكشف لهم قانون الله وهو يأخذ من بني آدم من ظهورهم ذريتهم فيشهدهم على أنفسهم، فيشهدون الله بسرمديته، إذ يشهد الأزل لهم الأبد منهم، يوم يشهد الأبناء الأزل من وراء الآباء، ويشهد الآباء الأبد من وراء الأبناء فيلتقي الأزل والأبد في حاضرهم يدا رحمته بحاضر هو من أبناء للقديم، هم آباء وأصل للجديد في حاضر من الإنسان. كان محمد وأمه لنا هذا الحاضر، فيه لقاء للقديم والجديد بين يدي رحمته. كان خير آدم أخرج للناس وكانت أمته خير أمة أخرجت للناس، لا لصالح أمرها أو استقامة مسلكها، ولكن بمعاني الوسط لقيامها بين يدي رحمته من قديم الإنسان وجها لله، ومن جديد الإنسان يؤمن بالإنسان في الإنسان وجها لله، تدرك وتأمل في الجديد المنتظر القرب إلى أبدي الله، يخرج من الحاضر الغافل لأنها ترى وجه الأبدي مرجوا في الأبناء، وتؤمن بالأزلي مرجوا في حقي الآباء، فأصبحت بذلك أمة وسطا، تؤمن بالله أقرب إليها من جبل الوريد، وتراها بين يدي رحمته على كل نفس قائم.

هذا هو شرف محمد، بدءا لآدم بيوم له، واستكمال لآدم بليل له، وقياما لآدم بحق له في ليلة خير من ألف شهر ليوم هو الزمان والدهر، ليلة لا ينتهي يومها وقد أشرق على ظلام الأرض فجره بمحمد رسول الله، فكانت الشمس سراجا في يده شعلة الحياة، وكانت الشمس عليه دليله في ظلام الفلاة. كانت الشمس سراجا منيرا هو معناه، وهي وجه ذاته لعالم مبناه، نار الله ونور الله، وأرض الله، به جاء الحق أو جاء وجه الله، وذات وجه الله، وسافر وجه الله، ويد فعل الله، وظل رحمة الله للذين يبايعونه على أنفسهم فهم إنما يبايعون الله، والذين يطيعونه إنما يطيعون الله، والذين يؤمنون به إنما يؤمنون بالله، والذين يعرفونه إنما يعرفون الله، الجنة في جواره، والحضرة في مزاره، وآدم عين جلبابه وإزاره، ونور السموات والأرض ظاهر ذاته بفيض حقي معناه عبدا لله، من شمس وجوده عبدا

للأكبر من شمس معبوده، عنها انشقت شمس موجوده ومشهوده، به يقدر الله، وبه يعرف الله، وبه يتصل العباد بالله، وبه يتوحد العباد مع الله. إنه دورة الزمان والعصر، إنه خلق الأزل والأبد والدهر عبداً لله، به تظهر عظمة الله. القيامة في الاجتماع عليه هو بره يوماً قائماً لله لا ينقطع فجره وإشراقه، ورد الأعمال في الغفلة عنه، برد الفعل من العبد إليه بقيامه في ظلام نفسه، يرد إليه عمله وقد كان الله عنده معيته بأمانة الحياة له، فما عرفه، وما عبد نفسه له، وما قامه، وما هياً لنفسه أن يبعث به وجهها له فيكونه، فيدخل الحياة، ويخرج من ظلمات العدم إلى النجاة.

إن اللانهائي بوصف الوجود لا غيبة له ولا إحاطة به، ولكنك فيه قائم، سواء قت في ظلامه من ليله في حجاب له، أو قت في نهاره من يومه من وجه له. السعيد من أغطش ليله بعتيقه في سماه وقام فجره من يومه في أرض معناه، فأشرق قلبه من شمس عقائده في حضراتها من حضرات ربه، من حضرات إلهه، من حضرات الله معبوده، وموجوده، ومشهوده، ودوام منشوده، في لا نهائي الوجود.

فإذا عرف الناس عن القيامة، وهي قائمة في قيام الله على كل نفس، وتسفر للناس كلما قام في الله إنسان بالله، يقوم به الناس في معراج إلى الله بعروج أنفسهم، يتجددون ويبعثون في أيام الله، في السماء رزقهم وما يوعدون؟

اليوم الواحد لعروج الملائكة والروح خمسون ألف سنة مما تعدون، تعرج فيه الملائكة والروح، لا المادة ولا الأشباح، أما أودم الخلق في جهادهم في تطورهم بجديد لهم، فالיום الواحد لهم كألف سنة مما تعدون. إن يوم القيامة عند اللانهائي يوم يتجاوز الخمسين ألف سنة مما تعدون أضعافاً مضاعفة. إن يوم القيامة عنده قائم دائم لأنه يوم الله الذي لا غياب له، ولا بدء له، ولا انتهاء له. وإن ليلة القيامة، وإن ليل القيام وهو الإنسان في عمائه قائم دائم كذلك لا غيبة له. الليل مولج في النهار والنهار مولج في الليل في صورة ثابتة صامدة في الأحد الصمد من الله الذي لا جديد فيه، ولا جديد في معاني الحق له.

هذا ما جاءكم به القرآن، وما جاءكم به محمد رسول الله، وما بينه لكم في حديثه يوم قال لكل منكم قيامة، ولكل منكم ساعة، ولكل منكم أجل، كما قال عذاب أمتي في قبورهم، والقبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، وإن الله باعثكم وهو إذ يبعثكم على ما بدأكم انظروا كيف بدأكم، ألم يخرجكم من ماء مهين؟ أليس هو على رجعه لقادر؟ إنه يوم يرجعكم إلى هذه الحياة تارة أخرى فإنه يعيدكم إليها على ما بدأكم فيها من عين الماء المهين ومن علقه تكون في آباء لكم من طعامهم من تراب الأرض، على ما أنشأكم من الماء المهين في حاضرهم في أصلاب آبائكم، فالأرض أصل

وجودكم في هذا التواجد تدبون عليها بحيوانيتكم نباتا لها، وهو إذ يبعثكم عليها إنما يبعثكم في هذا النظام مما تشهدون ومما تعرفون ولا تنكرون.

ضرب لنا مثلا ونسي خلقه، قال من يحيي العظام وهي رميم؟ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة، كما بدأ أول خلق يعيده، وإنه على رجعه لقادر، وعلى تسوية بنانه من قديمه بجديده لفاعل، أنى يحيي الله هذه القرية بعد موتها؟ فأما الله مائة عام ثم بعثه. يبعث الله في هذه الأمة على رأس كل قرن من يحدد لها أمور دينها. إن يشأ يذهبكم ويأتي بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز. إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد. ما جعلنا لبشر من قبلك الخلد. كتاب أنزلناه عليك لتتلوه في الناس على مكث، فلن تتوقف عن تلاوته بتكاثر من كوثر أبدأ. وإني إذ آخذ من كل أمة بشهيد ربما أبعثك مقاما محمودا إذا أعدتكم معهم شهيدا على شهداء من جديد خلقي بقديم خلقك. أعطيتك الكوثر وجعلت شانتك الأثر.

أنظر كيف أخذت ميثاق النبيين لك، وإني باعث النبيين في بشرتي من أمتك مرة أخرى، وسأجيئ بك شهيد عليهم مرة وأخرى، هكذا أنا أفعل، وهكذا أنا فعلت، وسيبقى فعلي دائما أبدا على ما عرفت لأن فعلي يأخذ معاني صفتي من دوامي وثباتي وصمديتي.

هذا جاءكم به الإسلام. قال الله عن يحيى السلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا، وقال عيسى السلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا، وإني إذ أبعث حيا أبعث على ما بدأ فيّ، فأولد في سلام، وأغيب عنكم أو أموت مرة وأخرى في سلام، وأبعث ثلاثة وأخرى في سلام. هكذا آتي وأعود في دورة دائمة دائمة. ضرب ابن مريم مثلا لأئمتهم ولهم ولدورهم فإذا قومك عنه يصدون، وإن مثل عيسى عند الله كمثل آدم. وما كان محمد بدعا عنهما إذ كان أول العابدين للمعبود المطلق رآهما بعينهما له وجهان لله عرفه من ورائهما في إحاطته.

وإن محمدا كدورة لآدم تبرز كلمات الله منه، ثم يعيده الله إلى الأرض مرة أخرى بنشأة منها نشأة وأخرى وهكذا دواليك، وإن محمدا كدورة لكلمة الله التامة عنها يصدر آدم، به يتعارف رفيق الأرض لرفيق السماء، به يعرف من يرافق الناس في الأرض باسم الإنسان عبدا لله، رفيق السماء ممن يرافق الناس في السماء عبدا لله، ثم رفيقا أعلى فرفيقا أعلى لهما. إن الملائكة يطلبون الرفيق الأعلى، كما أن الملائكة الأدنى يطلبون رفيقا أدنى وأعلى، كما ينتظرون الرفيق الأبرز والأعلى مبعوثا فيهم بالأدنى. هذا هو نظام الله في بشرية من الروح والناس، في جانبي الحياة دانيها وقاصيها، ظاهرها وباطنها، أولها وأخرها، في الأرض أو في السماء.

فهل أدرك الناس كل هذه الحقائق وكل هذه المعاني؟ وهل لمس نور القرآن قلوبهم؟ هل أدركوا أن القرآن كائن حي وإنسان قائم ماثل فيهم وبينهم بعثة الرسول منهم من بينهم لا يفترون عن الكتاب، ولا يفترق الكتاب عنهم، ولا يغيبون عن التواجد ولا يسكت الكتاب منهم؟

هذا جاءكم به الدين، وجاءكم به سنة الرسول، وجاءكم به البلاغ، لا يمسه إلا المطهرون. ونسأل الله أن يجعلنا جميعاً ممن تطهرت قلوبهم فلمسها نور كتاب الله، مدركاً محسوساً فأبصروا كتاب الله يمشي في عترته بين الناس. رحمنا الله بهم وإياكم، وجعل رحمته في جوار رسول الله، ظاهراً بإنسان عبوديته لإنسان معنانا ومعناكم. نسأل الله أن يجعل مآلنا إلى الرفيق الأعلى في رحاب وجوار رحمته، ووجه طلعه، ويد نجاته، وشرف عبوديته، وبيان رسالته، من عرفناه محمداً، ومن ذكرناه نبياً وأنكرناه حقاً، ومن وصفناه خلقاً وجهلناه عبداً، ومن قدرناه نورا وحوضاً ما وردناه، ومن نظرناه كتاباً ما قرأناه ورقاً منشوراً يبعث في قلوب المؤمنين من عباد الله ما بعثناه وما طلبناه.

اللهم اغفر لنا ما تقدم وما تأخر من ذنوبنا، اللهم هيئ لنا سبيل الرشاد في حاضرنا، اللهم أوصلنا بمن وصلت، وحققنا بمن حققت، وأقنا بمن أقت، وابعثنا بمن بعثت، وارحمنا بمن رحمت، وعلمنا بمن علمت، لا إله غيرك في ظاهر وجود، ولا إله غيرك في غيب وجود، ولا إله غيرك فيما نعلم من وجود، ولا إله إلا أنت فيما نجهل من وجود. اللهم إنا وحدناك ورجعنا إليك موحدين، وحدناك إذ نشهدك في أنفسنا بظلامها مختبراً، وإذ نشهدك في أنفسنا بنورها راحماً معلماً. اللهم إنا نشهدك في قلوبنا تنبض بالحياة، ونشهدك في عقولنا تبحث عن المعرفة، ونشهدك في وجودنا مدركاً بالظهور، ونشهدك في بواطننا من الضمير يتحرك للنجوى بالرحمة وبالعظمة وبالخفاء.

اللهم إنا نشهد أن لا إله إلا الله فاكشف عنا حجابنا، وأدخلنا في يقين لا إله إلا الله، حتى نسعد بشهودنا محمداً عبداً لله مبعوثاً في عبوديتنا، مشهوداً بحقيقته لحقيقتنا.

اللهم ولِ أمورنا خيارنا ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا، وارفع مقتك وغضبك عنا بما صنعنا، وعاملنا بعفوك ورحمتك. إنا نتوسل إليك بمن أرسلته لنا رحمة، وقد أمرتنا إليك بالوسيلة.

اللهم بجاهه لديك فاكشف عنا هذه الغمة، وارزق الأرض السلام والأمن، وارفع عنا ما نعلم وما نجهل من قضائك، ولا تمتنا بعملنا، وعاملنا برحمتك رحمة منه، وببركته بركة منك، وبقيامه قياماً لك، وسلم له برحمتك أمورنا في حضرة رحمته تسليماً، اجعله رحمة منك لن. اللهم إنا نجأرك إليك أن ترزقنا السكينة والسلام والسلام في أنفسنا وفي بلادنا، وفي أرضنا، وفي أمتنا، وفي إنسانيتنا، وفي جمعنا، وفي أنفسنا، وفي أهلينا، وفي أولادنا.

لا إله غيرك ولا معبود سواك، اللهم فأخرجنا مما نحن فيه من الظلام إلى ما جعلت لنا مما أولجت في عالمنا وفي أنفسنا من النور، اللهم أشرق منا بنورك نورا للوجود، نورا لعبدك ورسول رحمتك. لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

أضواء على الطريق

(لماذا عادت الأرواح؟)

(سئلت مثل كثيرين غيري إذا كنت أرغب في العودة إلى نطاق المادة لأحاول إنقاذ الذين يحاولون في دنياكم أن يحطموا أنفسهم والعالم الذي يعيشون فيه. وحاولنا العمل فيما بينكم، وما زلنا نحاول باحثين بمعاييركم الخاصة لنبرهن على أن الذين يتركون عالمكم ما زالوا يعيشون في الملكوت الأكمل للروح الأعظم، لعلكم تدركون أنكم مثل هؤلاء جزء من الروح الأعظم.

لن نتقدموا في عالمكم أو عالمنا قبل أن نتعلموا كيف تقذفون بالحكمة الجوفاء التي توارثتموها عن تسمونهم بالعقلاء وترجعوا إلى براءة الطفل وهي طبيعتكم ووضعتكم من الروح الأعظم).

عن السيد الروح المرشد والمخلص المقارب (سلفريش)

(٢٢)

عيسى والنبيون كلمات الله محمد وعباد الرحمن رسل الله من آلا محمدًا سفن النجاة وبيوت الله إن لله عبادًا إذا ذكروا ذكر الله

حديث الجمعة

٢٠ شعبان ١٣٨١ هـ - ٢٦ يناير ١٩٦٢ م

أشهد أنه لا إله إلا الله، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، وفي كل شيء ظاهر، وبكل أمر شيء حكيم. نعبدُه ونَعْبُدُ أنفسنا له، لتوحيده، فنوحده، ونرتضيه لنقوم به فيه، ونحبه ونفنى فيه لنشهد في أنفسنا لنا، لا شريك له منا، ولا سلطان لغيره علينا، ولا ظهور لغيره لنا، ولا ظهور لغيره بنا. نقومه لنشهد بلطفه وجهه بنا محيط، من وراء كل نفس دائم، وعلى كل نفس قائم، وبكل نفس شهيد، ومن كل نفس شاهد.

نشهد وحدانيته، بوحدانيته معنا، وبوحدانيته مع كل ما يحيط بنا، وبوحدانيته بكل ما يقع نظرنا عليه، أو يقع نظره علينا، أو يقع أثره فينا، أو يقوم تأثيره منا. نحيا تحت سلطانه، ويقوم بنا بسلطانه، نسلم له ونؤمن به، طامعين أن نكون له وجه، وأن نكون له عنوان على ما أودع بالإنسان من صفات من الرحمة والحكمة، من الكبرياء والعظمة، تزاوجت صفاته، وتجلت به آياته، وقامت في الناس بالعباد أسماؤه، وتنزهت حقيقته، وظهر بالعباد معروفه، وعلم بصفاتهم موصوفه، فذكرنا له الاسماء، وعرفنا له الصفات، وشهدنا له الآثار، وقامت بنا عنه الأخبار، فكان المعروف وإن لم يعرف، وكان لنا الموصوف وإن لم يتصف، وكان منا القريب وإن لم يدرك في عظمته وفي تعاليه وفي إحاطته وفي إطلاقه.

تكلمنا عنه وتكلمنا به، وقام بنا وقتنا به، وظاهرنا وظاهرناه، وقاربنا وقاربناه، بمفرداتنا وجماعاتنا، في ماضينا كما نعلم من تاريخنا، وفي حاضرنا كما نعلم من دراستنا لنا، وها نحن نبقي فيه كما كنا، وهو لنا

ونحن له، وها نحن فيه على ما كان لنا وكما كنا له. وسيتقي وسوف يبقى وهو باقٍ لنا أبداً على ما هو لنا، وسنبقى كما كنا وكما نحن كائنون، وكما سنبقى ونبقى ونبقى له على ما نحن عليه.

صفاتنا في جَمَاعِنَا صامدة على ما هي عليه ظاهراً لإنسانه وشيطانه، وصفاتنا في مفرداتنا متجددة كما تجددت في قديم لمفردات لها، وكما هي متجددة في حاضر لمفردات منا من قديم لها، قانونا له وكتابا لنا، فسيتقى نظام مجتمعنا من صفات الظهورية له، بوصفه من إنسانه وشيطانه تتجدد ذوات وصفات المفردات فيه، للفرد يمتد بما ينزل الله عليه من أمره من النور، وما ينفخ فيه من الروح، وبما يفى ويفيض عليه من تواجد بالوجود، يمتد بنوره وروحه فيمن يخالل، وفيمن يحب، وفيمن معه يتحاب، حتى يمتد الفرد إلى جَمَاعَةٍ، وحتى نتوحد الجماعة في قيام ووصف الفرد، أمة هي إمامها، وإمام هو أمتها في امتداد من فرد متجدد لا يتوقف تجده وكوثره، واجتماع من أمة تجده لا يتعطل في تلاحق بتصاعد، وبعث بتواجد على جانبي الحياة دانيها وقاصيها بين يدي رحمته بالأولى عملاً، وبالأخرة حصاداً، في قانون دائم، ووجود صامد حتى يتحرر الفرد والجمع من سجن الأرض والسموات.

هذا قانون فاعل لا يتعطل عمله أبداً، ولا يختفي أثره أبداً، ولا يظهر لمن كان من نصيبه، رداً لفعله القطيعة والهلاك أبداً. لا يعرفه إلا مؤمن، ولا يهتدي إليه إلا مؤمن، ولا يقوم إلا مؤمن، ولا يسعى في طلبه إلا مؤمن. تأتي به مفقوداً سكرة الموت لجاحده، كما تأتي به نعمة الموت لواجده.

إن الوجود في حقيقته ثابت في قيامه، ثابت في دوامه، ثابت في أوصافه، ثابت في فعله، متزايد متناقص في ماديته من مفرداته. يمسك إنسان الوجود السموات والأرض أن تزولا. صدق العليم بما جاء في كتابه من أنه الصمد في ذاته بوجوده بظاهره عن باطنه. وصدق رسوله، من حقي إنسانه، في سرمدى إنسانيته، يوم علم وهدى (الظاهر مرآة الباطن)^١. فالظاهر لا تختل موازينه، ولا يختفي بالباطن يقينه، ولا يسود على مفرداته من الخلق ظنينه، بل الرحمن الرحيم، بل السيد الحكيم، بل الرب الكريم، بل إنسان الله القائم على كل نفس، لا يميز بين نفس ونفس، ولكن النفوس هي التي تتميز وتتمايز بما تكسب، وكل نفس بما كسبت رهينة، وبما اكتسبت ظنينة. لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه. المؤمن منكم مرآة أخيه، والمؤمنون منكم مرآة المؤمن الذي أظهره الله على الدين كله مرآة المؤمن من أمر رسوله، ومرآة المؤمن من أمر مرسله. شهد الله أنه لا إله إلا هو، فكانت شهادته لنفسه، فهو المؤمن بنفسه، العارف بها، وقد جعل الله إيمان العبد من طبيعة وفطرة إيمان الله بنفسه عن نفسه. لا يؤمن العبد إلا إذا آمن بنفسه فعرف ما تكون، على ما هي كائنة، عرفها شيطاناً في مادتها، وعرفها نورا في ملائكتيتها، وعرفها روحاً في ألوهيتها، وعرفها غيباً في عبوديتها، وعرفها ظاهراً في علميتها على معلومها، وعرفها وجوداً كاملاً حياً في حقيقتها آمن بها. آمن بها في

أسفل سافلين أنها من أسفل سافلين، وآمن بها في أعلي عليين أنها من أعلي عليين، آمن بها في إيمانه بأن الله قريب من المؤمنين بقربه من أهل محبته، وآمن بها في غفلتها بنصيبتها من الغفلة عن حقيقتها من الغافلين. آمن بها مبلسة في جنوحها عن سفن نجاتها في حيواتها، وآمن بها في سفين نوح بتوفيقها لخلاصها، وآمن بها من عيسى في أملها، وفي عساها، وفي رجاها، وفي ترويض مبنائها لكمال معناها، برؤية ضيق مبنائها لسعة معناها في عالم وجودها وتواجدتها، بظاهر لمبنائها منطلق في معناها، ومنطلق عنه في حقي معناها، بالشهود آمنها من محمد، يوم حقق لها حقها عليها به جانباً من رجاها في متابعتها فُحِّمَت صفاتها، عندها مدركة على ما اتصفها، مستريضة من حقها ومعناها فيه، الأحمد مما حمّدت، راجية من الواسع العليم المحمود الأكثر مما به حمّدت، في متابعتها لظاھرھا ظاهراً، ولباطنها باطناً إلى ما لانهائية، لمتابعة في ما لانهاية من كسب ووهب.

ليس هناك كمال يرتجى. لا جديد في الحق. لا جديد تحت الشمس. آيات الله في السماوات والأرض لا ينقطع عملها، ولا يتوقف ظهورها، ولا يتعطل مدارها. وكَم من آية في السماوات والأرض يمرون عليها - والكل مارٍ عليها - وهم عنها معرضون. كم من آية في أنفسهم يحسّونها ولا يدركونها، وينظرونها ولا يعقلونها، ويقومونها ولا يتعظونها. العاقل من اتعظ بغيره، والشقي من اتعظ بنفسه، وهم أشقى من الأشقياء، لا يتعظون حتى بأنفسهم، ولا يتعظون بالآيات مهما كانت بارزة أمام نواظرهم لعيونهم، في غيرهم أو في أنفسهم. ينظرون رد أفعالهم إليهم بالجزاء على عين ما فعلوا بأنفسهم مع من رأوه غيرهم، إذ تقع عليهم ممن يراهم غيره، ولا يتأملون ولا يدركون. يرون العطاء يوم يرد الله إحسان الآباء، عطاءً للأبناء ولا يتأملون، ولا يرجون، ولا يطمعون.. وليخشى الذين إذا تركوا من بعدهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم.. ذرية طيبة بعضها من بعض.. الذين آمنوا وتابعتهم ذرياتهم بإيمان.. أما الجدار فكان لغلّامين يتيمين في المدينة، وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً.. ينقطع عمل بن آدم إلا من ثلاث، صدقة جارية، علم ينتفع به، ولد صالح يدعو له بالخير.. من صلح أصلح الله له من صلح من آبائه وأزواجه وذرياته.. وما إلى ذلك من حديث الإحاطة، وحديث النبي الإمام.

هذا هو هدى الله، في حديث من الله، ظهر به كتاب من الله، نُشِرَ عبداً بين الناس من أنفسهم، رسولا من أنفسهم، على مكث فيهم يتلوه، وعلى بقاء بينهم يبينه، كتاب أنزلناه عليك لتبين لهم، كتاب أنزلناه عليك - لم ننزله عليهم - أنزلناه عليك لتبين لهم، ولم نجعل من خصائص الكتاب أن يبين لهم إلا إذا قام رسولا من بينهم، عترة رسوله، وصنو كتابه لا يتوقف تنزيله. لو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً..

تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لا تضلون أبداً، فإنهما لا يفترقان أبداً.. لا تزال طائفة من أمتي قائمون على الحق لا يضرهم من خالفهم.. يأتي عليهم زمان القابض منهم على دينه كالقابض على الجمر.. ولتجدن أكثرهم لا يؤمنون.. قليل من عبادي الشكور.. فهمناها سليمان.. وقليل ما هم.. من قتل نفساً مؤمنة بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعاً.. إن النفس الصالحة هي شجرة الجنس، وهي فرض كفاية من المجتمع فهي الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة والأصل الثابت للفرع في السماء من الجنس البشري لجنسه الإنساني، من الجنة والناس. تؤتي ثمارها كل حين بإذن ربها أنه بيت الآدمية لشجرة البشرية.

بهذا كله جاء الكتاب، فتجاوز الناس الرسول إلى الكتاب، لم ينزل عليهم، وليس لهم من القلوب ما تطهر حتى يكون لهم من نوره نصيب، ولم يعرفوا ما الكتاب فيتنزل عليهم روحاً من أمره ونورا من حقه، ولكنهم يتجاوزون الرسول ويتجاوزون النور، ويتجاوزون القلوب، ويذهبون إلى الكتاب ورقاً يقرأونه، ووزراً يحملونه، كما تحمل الحمر أثقالهم فيقرأونه كما يقرأه عليهم الحديد. يقرأونه أحاجي، ويفسرونه خيالات وأمانى، ولا يقومونه حقائق، وكيف يقومونه وهم بعيدون عن الحق بعملهم وبعقائدهم؟ ما وحدوا الله، وما قاموا رسول الله امتداداً لنوره، وهو الذي جعل له النور يمشي به في الناس من أمر ربه، وقد أوحى إليه، ونفخ فيه الروح من خلال أسواره، جعل له العلم نورا والرحمة حياة يمشى بهما في الناس فيهديهم ويحييهم، فجعل من الله للناس قدوة ليسعدهم ويرضيهم، يسري بنوره فيهم فيهديهم، ويقوم بروحه بهم فيميتهم ويحييهم، وعلى ما هدى، وعلى ما علم، وعلى ما علم لا ينقطع له بين الناس تواجده، يقوم ويتقلب في الساجدين، مرفوع الذكر، مغفور الذنب، مطاع الأمر، مجاب الدعاء، مقبول الشفاعة، مأذون الوسيلة، هو رحمة الوجود، بغيرها ينقطع التواجد، ويأسن ماء الحياة ولا يتجدد، فلا تقوم الأفعال، ولا ترد إلى الناس الأعمال، حوض الحي القيوم في حياة الناس قائمين به بالحياة، قائم بهم من الله بالهدى، قائم عليهم بالقيوم بالحياة والهدى. يضاعف لهم الحياة، ويضاعف لهم الممات، تضاعف الحياة لمضاعفها، بمضاعفة الموت له، لا ينفر منه، ولا يظن بالله الظنون في أمره. يموت قبل أن يموت، يموت قبل أن يموت الناس، وهو منهم، ويبعث قبل أن يبعث الناس، وهو ليس منهم. يؤمن بالقيامة قائمة في قيام الله، ويؤمن بالساعة قائمة متجددة في نفحات الله وفي جزاء الله، ويؤمن بالوجود خالداً قديماً، باقياً، لأنه دار الله، لأنه دار من دور الله، لأنه وجود الله، من ظاهر الله لباطن الله، يتجدد من قديم نوعه، ويتجدد منه جديد نوعه، في مجتمع للوجود متوحد بالموجود، ظاهر فيه عين الوجود، باطن له باسم الموجد، لا يغيب عنه رسول رحمته. واعلموا أن فيكم رسول الله.. وما كان الله ليعذبهم وهو فيهم.

به أدرك المدرك هدي رسول الله، هدي رسول نفسه، هدي رسول قديمه لقائه، وهدي قائمه جديده برسول الله وبعد الله وإنسانه، ونور الله وعنوانه، وروح الله ورحمائه. يطمع الطامعون في الله، ولا ينقطع للمؤمنين به رجاء في الله، ولا يقنع عارف بما حقق الله وإن شكره، ولا يأمن مكر الله وإن غفره، فيستغفر الله، ويستغفر الله، ويسأل الله، ويسأل الله وإن أجابه لسؤله، وإن أجابه لسؤله. يا أيها الناس أتمم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد.

هذا هدي رسول الله، وهذا هدي كتاب الله، فهل آمنا بالله؟ أو أدركنا كتاب الله؟ أو آمنا برسول الله؟ أو عرفنا عن رسول الله؟

إننا نزعم أننا نؤمن بكتاب الله، وما طلب إلينا الله في كتاب الله أن نؤمن بكتاب الله، فليس هناك إيمان بكتاب الله على ما تعارف الناس عن معنى كتاب الله. إن كتاب الله كما يجب أن يعرف من ورق الوجود، ومحابر الشهود، ليس معنى كتاب الله المجلد المعبود، أو الرسم والصوت المعتقد أو الموجود، ولكن كتاب الله المراد أن يكون موضع إيمان الناس وإنما هو الناس. إن كتاب الله المراد أن يكون موضع إيمان الإنسان وإنما هو الإنسان. وفي أنفسكم أفلا تبصرون.. هذا كتاب الله. ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير.. هذا كتاب الله. استفت قلبك وإن أفتوك وإن أفتوك وإن أفتوك.. فهذا هو كتاب الله، وبيت الله، ووجه الله.

إن الله قائم على كل نفس، وأقرب إليها من حبل الوريد، ومعها أينما كانت وأينما تكون. هذا هو كتاب الله وقيام الله، وحق الله، ونور الله. آمن كتاب الله نفسك، آمن رسول الله عقلك. اقرأ نفسك واسمع عقلك. آمن بالله روحك. لا تعقل بعقل غيرك. ولا تتزكى بزكاة نفس غيرك. ولا تحيا في حياة فعل غيرك. فإذا كان الله قائم على نفسك، فكيف لغيره تلجأ؟ وكيف في غيره تكون؟ إنما من تراه غيرك من عباد له - إن عرفت فيهم معاني العبودية له - فليسوا غيرك. فإنك إن حييت فيهم، فإنما تحيا فيه، وإنما تحيا فيك، وإنما تحيا بنفسك. يا أيها النفس المطمئنة، أدخلي في عبادي وادخلي جنتي. إن لا إله إلا الله حصن نجاتك، وحوض حياتك. وإن لا إله إلا الله تقوم فيمن قامت فيه ليكون حصنا لك بمعناها لك، وبمعناها عندك. إنها حوض حياتك، وإنها ماء حياتك، وإنها سفينة نجاتك، وإنها أرض قيامك، وإنها شمس شهودك، وإنها روح وجودك.

يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون.. ما يأتيهم من ذكر محدث إلا استمعوه وهم يلعبون.. إلا استمعوه وهم يلهون، وبأمر دنياهم يقومون وهم بها منشغلون. كيف تشهد وحدانية الله في نفسك لنفسك وأنت لا تؤمن أن وحدانية الله في شهودك بموجودك لعبد من عباده؟ هل أنت أوليته حقا أو خلقا؟ إنك تعلم أنك لست أوليته لا حقا ولا خلقا. وتعلم أنه لا أولية

من حقه ولا أولية من خلقه لك ولعالمك إلا بإنسان نشأتك وآدم خلقتك. كيف تطلب لنفسك ما لم يحقق الله بعقيدتك لأحد من خلقه من قبلك وفي حاضرك في جمعك وجماعتك؟ أتريد أن تبدأ مجاهدتك من نفسك؟ فليكن، فإن الله وعدك وتحت مسئوليتك.. الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا. إن الله وعدك أن يهديك السبيل، ما جاهدت فيه وصدقت المجاهدة له.. وكان الإنسان على نفسه بصيرة وإن أبدى معاذيره. ولكنها طريق يطول شأنها، ويطول أمرها، ومآلها في النهاية أن تعرف السبيل!!! ولكن هديه الذي هدى برسله وحفظ ذكرهم بكتبه التي أبرز ويبرز، رسله الذين تواجدوا وفي قديم الناس، ولم ولن ينقطعوا في حاضر ومستقبل الناس، فيهم صلاح الجديد وحفظ الصالح من القديم من الناس، جعلوا عوناً للناس ممن أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، كانوا سبيل الله للناس، وكانوا مصابيح السماء الدنيا، من حيوات الناس، وطبقات الناس، من دنيا قيامهم بنهاية ماضيهم، وبداية حاضريهم، وأول مستقبلهم، بين يدي رحمته تكفل لهم منهم بخيرين شهداء، وبصديقين أنبياء، وبأنبياء أولياء، وبأولياء رحماء، وبرحماء أتقياء، وبأتقياء علماء يظهرون روح الله، وعباد الله، ورحامين الله لخلق الله. هم في دوام بين الناس، لا ينقطع لهم تواجد، ولا يتوقف لهم ظهور، ولا يختلف لهم هدي، ولا يتعارض منهم منطق، ولا يتضاد منهم مسلك، ولا تتضارب لهم صفات أيا ما كانت أمهم، وفي أي أرض كان ظهورهم، وعلى أي دين برزت صفاتهم. إنهم عباد الرحمن في كل دين، وفي كل أرض، وفي كل أمة وفي كل زمان.

هذا جاء به الإسلام، وما طلب من الناس في الإسلام أن يؤمنوا برسوم الكتاب، ولا بجسده من الورق باسم الكتاب وبمعني الكتاب.. لو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى.. بل لله الأمر جميعاً. فيجب أن لا يكون هناك إيمان باللفاظ، ولا بالألواح من ورق، ولكن الإيمان إنما هو في العنوان من الإنسان، كتاباً كان، أو لوحاً كان.. إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى. وما كانت صحف إبراهيم وموسى إلا مفردات الصادقين من أمة إبراهيم وأمة موسى، عباداً لله في أمة إبراهيم وأمة موسى. وكذلك الأمر في شأن محمد، وأمة محمد، وكتاب محمد، ودين محمد، إنما هو الأمر في الناس من المسلمين له، المؤمنين به، القائلين فيه.. لا تزال طائفة من أمتي قائمون على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى أن تقوم الساعة.. الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة.

هذا هو هدي الدين إن أردنا أن يكون لنا كتاب ودين، وهذه هي الطريق إن أردنا أن يكون لنا في طريق الحياة مسير وقيمين، وهذا هو المسلك إن سلكناه، وهذا هو التخلق بأخلاق الله إن عرفناه وطلبناه، وهذا هو المنظور بالحياة في أطوار الإنسان. وهذا ما أشير إليه وما عنى بقوله.. خلقنا الإنسان من سلالة من طين أو خلقناكم أطواراً.

هذا قليل من كثير فيما يصح أن نتكلم فيه من أمر الإنسان. إن الإنسان مُبَيَّأً بحكم خلقته لأن يكشف حقائق نفسه، وحقائق الوجود، وحقائق الله في وجوده وفي مشهوده. إنا إذا تأملنا فيما تكشف لنا وكشف لنا رجل نقول إنه من غير ملتنا ومن غير أمتنا، فيما كشف بكشف قانون من قوانين الطبيعة وقوانين الوجود، يوم وضع هذا القانون في كلمات فقال: "إن لكل فعل رد فعل مساوٍ له في القوة ومضاد له في الاتجاه"...

إن هذه العبارة على إيجازها، وقد كشفت عن قانون من قوانين الوجود أثبتته من اكتشفه، واقتنع به من أدركه.. هذا القانون وحده يكفيننا لأن يكون مفتاحاً للقرآن، ولكل ما جاء بالقرآن. هذا القانون إن آمنه، وهو مما كشف الله لنا من آياته في الآفاق وفي أنفسنا، فطبّقناه على أنفسنا، فقرأناها لنكتشف به أنفسنا، لوجدناه قانوناً صادقا، يبين لنا صدق البعث، وصدق النشأة، وصدق الجزاء، وصدق الرد للدنيا، وصدق الرد للآخرة، وصدق دنيا الروح وصدق دنيا المادة.

فكل ما صدر من دنيا الروح راجع إليها يوم تصل بعملها إلى هدفها من التواجد في المادة، ثم يبدأ رد الفعل بالقطيعة عنها وعدم الثقل إليها. وكل ما صدر من المادة، هادفاً إلى الروح، فله رد فعل مضاد في الاتجاه مساوٍ في القوة، يوم تحقق النفس بعملها وهي تهدف إلى عالم الروح فتصله وتواجهه، ومنه ترد إلى الأرض بالبعث، كما بدأ أول خلق يعيده، على أصل نشأتها، وعلى صورة قديم فعلها.

إن هذا القانون الطبيعي يكشف الكثير مما جاء في القرآن، ويضع البيان له في مواضعه، يضع النقاط على الحروف.. إنما هي أعمالكم ترد إليكم.. من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره. إن الله قانون الوجود وهو الوجود، وقانونه قائم على كل نفس بما كسبت هذه النفس، أعمالها ترد إليها، وما يصدر من عملها أو من طاقتها إنما يقابله رد فعل مساوٍ له في القوة مضاد له في الاتجاه، فعملها مردود عليها إن خيراً نخير، وإن شراً فشر.. إن الله لا ينظر إلى صوركم وأقوالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم.. وإنما الأعمال بالنيات ولكل أمرئ ما نوى.. أنا عند ظن عبدي بي إن خيراً نخير وإن شراً فشر.. فالذات محل صدور أفعال القلوب تتجدد برد الأفعال الصادرة عنها لتكون لها محل على عين صورتها، مسواة البنان بمحدثها لقديمها.

إن الذي أعني بذلك إنما هو أن تدركوا ويدرك الناس معكم، أن ما يتكشف لنا من قوانين في علوم الطبيعة، وفي العلوم عن الحياة، إنما هو مفتاح لبيان الكتاب بين أيدينا، وأن هؤلاء الذين كشفوا هذه القوانين في الطبيعة، وقدموها لنا سائغة مدركة، معتقدة، إنما هم من عباد الله الذين سخرهم الله ليعرف الناس عن طريقهم حقائق أنفسهم وحقائق وجودهم. وهم إذ يعرفون مما يعرفون عن أنفسهم وعن وجودهم إنما يعرفون عن الله القائم على كل نفس بالحياة في ظل قانون الوجود،

فيشهدون الله الموجود في كل موجود، ويطلبون الله المحيط بما نعلم وبما لا نعلم من الوجود، فيحبون الحياة بالله الظاهر المشهود، في كل ما يظهر من أبعاد الوجود لأبعاد الوجود، فيستقيمون مع الله من ورائها محيط بأحدثه، ويؤمنون بالله من ورائها المعلم والمعلوم، فيوقن المؤمن أن الله من ورائه ومن وراء الشمس، وأن الله من ورائه ومن وراء أخيه، وأن الله من ورائه ومن وراء حاكمه، وأن الله من ورائه ومن وراء محكومه، وأن الله من وراء الكل محيط.. من وراء الأب ومن وراء الابن، ومن وراء الجد ومن وراء الحفيد، والله من وراء كل ما هو أكبر منك ومن وراء كل ما هو أصغر منك. الناس فيه وسط ما بين الكبير من الأجرام السماوية ومن الأرض، والصغير من الذرات والحيوات الدنيا للنبات والحيوان. وكذلك الإنسان بطبقاته في وحدة جماعه في اجتماعه.

كل من عليها فان بمعناه من عزلته واستقلاله، باق بمعنى وجهه من وصلته وامثاله. والبقاء لله ما بقي الناس بالله، وما بقي الله بالناس، البقاء لله ظاهرا ما بقي الناس في ظهور، والبقاء لله باطنا أو غيبا ما اختفى الناس عن الظهور في إنسانية الغيب.

إن الناس بوصفهم ظاهر الله ظهوره بالوجود موجودا وموجدا، لهم فيه دوام، هو دوام الله، ولهم فيه بقاء، هو بقاء الله، ولهم به سرمدية، هي سرمدية الله، ولهم منه أزلية، هي أزلية الله، ولهم به أبدية، هي أبدية الله. أما الله في صمدية فإنه لا يعرف الأزلية ولا الأبدية لنفسه، ولا يليق أن يتصف حتى بالسرمدية لها، لقد جعل كل ذلك من صفات ما أوجد من معاني الخلق فيه، وهي ظاهر الوجود له. فالخلق لهم فيه سرمدية لأنهم عرفوه سرمدًا في سرمدية أنفسهم، والخلق لهم فيه أزلية لأنهم عرفوه أزليا في أزلية أنفسهم، والخلق لهم فيه أبدية لأنهم أدركوه أبديا في أبدية أنفسهم، والخلق عرفوه منزها لاجتماع معناه من قدرته تكالفاً إلى معناه من وصفه كحق دائم في معانيهم، فزوها الدائم فيهم عن المخلوق به منه لهم، فقالوا منزّه، وقالوا غيب، وقالوا مشهود. كل هذا وعي الخلق عن الحق فيهم، وعن وصف الحق لهم، بوصف الخلق منه بهم.

إذا عرفنا هذا عرفنا قضايا الدين كلها، في أنفسنا، وعرفنا البعث فينا لنا، وعرفنا القيامة منا بنا، وعرفنا الساعة في يقظتنا من غفلتنا، وعرفنا الديمومة من تجددنا بأنسجتنا لمفرداتنا وبمفرداتنا لمجتمعنا، في أبدي وجود على مثال مما كنا من أزلي وجود، في تجديد دائم بقاء وسرمدي وجودنا. نشهدنا في حاضرننا بمفرداتنا وجمعنا، معنى الجديد والقديم والقادم في قائم وجودنا، يتجمع لنا القديم والقادم في حاضر من قيامنا، فإذا علمنا عن قيامنا، وجعلنا معرفتنا من قيامنا، علمنا عن الله، وعن الحق، وعن السعادة وعن الحبيب المحبوب، وعن القادر وعن المقدر، وعن القريب وعن العلي، وعن المتعالي

وعن العالي، وعن المنزه في معرفتنا عن وصفنا بهذه الصفات جميعا، الظاهر منا مرآة الباطن لنا، ما آمنا بالله معنا، وما شهدنا وحدانية الله لنا، وما تابعنا في ذلك مشهودا بيننا رسول الله من أنفسنا. هذا هو دين محمد مع محمد، وهذا هو دين الإنسان بـمحمد، وهذا هو دين الناس في محمد. أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله.

اللهم إنك تعلم ضعف حيلتنا، وعجز وسيلتنا، وظلام قيامنا، والتواء أمرنا، عن أمر عبدك ورسولك، وشفيحك ووسيلتك، من أظهرته لنا رحمة في جديد لقيامه، من قديم فيك لقيامه، جددت قديمه، وأحييت نديمه به كثرت وأغدقت كثره، فما عرفناه، لا وجودا، ولا موجودا، ولا قائما، ولا متحددا، ولا متعددا، ولا ممتدا، ولا مشهودا، وقد جعلت معرفتنا عنك في سؤاله عنك، وقد قلت لنا في مخاطبته بنا.. إذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان.. إذا سألك عبادي عني.. سبحانه يا أزي.. سألك عبادي عني.. ألا يدرك العباد أن المسئول للمسئول عنه، لا بد أن يكون موجودا في دوام وجود المسئول عنه!!! كيف يأمر الله أن نسأل رسوله عنه؟ وكيف يكلف رسوله ليحمل لنا المعرفة عنه فينا، ورسوله المسئول عنه لا وجود له بيننا؟؟ ولا شهود له منا؟؟ ولا قيام له بنا؟؟

سبحان الله.. هل يطلب الله منا أمرا جعله علينا مستحيلا! إنا نريد أن نسأل رسوله عنه ليعلمنا، ويشفع ويستغفر لنا، ويتوسل إلى الله ليصلنا حتى يجيب الله دعوتنا، ويكون لنا في شهودنا فنشهد به أن لا إله إلا الله، ونشهد أن المسئول حقا موجودا، فنشهد أن محمدا رسول الله في وجودنا، وفي قيامنا، وفي شهودنا. سبحانه الله، هل علم الناس؟ هل أدرك الناس؟

إنهم يقولون إنهم قرأوا كتاب الله، فهل قرأوه؟ ويقولون إنهم حملوا كتاب الله، فهل حملوه؟

اللهم أغطش ليلنا وأخرج ضحانا، وأشهدنا معناك في معاننا. وقوم اللهم سبيلنا وحقق عبادك بيننا، وأشهدنا عبوديتك في عبوديتهم، وجماعتك في جماعتهم، وصدقنا في صدقهم، ووحدانيتنا في وحدانيتهم.

اللهم دلنا على من يدلنا عليك فينا بيننا، في الأرض وفي السماء، في الدنيا وفي الآخرة، فيما نعلم وفيما لا نعلم، في حاضر من الزمان وفي قادم من الزمان، فيما يدرك لنا بوجود وفيما يمكن أن يدرك لنا بتواجد.

اللهم ولِ أمورنا خيارنا ولا تولِ أمورنا شرارنا. اللهم ادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم إنك أنت الأعز الأكرم. اللهم أصلح نفوسنا، وأصلح قلوبنا، وأصلح عقولنا، وأطلق أرواحنا،

وزدنا من نورك، ووقفنا لما تحبه وترضاه، وأقننا فيما تحبه وترضاه. واجعل اللهم خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائك، وحقق لنا فينا عاجل لقاء لك بوحدانيتك مع من اصطفت لنا من عباد رحمتك وبيوت رشادك.

أضواء على الطريق

(إن المعرفة والخدمة أعظم من الأشخاص، وما حصلنا عليه من نشرهما في عالمكم حتى الآن قليل بالنسبة لما يمكن الحصول عليه. لا يصح ولا يمكن أن تفرض حدودا للروح الأعظم اللانهائي أو للحكمة أو للإلهام الذي يصدر عنه أو للحق الذي يمكنه أن يرسله لينشر شأن رحمته فوق عالمكم. وإنه لا يوجد قيود للقدرة الروحية الجبارة التي تنتظر لتملأ عالمكم، إذا ما أمدتنا أجهزتك بالمرات الصحيحة كي نستخدمها لتحقيق هذه الغاية التي ستتحقق حتما وفي الوقت المناسب).

(سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ إشارة إلى مقولة من خطبة للإمام عليّ - كرم الله وجهه -: "...اعلم أنّ لكلّ ظاهر باطناً على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه..." بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.